المقدسية

مجلة فصلية تصدر عن مركز دراسات القدس في جامعة القدس

السنة الثالثة - العدد الثاني عشر - خريف 2021

كلمة العدد

القدس وتحديات الرواية الفلسطينية الأصلية في الصراع العربي الإسرائيلي

أ.د سعيد أبو علي

ورقة تحليل سياسات حول الخيارات الفلسطينية التفاوضية المتعلقة بالقدس

القدس بين التفاوض الممكن والتسوية المستحيلة

د. وليد سالم

أهمية القدس سياسياً وثقافياً، واجتماعياً ومعمارياً 16هـ/638 م- 648هـ /1250 م

د. مروان أبو خلف

الواقع والممكن في حماية التعليم في القدس نحو سياسات تربوية وطنية مستدامة

تحسين يقين

يوميات مقدسية

تقرير خاص لأهم الوقائع والأحداث 2021/1/1 -2021/6/30

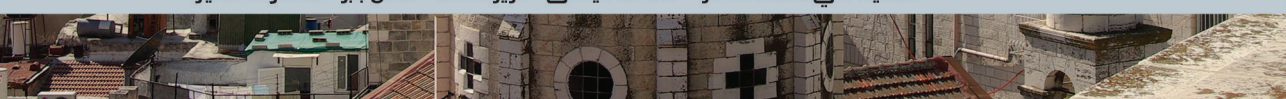
قرارات وبيانات وتصريحات رسمية صادرة عن منظمة التعاون الإسلامي بشأن قضية القدس 2021/1/1 – 2021/6/30



كُتاب العدد:

د. هدى درويش - د. زواوي بن يوسف – د. محمد فتحي محمد عبد الجليل

سامية علي أحمد تعامر - أ.د. حنا عيسى - عزيز العصا - أنشل بابر - محمود شقير





دير حبس المسيح للفرنسيسكان هو دير أثري يقع على طريق الآلام داخل أسوار البلدة القديمة لمدينة القدس. يحوي هذا الدير كنيستان، أولاهما كنيسة الجلد (حبس المسيح) و كنيسة الحكم بالموت، والكنيسة الاخيرة من الكنائس التي أمرت الإمبراطورة هيلانة بتشييدها بالقدس، وهي تحتل مساحة مربعة طول ضلعها 10 م، وقد غُطيت بقبة محمولة على أربعة أعمدة رخامية وعلى مقربة منها كنيسة حبس المسيح.

وكان المسلمون قد استولوا عليها في عهد الخليفة العباسي المهدي، لكن هارون الرشيد أعادها للنصارى. وبعد تخريب الكنيستان في حصار صلاح الدين الأيوبي للقدس، أُعيد تشييدهما بعد ذلك ثم استولى عليهما الرهبان الفرنسيسكان سنة 1618، وأعادوا تجديدها في عام 1838.

كلمة العدد

القدس وتحديات الرواية الفلسطينية الأصلية في الصراع العربي الإسرائيلي
أ.د سعيد أبو علي 3

ملف العدد
«المكانة الروحية والحضارية والتاريخية للقدس»

أهمية القدس سياسياً وثقافياً، واجتماعياً ومعمارياً 16 هـ/ 638 م- 648 هـ / 1250 م
د. مروان أبو خلف 17

المكانة الدّينيّة للقدس في الضَّمير التّاريخيّ
د. هدى درويش 41

مكانة المسجد الأقصى وأثر اعتداءات الاحتلال
د. زواوي بن يوسف - د. محمد فتحي محمد عبد الجليل - سامية علي أحمد تعامر 67

دراسة خاصة:
«كنيسة القيامة بين القدسية والتاريخ»
بقلم الفقيد أ.د. حنا عيسى 89

أبحاث ودراسات

ورقة تحليل سياسات حول الخيارات الفلسطينية التفاوضية المتعلقة بالقدس
القدس بين التفاوض الممكن والتسوية المستحيلة
د. وليد سالم 119

الواقع والممكن في حماية التعليم في القدس نحو سياسات تربوية وطنية مستدامة
تحسين يقين 153

أعلام ومعالم

ماهر الشريف في دراسته «المثقف الفلسطيني ورهانات الحداثة (1908 – 1948)»:
يتنقل بين الحكمين: العثماني البريطاني-الصهيوني وصولًا إلى النكبة وإقامة الدولة العبرية
قراءة: عزيز العصا 175

إسرائيليات

تآكل «الوضع الراهن»: الصلاة في الحرم تجتذب اليهود
بقلم: أنشل بابر 195

عيون مقدسية

ثلاث قصص للأطفال
مهدي وأطفال الحي-طيور السماء-كوكب بعيد في الفضاء
محمود شقير 201

أخبار جامعة القدس

تقرير أخبار جامعة القدس
حزيران، تموز، آب، أيلول 2021 205

يوميات مقدسية

تقرير خاص لأهم الوقائع والأحداث
1/ 1/ 2021 – 30/ 6 /2021 223

قرارات وبيانات وتصريحات رسمية صادرة عن منظمة التعاون الإسلامي بشأن قضية القدس
1 /1/ 2021 - 30/ 6/ 2021 235

للنشر في مجلة المقدسية 240

المقدسية

مجلة فصلية تصدر عن مركز دراسات القدس في جامعة القدس

المشرف العام ورئيس التحرير

أ. د. سعيد أبو علي

أستاذ القانون العام والعلوم السياسية بجامعة القدس

الهيئة الاستشارية (أبجدياً)

أ.د. ابراهيم براش
أستاذ العلوم السياسية – جامعة لأزهر بغزة

أحمد قريع
الرئيس الأسبق لمجلس الوزراء الفلسطيني
ورئيس مجلس أمناء جامعة القدس

د. رمزي خوري
مدير الصندوق القومي الفلسطيني لمنظمة التحرير الفلسطينية
ورئيس اللجنة الرئاسية العليا لشؤون الكنائس

الشيخ عبد العظيم سلهب
رئيس مجلس الأوقاف والمقدسات الإسلامية في القدس

أ.د. عماد أبو كشك
رئيس جامعة القدس

فاروق الشامي
رجل أعمال فلسطيني

الشيخ محمد حسين
مفتي القدس والديار الفلسطينية ورئيس مجلس الإفتاء الأعلى

منيب المصري
رجل أعمال والرئيس السابق لمجلس أمناء جامعة القدس

مولاي الطيب الشرقاوي
رئيس المجلس الأعلى للقضاء ووزير الداخلية المغربي الأسبق

البطريرك ميشيل صباح
بطريرك اللاتين السابق في القدس

د. نبيل العربي
الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية

د. وصفي الكيلاني
المدير التنفيذي للصندوق الهاشمي لإعمار المسجد الأقصى
وقبة الصخرة المشرفة

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. حسن دويك
نائب رئيس جامعة القدس

د. صفاء ناصر الدين
نائب رئيس الجامعة لشؤون القدس

أ. د. وديع ادريس سلطان
عميد الدراسات العليا بجامعة القدس

د. إلهام الخطيب
عميد البحث العلمي

أ. د. صلاح هودلية
أستاذ الآثار والتراث الثقافي بجامعة القدس

د. يوسف النتشة
أستاذ التاريخ والعمارة الإسلامية بجامعة القدس

أ.سركيس أبوزيد
صحافي وكاتب وناشر – بيروت

إدارة وسكرتارية التحرير

د. وليد سالم

د. دعاء السيد

أ. عزيز العصا

مركز دراسات القدس - جامعة القدس

العنوان: مدينة القدس – سوق القطانين – خان تنكز
الموقع الالكتروني: www.jerusalem-studies.alquds.edu
هاتف رقم: 00972-02-6287517
فاكس رقم: 00972-02-6284920

جامعة القدس أبو ديس

صندوق البريد: جامعة القدس، الحرم الرئيس – أبو ديس، صندوق بريد 89
الموقع الالكتروني: www.alquds.edu
للاتصال بالحرم الرئيس – أبو ديس
هاتف رقم: 2756200 - 02 - 00972
فاكس رقم: 2793817 - 02 - 00972

مجلة المقدسية

تنفيذ دار أبعاد

لبنان – بيروت – شارع الحمرا الرئيسي – بناية رسامني ط 3
هاتف: 751541 -1- 00961
صندوق بريد: 7179 - 113 بيروت – لبنان
بريد إلكتروني: abaaddar@gmail.com

الرقم الدولي /ردمك/

Issn:27079767

الاشتراك السنوي في المجلة

	داخل لبنان:	خارج لبنان:
للأفراد:	$50	$100
للمؤسسات:	$100	$200

يضاف إليها أجور البريد

المواد المنشورة تُعبر عن آراء كاتبها

القدس وتحديات الرواية الفلسطينية الأصلية في الصراع العربي الإسرائيلي

أ.د. سعيد أبو علي
المشرف العام ورئيس تحرير مجلة المقدسية

إنه موضوع الأمس واليوم، موضوع الغد ومستقبل القدس والصراع، الذي كان وسوف يبقى المحور الأساسي والسؤال الأهم في المعنى الفلسطيني، الوطن والشعب، وفي قلب هذا المعنى القدس تمنح الأرض والشعب الهوية، الذاكرة والروح، وأيّ معنى لفلسطين إن لم تكن القدس رُوحها، هويتها وذاكرتها الخصبة.

الرواية، رواية أيُّ شعب أو أمة، هي سردية العلاقة العضوية الوثيقة، الضاربة الجذور والمتصلة، من جيل إلى جيل بين الشعب والأرض والتاريخ. حيث يطور الشعب وجوده وحضارته على امتداد الزمان، خالداً بأرضه، يمنحها هويتها، ويذود عنها، مضحياً في سبيلها، يُراكم تراثه ويُعمق إيمانه ويُعلي بُنيانه.

إنها معنى وعنوان البقاء الطبيعي الأصيل في المكان والزمان للإنسان،

لتكون السردية المستمدة من حقائق التاريخ بوقائعه ومجرياته الصحيحة المؤكدة، موحدة علاقة الإنسان الجدلية بالأرض، وجوداً وتطوراً حضارياً موثقاً بالذاكرة الجماعية المتقاطعة المادية مع الشواهد التي تختزنها الأرض وتحتضنها وترويها الآثار الناطقة بماضيها الذي تستمد منه حاضرها، وتخط به مستقبلها، ويتردد صداها في وجدان ووعي الإنسان، حتى ملامحه وتكوينه الجيني، وفي بلورة ثقافته وشخصيته وهويته، بناءً راسخاً متأصلاً متجدداً عبر الأجيال في أرضه، موطنه المحدد بالجغرافيا المجسدة لمنظومة حقوقه الطبيعية والتاريخية، القومية والإنسانية، غير القابلة للعزل أو الزوال.

هكذا هي الرواية الفلسطينية للوجود الأزلي الفلسطيني منذ فجر التاريخ، متصلاً إلى الراهن المستمر المتدفق إلى المستقبل دون انقطاع على ذات الأرض التي ترسم قسماته وأحلامه وأمانيه، كما تحتضن رُفات أجداده، وما صنعت في الماضي البعيد عقولهم وأيديهم، وما أنجبت أرحام نسائهم، وروته جداتهم من موروث الحكايات والأساطير، تُشخص مسيرة راسخة الخطى في الأرض والمجال الجمعي عصية على التحريف والتزييف، وهي المهورة برسالات التوحيد السماوية مهداً وهداية للكون.

إنها سرمدية السردية تروي ظمأ الأرض، بالعرق والدماء، وتبني حروف الذاكرة الجمعية، نهرٌ أمينٌ لمجراه، يتدفق من صفحات الماضي البعيد إلى دفاتر الحاضر، مفتوحة على المستقبل دون انقطاع، بتفاعل المواسم والجوار في الصراع والتعاون، بمآثره ونقائصه، انكساراته وانتصاراته، المخلدة لمعنى البقاء المتجذر المتجدد المتطور، التي ظل اسمها فلسطين وطن الفلسطينيين الطبيعي والتاريخي والجغرافي شرعية أصلية متجذرة وصولاً للمفهوم القانوني الحديث للشرعية. مَظْلَمّة العصر في فلسطين التي باتت موضوع السردية

الأصلـية لقـرنٍ ظلـم مضى، ولم يـزل يُنتج ظلماً، بقـوة الباطل المؤسس على سردية وهمية نقيـضةً تُفجر الصراع الحتمي، وتُؤرخ الرواية بين الحق الأصيل والباطل الدخيل.

ليسـت الروايـة الفلسـطينية أحاديـة المسـار في واقعهـا بالمعنـى الـذي يعرض صفحـات من فصـول تاريخ مضى، بقدر ما إن هـذا التاريخ ما زال يتدفق بقوة في الحاضر ويرسـم معالم المستقبل. فهي رواية الصراع بكل أبعاده ومجرياته كمـا حدثـت كخطـين متوازيـين في مسـار الخـط الأول: الاسـتمرار بتأصيـل وحماية الرواية الأصلية الصحيحة، والثاني: مواصلة التصدي وتفنيد الرواية المخترعـة. إن توثيـق وتحصين الخـط الأول يدحض بالضرورة أكاذيب وتضليل الخـط الآخر.

فالوجـه الأول للسـردية، هـو الظلـم التاريخـي الـذي لحق بالشـعب الفلسـطيني، بتشريده وحرمانه من حقه في تقرير مصيره بوطنه، إعمالاً لحقوقه الطبيعية والتاريخيـة والقانونيـة التـي لم يفقـد الشـعب الفلسـطيني إيمانـه الراسـخ بهـا، وبحقـه في العـودة والحريـة والاسـتقلال، مواصـلاً نضالـه البطـولي المشـروع، بـإرادة وعزيمـة لا تلينـان، لاسـترجاع هـذه الحقـوق. مؤمنـاً بروايتـه، الروايـة الأصلية للصراع التي تُحفزه على استمرار النضال والتضحية، وتُكسب نضاله المشـروعية المسـتمدة مـن عدالـة تلـك الحقـوق، وبنفـس الوقت «وهذا هـو الوجه الآخر»، تُمكنه من دحض وتفنيد الأباطيل والأساطير التي بُنيت عليها الرواية الإسـرائيلية المخترعـة في إنـكار وجـود وحقـوق الشـعب الفلسـطيني في وطنـه، ومحاولات فرض أمرٍ واقعٍ قسري، وتبرير ما يتم ارتكابه من جرائم، وتصديره من ادعاءاتٍ تعود إلى تأويلات العهد التوراتي القديم التي تأسس عليها الفكر الصهيوني الاستعماري الاستيطاني الإحلالي، وإقامة الكيان الإسرائيلي على

أنقاض الشعب الفلسطيني أرضاً ووجوداً وحقوقاً.

إن استهداف روايتنا الوطنية يُضاعف من أهمية تحصينها، والأصل في أهمية الموضوع اليوم في ظل ما يتهدد القدس والقضية الفلسطينية مستمدٌ من أهمية وجود الرواية المؤرخة لوجود الأمم والشعوب في أوطانها من حيث المبدأ، فكيف إذا كانت تلك الرواية مستهدفة بالطمس والتزوير والإلغاء بإحلال رواية أخرى مناهضة ومصطنعة في ذاكرة الزمان والمكان، بمعنى الإلغاء لوجود وحقوق الشعب الفلسطيني في أرضه، وحرمانه من حقه في تقرير مصيره. تتضاعف هذه الأهمية، في مثل ما تتعرض له الرواية الفلسطينية – العربية من استهدافٍ، تتصاعد حدته ومستوياته، وبات يلحق ضرراً حقيقياً، تزداد مخاطره وانعكاساته على شعب وأرض وقضية فلسطين ومستقبلها.

وهكذا فإن مواصلة تعميق الإيمان بالرواية الفلسطينية العربية للصراع وتأصيلها وتحصينها وتعميمها وتطوير أدواتها وأساليبها، تأتي في سياق ضرورات مواصلة التصدي لما تتعرض له من تهديدات جدية لتشويهها والتشكيك بها وتحطيمها، كما الاستمرار بتفنيد الرواية المضادة المختلفة والمزيفة وكشفها وإبطال مفاعيلها تأكيداً للحقوق الفلسطينية، وذلك بمواكبة ما تُواجهه الرواية الفلسطينية من تحدياتٍ، وما تتعرض له من استهدافٍ بالطمس والتزوير والإلغاء، ثم بمواكبة تطورات وسائل وتقنيات الاتصال والمعلومات الحديثة السائدة.

ولا شك، أن القضية الفلسطينية تجتاز مرحلة تاريخية فارقة على كافة الصعد، وخاصةً على صعيد الرواية بشكلٍ جوهري، وهو ما يضع المجموعة الوطنية أمام مسؤوليات رفض الإذعان، ومواصلة النضال والكفاح اللذين لا

يلينان، وذلك بتحصين الرواية الفلسطينية والتمسك بها، ومضاعفة الجهود لتعميمها وتأصيلها، وما يتطلبه ذلك من إرادة سياسية وطنية قومية، ورسمية وأهلية، لبذل الجهود وتوفير إمكانيات مضاعفة وصياغة مبادرات وطنية وقومية وفق استراتيجية شمولية، تُعيد تقييم الواقع بما فيه وله، وتضع آليات فعالة لحماية وترسيخ وتأصيل الرواية الفلسطينية العربية بما يفند ويدحض الادعاءات والأباطيل التي تُواجهها وتستهدفها، ويحقق العدل والإنصاف للشعب الفلسطيني، بإسقاط الظلم التاريخي الذي تعرض له وما زال يتعرض له ويحفظ لهذا الشعب الأبيّ وجوده وحقوقه وهويته.

إن الرواية الفلسطينية بهذا البعد هي الخطوط العريضة، وعناوين مراحل الصراع الموثقة لما وقع فعلاً وحقاً بصدق وموضوعية، وهذا يعني تسجيل ونقل الأحداث والحقائق كما وقعت، وكما هي بتجرد كامل وبصورة علمية صحيحة، وصولاً إلى الاستخلاص الحاسم الذي يُؤكد أنَّ فلسطين للفلسطينيين، وأنَّ شعبها الفلسطيني هو الذي منحها هويتها، وأنَّ القضية الفلسطينية وتطوراتها، هي قضايا الحق والمشروعية والهوية أو الحقيقة التي لا يطمسها الادعاء والباطل، بدءاً من مقولة «أرض «إسرائيل» والشعب اليهودي أو «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»، انتقالاً إلى أن قضية اللاجئين وقلباً للحقيقة لم تكن مخططاً منهجياً يُعبر عن الفكر الصهيوني، وإنما مسألة طوعية واستجابة لقرار الحكام العرب.

إن استهداف الرواية الفلسطينية في الصراع ليس جديداً، إذ تعود جذوره إلى بدايات الفكر الصهيوني والاستعماري الأولى باندلاع الصراع في مرحلة الإعداد لإقامة دولة «إسرائيل» على جزءٍ من أرض فلسطين التاريخية،

وبتوظيف الدين وسطوة الأيدلوجيا وماضي التاريخ التوراتي القديم بكل ما يحويه من أساطير وتأويلات وأباطيل بسردية مخترعة تعمل على طمس الحقيقة وتزويرها وتشويهها وفرض وقائع قسرية جديدة، وصولاً لاحتلال الوعي والإرادة ومحو الذاكرة الوطنية الجماعية.

لقد كرست الحركة الصهيونية باعتبارها مشروعاً سياسياً استعمارياً استند إلى الدين وإلى التراث اليهودي بما فيه الأسطوري لتأسيس أمة وبناء دولة، وبذلت كل جهودها للاستحواذ على التاريخ، ولأن سرقة الأرض لا تكفي، فإن الاستيلاء على التاريخ، على الحكاية الأصلية، واستبدالها بأخرى مخترعة، من خلال إلغاء الأصلية من الذاكرة الجماعية، وإحلال المخترعة مكانها، هو حجر الأساس بالفكر الصهيوني (د. عصام سخنيني). وإن تَغْييب الرواية الأصلية يأتي من خلال حجبها وحجب عناصرها المعاصرة وتشويهها بالادعاءات مع مواصلة تحريف الرواية الحقيقية إلى جانب مواءمة الأساطير الروحية مع الواقع الراهن واعتبارها نصوصاً مقدسة لا يرقى إليها الشك كونها جزءاً من العقيدة.

ركزت الحركة الصهيونية على احتكار امتلاك الماضي فسلبت تاريخ فلسطين الحقيقي من ماضيه وأقوامه وحضاراته وأسقطته من خلال أَسْرَلَتِهِ واقتصاره على الفضاء الأسطوري اليهودي لزمن مملكة داوود وطرد ذلك التاريخ الفلسطيني الممتد من ذاكرة الزمن، وهو نفس ما تعرضت له الذاكرة المكانية من احتلالٍ إحلالي بإلغاء اسم فلسطين، اسم الأرض التاريخي، واستبداله باسم أرض «إسرائيل» لربط صلة مزعومة ممتدة بين المكان والزمان واليهود الى الحاضر والمستقبل، بما يحمله الاسم من إسقاطات تاريخية وقومية، تصوغ وتُشرعن الحاضر كما يقول د. سخنيني ويضيف

ولكن، إذا ما دحضت علوم الآثار ووثائق التاريخ القديم وشواهده المادية وأثبتت الادعاءات والأساطير الإسرائيلية، فإن النصوص الكتابية أيضاً، بقراءاتها الموضوعية في علوم الأديان المقارنة، أكدت ذلك التاريخ المصطنع بالخرافات الأسطورية لأغراض أيدلوجية. إن ذلك التاريخ وذلك النص ليس مقدساً، بل هو من صنع البشر، وهو ما يستدعي تعمقاً في دراسة ذاكرة التاريخ الزمنية والمكانية (د. دعاء الشريف) كما النصوص الكتابية وضرورة توحيد مضمون الرواية من هذه المقاربة حيث التعارضات إلى حد التناقض.

إن الاستيطان ومحاولات تزوير التاريخ ما زالت مستمرة وبتسارع كبير ومكشوف ربطاً بمشاريع الاستيطان والتهجير والأسرلة والتهويد الجارية في الحاضر، لتكريس ذلك الاحتلال الإحلالي وتغيير المشهد الذي لو كان كما تزعم الأساطير يهودياً في الأصل لما وضعت هذه المشاريع التي يجري فرضها بصورة قسرية لتغيير الواقع وإنتاج مصداقية مدعاة لروايته على حساب الرواية الأصلية المستهدفة.

كما إن محو الرواية الأصلية وشواهدها في النصوص والآثار المادية وتزوير الواقع وربطه بالماضي، من خلال إخفاء التزوير، بزرع البديل المزور وفرضه، هو ما تنفذه «إسرائيل» اليوم من مشاريع الاستيطان والتهجير، الأسرلة والتهويد، وبنفس الوقت مواصلة تقديم الرواية البديلة للرواية الأصلية وتعميمها والاستمرار في ترويجها واستخدام كل الأدوات والمناهج التي تخدم تقديم الرواية المصطنعة في الإعلام بشتى وسائله، وفي البعد الثقافي والأدبي والفني والتركيز على النخب واستهداف الأجيال الجديدة بما فيها الفلسطينية والعربية تطبيقاً لمقولة «الكبار يموتون والآتون ينسون»، مُستخدمةً كل الأدوات بما فيها الأدوات الروحية والشرعنة القانونية والدعم السياسي والسيطرة

العسكرية والضغط الاقتصادي، وصولاً إلى تجريم الموقف المعارض والمخالف للرواية المخترعة بتوظيف العداء للسامية، ما يجعل من ترسيخ الرواية الأصلية بكل مكوناتها وعناصرها ورموزها وميراثها بعاداتها وتقاليدها من جهة، ثم التصدي لمحاولات ومشاريع التهويد بكشفها ودحضها وتفنيدها هو استراتيجية الدفاع الجوهرية عن الحق والحقيقة ببرنامج وطني نضالي مقاوم للاستيطان والتهويد وتعزيز الصمود لتحقيق النصر الآتي المستمد من حتمية التاريخ بإذن الله.

إن المهدد ليس فقط الرواية الفلسطينية، بل العربية بأبعادها الحضارية والروحية والتاريخية من ذلك: حقيقة القومية العربية وما يتعرض له المكون المسيحي العربي من إقصاءٍ وإلغاءٍ في الهوية والوجود المادي والإسهام التاريخي.

وبالتالي فإن الرواية الفلسطينية كجزءٍ لا يتجزأ من رواية تاريخ الأمة، تتأثر سلباً بما تتعرض له الرواية القومية من استهدافٍ وضعفٍ وتجزئةٍ، تضعها كلها في مشهد التناقض والصراع والتفتت، خاصةً في ظل غياب المشروع القومي وتهاوي الدولة القطرية. وهو ما يجعل من الدفاع عن الرواية القومية والحق القومي، دفاعاً عن الهوية والرواية الفلسطينية، والعكس صحيح بصور تبادلية ارتباطاً بموازين القوى ومصادر القوة.

لكن إذا ما كان للتاريخ أن يكتبه المنتصر على روافع سياسية، فقد توصل مؤرخون (رينار كوسليك) إلى نتيجة مفادها أن التاريخ «يكتبه المنتصرون على المدى القصير، ويُحافظون عليه على المدى المتوسط، لكنهم لن يخضعوه أبدًا لسيطرتهم على المدى البعيد»، فشرط المنهزم ينطوي على طاقة لا تنضب لتعميق المعرفة، وبالتالي تحصين الرواية الأصلية الحقيقية.

في هذا السياق فإن الرواية الفلسطينية العربية بذاتها لا يشوبها خلل أو نقائص جوهرية من حيث الأصل والمصداقية، كما لا خشية على هذه الرواية الحقيقية من الضياع والاندثار، فالأصل الحقيقي هو الأقدر على البقاء، ولكن لا ينبغي الاطمئنان إلى هذا، والركون إليه ليس فقط أمام شراسة الاستهداف لهذه الرواية، ولكن بالنظر إلى مقارباتٍ لعلها استحقاقات ذاتية أُخرى تتعلق بمضامين هذه الرواية وطرق أو أدوات تحصينها وتعميمها بلغة العصر وأدواته، ولعل هذا ما يثير التساؤلات الآتية:

1. هل هناك إهمال أو تراخٍ يقتضي إعادة الاعتبار لتأريخ الرواية الفلسطينية العربية التي أكدت استمرارية وجود الشعب الفلسطيني على أرضه، وتأكيدها مشروعية نضاله لاسترداد حقوقه الثابتة ودحض الادعاءات والأساطير الصهيونية، فالقضية الفلسطينية هي قضية تحرر من الاستعمار الاستيطاني التي عكفت على تسجيلها وتوثيقها وصياغتها ثُلّة من رجالات وعلماء وكُتاب فلسطين (أمين توما، بيان نويهض الحوت، عبد الوهاب الكيالي، أنيس صايغ، يزيد صايغ، إدوارد سعيد، وليد الخالدي، إبراهيم أبو لغد، قسطنطين زريق، ياسين الحافظ، وماهر الشريف). هل بقيت كليات التاريخ بالجامعات؟ على الأقل في جامعة القدس، جامعة المدينة العاصمة محور التاريخ تغلق كلية الآداب والتاريخ.. ثم ما مضمون التاريخ الذي يدرس بالمدارس والجامعات اليوم؟.. مجرد سؤال. المسألة تتعلق بمناهج التعليم. وكيفية استهداف هذه المناهج ومناهج التعليم في القدس نموذجاً.

2. أمام ضعف التنشئة السياسية وتدّني الوعي السياسي وانكفاء دور الأحزاب، كيف نُعالج مسألة ارتباط الأجيال الجديدة بالرواية الفلسطينية،

بما يدحض مقولة «أن الكبار يموتون والصغار ينسون»؟ هل يبدو هذا الجيل حقيقةً أكثر عرضة وقابلية للانفتاح على الرواية الإسرائيلية بقياس الجاهزية لقبول حلول الإذعان لمخططات «إسرائيل»؟ وهل يكون الإذعان والتطبيع العربي المُسَلِّم بتلك الرواية، الخيار الأخير لقبول حقوق فلسطينية منقوصة أو ممنوحة في الوجود القومي داخل أو على أرض «إسرائيل» كما تذهب الرواية والسياسة الإسرائيليتين الراهنتين؟ المسألة تتعلق بالبرنامج السياسي الوطني.

3. مقابل البحث عن تبرير الصهيونية لمشروعية إقامة دولة يهودية بفلسطين، هل نحتاج إلى العودة إلى التاريخ القديم، وإلى التفسير الديني الجديد للبحث عن أسانيد تدعم روايتنا لتاريخ الصراع، وتُؤكد مشروعية نضالنا الوطني لاسترداد حقوقنا؟.. المسألة تتعلق بضرورات ومدى استجابة المشروعية الدينية وموازنة القراءة التاريخية.

4. هل أصبح ممكناً ويُشكل ضرورة أمر مراجعة نقدية للرواية الفلسطينية تنطوي على إعادة النظر أو تقييم مسؤولية الإخفاق والفشل عما تعرض له الشعب الفلسطيني من ظلم مستمر يكشف حجم التناقض بين الموقف المدعى والممارسة أو السلوك الفعلي في الدفاع عن الرواية والحق الفلسطيني بمعنى الإجابة الصريحة على السؤال المتعلق بالفشل والإخفاق العربي قياساً للنجاح والتمكن الإسرائيلي بعيداً عن منهج التذرع والتبرير أو السكوت عن مقتضيات المسؤولية.. المسألة تتعلق بمنهجية المراجعة وضروراتها ومحددات إجرائها.

5. إلى أيّ مدى تحتاج الرواية الفلسطينية إلى نفخ روح جديدة كما يقول «ماهر الشريف»، وهل هي ممكنة، ومن يتولى القيام بها ونفخها في

كتابة تاريخ روايتنا، على أساس تطوير الأساليب والمناهج وتنويع المصادر وإغنائها وتوسيع دوائر الاهتمام والنشر، بأعمال الروح النقدية والشجاعة في كشف القصور والخلل بموضوعية، وبما يعيد تموضع الشعب الفلسطيني وقضيته في مركز القضايا العربية.

إن ما يمكن إضافته لكل ما تقدم من موجبات ومحاور تحصين الرواية الفلسطينية وحمايتها وترسيخها من حيث المضمون، إنما يتعلق أساساً بأدوات وأساليب، وربما مناخات نشر وتعميم هذه الرواية، بمختلف ساحات التهديد الداخلية والعربية والدولية أو العالمية، بدايةً من تحصين الجبهة الداخلية الفلسطينية وترتيب البيت الوطني وتوحيد النظام والأداء والبرنامج السياسي وتعزيز المقاومة ومقومات الصمود وترسيخ الهوية الوطنية الفلسطينية بما يعيد تموضع القضية الفلسطينية كقضية مركزية للأمة العربية وذات أولوية ومكانة متقدمة في جدول الأعمال العالمي كقضية تحرر واستقلال وطني، إعمالاً لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره طبقاً لقرارات الشرعية الدولية.

دون أن يعني ذلك إعادة تعريف للرواية الفلسطينية الأصلية بادعاءات الواقعية السياسية، الأمر الذي لا يشترط استبدال الرواية الأصلية وتزوير أو إعادة صياغتها قبل تسوية الصراع وحتى بعد تسويته في الكثير من فصولها، تسوية عادلة منصفة، تأسيساً على الشرعية الدولية، أياً كانت المطالبات أو الاشتراطات المطروحة، لطمس أو تعديل هذه الرواية، كما يحدث اليوم بشأن مناهج التعليم لفرض الرواية الإسرائيلية النقيضة، وذلك من خلال تجهيل وتحطيم الشخصية الفلسطينية.

لذلك فإن المدخل الذي لا غنى عنه، هو إعادة الاعتبار للجبهة الثقافية

الفلسطينية وإحياؤها كرافعة رئيسية للرواية الفلسطينية، بما يُمكّن من حشد الموارد والطاقات الوطنية ووضع استراتيجية بمخططات وبرامج مشاريع تنفيذ واقعية قابلة للتحقق والقياس، وبتوفير الأدوات والإمكانات والموارد البشرية والمالية اللازمة، بالمعنى الذي يؤكد توظيف القوى الناعمة بصورة جوهرية، من حيث إنها أكثر قدرة واستطاعة على الدفاع عن الرواية الفلسطينية وحفظها، وهذا ما يُضاعف من ضرورة حضور الجبهة الثقافية مضموناً، والأداة التكنولوجية وسيلةً وأداةً، بدايةً من ضبط المصطلح اللغوي.

إن أحد مضامين الصراع يبرز فيه المصطلح اللغوي الذي يُوظف بكثافةٍ لتحقيق أغراض المفهوم. ولا شك أن إهمال مكانة وتأثير استعمال المصطلح، يُشكل تحدياً هاماً، خاصةً أن المصطلح بمعنى الاتفاق على مفهوم أو مدلول كلمة أو إشارة وما يُقصد بها، أمرٌ له أهمية في إنتاج المعرفة التي تستهدف وعي الفرد أو الجماعة المتلقية لهذا المصطلح، وهي عادةً ما تُوظف في نطاق أدوات الصراع الناعمة المؤسسة للوعي والمعرفة. وهنا نلحظ كيف تُوظف الرواية الإسرائيلية هذه المصطلحات المتعددة الدلالات حتى بات جزء من مصطلحنا مقتبساً من قاموس الخطاب الإسرائيلي والأمثلة كثيرة.

ويتعدى الأمر ذلك إلى مسألة تحديث الرواية من حيث النشر والتعميم والتنشئة بما يُوائم تطور وسائل الاتصال والإعلام والمعلومات أو المعلوماتية وآلياتها التقنية إلى جانب الديبلوماسية الرقمية والأكاديمية ومختلف وسائط التواصل الاجتماعي والبدائل الإعلامية المتوافرة. دون إغفال أن مرجعية وإدارة هذه الوسائط في المركزية الدولية تقومان على مرجعيات منحازة في الأصل للرواية الإسرائيلية، وأنها تُستخدم اليوم وتُوظف بصورة سلسة ومنهجية لاستهداف الرواية الفلسطينية.

أخيراً، إن جامعة القدس تقوم بدور هام بالتصدي للرواية الإسرائيلية، وحماية الرواية الفلسطينية، وحفظها عبر العديد من المبادرات والمسؤوليات التي تضطلع بها، وخاصةً نحو مدينة القدس، بمجالات عديدة لعل أحدثها، مبادرة إصدار مجلة متخصصة، إدراكاً منها لمدى خطورة استهداف الرواية الفلسطينية، وبوسع الجامعة إذا ما توافرت لديها الإمكانات والموارد اللازمة توسيع هذا المجال وتعميمه ومأسسته سواء ببرامج دراسات عليا (ماجستير) أو من خلال مركز دراسات متخصص في الإعلام والآثار والأديان والحقوق والعلوم السياسية والاجتماعية. وهذا لا يعني أن يحل دور الجامعة محل الدور الوطني، القومي، الرسمي والأهلي، للرد على هذا التحدي الكبير، بمختلف الآفاق ومصادر التهديد.. وإن مبادرة وطنية لتشكيل إطار مرجعي وطني متخصص وكفؤ، يتابع احتياجات التصدي للاستهداف ويبلور استراتيجياته وسياساته ويتابع تأصيل الرواية الوطنية، القومية الفلسطينية – العربية، باتت لا تحتمل المزيد من التأخير.. وهناك العديد من المبادرات والشخصيات، والمؤسسات،((منها مبادرة حركة فتح لتحصين الرواية وخطاب الرئيس محمود عباس الأخير في الجمعية العامة للأمم المتحدة))، والتجارب الفلسطينية المنتشرة في العالم التي ينبغي تنسيق جهودها وأدوارها لتكون محركاً في إطارٍ أوسع على المستويين القومي العربي أولاً والدولي التضامني ثانياً.

وإذ تقرع المقدسية جرس الإنذار في ما يخص واقع الرواية الفلسطينية، والتحديات التي تُجابهها وآفاق مواجهتها، فإن هذه المبادرة بحاجة إلى مأسسة رسمية في نطاق الجامعة عبر تشكيل لجنة من كبار الأساتذة المختصين من جامعة القدس والجامعات الفلسطينية والشقيقة الأخرى، تعكف على دفع المبادرة قُدماً لتبني صيغة أكثر ملاءمة في هذا المجال، لبناء

مشروع مواجهة تحديات الرواية من كل جوانبه ومتطلباته ووضعه موضع التنفيذ لتعميمه على الدوائر الوطنية الأكثر اتساعاً بما فيها الرسمية التي تضم جميع الجهات المعنية وذات الصلة والاختصاص، مع الأخذ بالاعتبار الأصل والأساس للهوية والرواية. وهكذا ستبقى مدينة القدس أبداً حافظة الروح الفلسطينية، عاصمة الدولة، مبتدأ الرواية وخبرها..

أهمية القدس سياسياً وثقافياً، واجتماعياً ومعمارياً

16 هـ/638 م - 648 هـ /1250 م

د. مروان أبو خلف

مدير مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني - جمعية إنعاش الأسرة - البيرة

الملـخص

يبحث هذا الموضوع فيـما آلت إليه الأهمية الدينية لمدينة القدس في النواحي السياسـية، والثقافيـة، والاجتماعية، والمعمارية؛ فمن الناحية السياسـية بدا واضحاً أنه كان لها مكانة سياسـية بارزة تمثلت بقدوم الخليفة عمر بن الخطاب لتسليمها من بطريرك المدينة آنذاك صفرونيوس، وأخذ الخلفاء الأمويين للبيعة، إضافة إلى جعل الدواوين فيها.

أما ثقافياً فإن وجود المسجد الأقصى الذي كان يغص بالعلماء في مختلف المجالات الثقافية إضافة إلى المؤسسـات الدينية والثقافية الأخرى، كالمدارس والزاويا والخانقاوات ودور العلم، وعملت منها على نشر العلم، وإبقاء النهضة العلمية مستمرة.

اجتماعياً، أخذت المدينة طابعاً اجتماعياً جديداً يتلاءم والتعاليم الإسـلامية. والسبب هو مـا تمتعت به هذه المدينة من الفضائل (كفضل الإقامة، والصلاة، والزيارة، والموت فيها) جعلها دائماً مسكونة بجميع الأجناس البشرية، ومن مختلف الطبقات الاجتماعية.

وأخيراً معمارياً، فقد حظيت المدينة بأبنية معمارية متميزة (كقبة الصخرة) ظهرت بشكلٍ تدريجي، وأبرزت الطابع المعماري الإسلامي الذي بدأ يتطور في مدينة القدس منذ دخول المسلمين إليها.

Abstract

This research paper considers how the religious importance of Jerusalem has affected politics, culture, society and architecture.

Jerusalem has always been of great political importance. Caliph Omar Ibn al - Khattab went himself to accept the surrender of the city from the patriarch Sophronius, and it was there that the Umayyads were sworn in as caliphs, and where they then established the administration of the Islamic State.

The al - Aqsa mosque, and the various religious schools of Jerusalem, ensured the cultural importance of the city. Form these academic institutions, full of researchers working in various different fields, came a continually developing scientific output.

The social life of the city also changed in accordance to Islamic teachings. People arrived in the city to live, to pray, to visit, and to die - so Jerusalem was full of all kinds of social types and classes.

Finally, Jerusalem was adorned with fine architecture. Buildings like the Dome of the Rock gradually appeared, displaying the new Islamic architectural style which had been developed since the arrival of Islam in the city.

مقدمة:

تتمتع مدينة القــدس بمكانه دينية وتاريخية لا تُماثلها مدينــة أخرى. فهي مهدٌ للديانات السماوية الثلاث؛ الإسلامية، المســيحية، واليهودية. وقد سكن المدينة عديدٌ من الأقوام عــبر عصورها التاريخية، مما جعل لها مكانة تاريخية وأثرية تميزت بها عن غيرها من المدن. هذه المكانة جعلت من مدينة القدس محط أنظار العلماء، والدارسين وبخاصةً علماء الآثار الذين بدأوا بالقدوم إليها بهدف التنقيب، والبحث عن آثارها.

والناظر إلى المدينة يرى تراكماً ضخماً من المخلفات الأثرية التي تركتها الأقوام التي سكنتها، والتي تُعبر عن بقايا حضارات متعددة ذات ميزات، وصفات مختلفة تقلبت على هذه المدينة منــذ 4500 ق.م. وتكمن أهمية هذه البقايا الأثرية في أنها عامل مســاعد ومســاهم كبير في دراســة تاريخ المدينة وآثارها، لكونها مبنية على معطيات، ودلائل ملموسة. لذا فمعلوماتنا عــن تاريخ مدينة القدس جاءت إضافــة إلى ما ذكرته المصادر التاريخيــة، من خلال البقايا الأثرية المتناثرة في أنحاء المدينة كافة، حيث أشارت هذه البقايا إلى أن تاريخ المدينة مُوغلٌ في القِدم، كما أن فيها إشارة دالة على مدى الأهمية التي تتصف بها عبر العصور التاريخية.

القدس الإسلامية

أصبحت القدس مدينة إسلامية في النصف الأول من القرن السابع الميلادي عندما دخل المســلمون المدينة في عام 16هـ/ 636م في عهد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب. وحســب ما ذكرته المصادر التاريخية، فــإن الخليفة عمر قد حضر شــخصياً وخصيصاً لاســتلام المدينة المقدســة من بطريرك القدس آنذاك صفرونيوس. وتذكر المصادر أيضاً أن الخليفة المسلم قد أعطى ســكان المدينة المسيحيين مقابل ذلك عهداً مكتوباً أصبح فيما بعد يعرف بـ«العهدة العمرية»، أمّنهم فيها على حريتهم الدينية، وأملاكهم، وكنائســهم، وأموالهم، وأنفسهم[1].

(1) مجير الدين (1973)، ج1: 253.

وتأتي أهمية القدس إسلامياً من حقيقة أن المسجد الأقصى كان القبلة الأولى للمسلمين لمدة ستة عشر شهراً، قبل التوجه في صلاتهم صوب المسجد الحرام في مكة المكرمة، لذلك فإن المسجد الأقصى هو ثاني أقدس مكانٍ بالنسبة للمسلمين بعد مكة المكرمة، إضافة إلى ذلك فإن أهمية القدس الدينية تأتي من حادثة الإسراء والمعراج الموثقة بشكلٍ واضحٍ في القرآن الكريم في سورة الإسراء بقوله تعالى (**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**). والإسراء هو انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى القدس، حيث تذكر المصادر أن الرسول صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى بيت المقدس زار قبر سيدنا إبراهيم عليه السلام في الخليل وصلى ركعتين هناك، وكذلك زار كنيسة المهد في بيت لحم حيث ولد السيد المسيح عليه السلام وصلى أيضاً ركعتين هناك. أما المعراج فكان صعود الرسول صلى الله عليه وسلم الى السموات العُلا من على صخرة بيت المقدس لتلقي تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، من الله سبحانه وتعالى وعاد في نفس الليلة إلى مكة المكرمة. هذا ويجب الإشارة إلى أن هذه الرحلة قد حدثت قبل سنة واحدة من الهجرة عام 622م[1].

الناحية السياسية:

على الرغم من عدم وجود فصل بين الدين والسياسة في تلك الفترة، فإن الأهمية الدينية للمدينة المقدسة، نتج عنها أهمية سياسية منذ اليوم الأول الذي انضوت فيه تحت لواء الإسلام حيث تمتعت المدينة بأهمية سياسية متميزة، بدأها الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب. لقد جاء الخليفة كما ذكرنا سابقاً إلى المدينة بشكلٍ شخصي لاستلامها من بطريرك المدينة آنذاك صفرونيوس.

إن قدوم الخليفة شخصياً قد أضفى على المدينة صبغةً سياسيةً بصفته الحاكم، والقائد الأعلى للجيش، وصاحب القرار كأعلى سلطة في الدولة الإسلامية، وقد انفردت مدينة القدس بهذه الزيارة عن غيرها من المدن الأخرى التي فُتحت في عهد هذا الخليفة. ولم يدخل

(1) مجير الدين (1973)، ج1: 254.

عمر مدينــة القدس ليوقع على كتاب الصلح بصفته الدينية فحســب، بل دخلها كرجل دولة (أمير المؤمنين)، مع كل ما يُحمله هذا اللقب من دلالات سياســية واضحة. فزيارته للمدينة المقدسة تُعبر عن الأهمية الدينية والسياسية للمدينة التي تُمثل الاستراتيجية العليا للدولة. وإن الخليفة عمر بن الخطاب أصبح بعد دخوله للمدينة ضامناً للأماكن المقدسة، وحامياً لها بعد أن انتزعت هذه السلطة من أيدي الإمبراطور الروماني[1].

ونتيجــة لأهمية هذه المدينة فإن صلة عمر بن الخطاب بها اســتمرت بعد الفتح، فقد ذكر المــؤرخ البيزنطي ثيوفانز Theophanes[2]. أن عمر زار المدينة مرةً أُخرى عام 643/ 644 حيث شرع في تشييد مسجدٍ فيها، والاعتقاد أن هذا المسجد هو المسجد الأقصى الأول[3]. كــما عمل عمر بــن الخطاب على تقســيم المنطقة إداريــاً في أثناء زيارتــه الثانية للجابية 17هـ/ 638م، حيث تم تعديل حدود الأجناد في بلاد الشام، ويُفهم من روايةٍ للطبري[4] في هذا السياق أن القدس أصبحت عاصمة لسوريا الكبرى، وأعطيت إمارتها لعلقمة بن مجزر، وهو شخصية عسكرية كبيرة من صحابة رسول الله، وقد تمتعت القدس أيضاً إبان عهد الخليفة عمر باســتقلالية القضاء، حيث عيّن الخليفة أول قاضٍ عليها وهو عبادة بن الصامت الأنصاري[5].

هــذه الأهمية التي تتمتع بها هذه المدينة، لم تغب عن بــالِ الأمويين الذين انتقلوا في إدارة دولتهم إلى بلاد الشــام، حيث أولــوا المدينة جُل اهتمامهــم، وعنايتهم، وقويت صلتهم الدينية والسياســية بها جراء أهميتها. ويظهــر هذا جلياً في بداية حكــم الخليفة الأموي

(1) عثامنة (1996): 387.

(2) Theophanes 1982: 42.

(3) المقدسي (1907)، ج4: 87.

(4) الطبري (1973)، ج1: 240.

(5) المقدسي (1994): 363؛ مجير الدين (1973)، ج1: 261.

معاوية بن أبي سـفيان الذي أخذ البيعة بالخلافة في مدينة القدس، وأصبح معروفاً باسم «أمير الأرض المقدسة». لقد أعطت هذه البيعة للمدينة المقدسة بُعداً سياسياً جديداً، فلم تعد مجرد عاصمة لفلسـطين أو منطقة بلاد الشـام، بل عاصمة الإمبراطورية أو عاصمة الخلافة[1].

وقـد حفظت لنا المصادر أكثر من دليل على أن معاوية كان كثير التردد على مدينة القدس، هـذا إن لم يقضِ معظم وقته فيها. وكان يجتمع بالناس عـلى منبرها، وكثيراً ما كان يُلقي خطبة الجمعة في المسجد الأقصى[2]. أما على صعيد الممارسة السياسية، فإن الحجم السياسي لمدينـة القدس إبان عهد معاوية كان يفوق حجـم أي عاصمة إقليمية من عواصم أجناد بلاد الشام، أو الأقطار الإسلامية الأخرى، ولم تكن القدس مجرد مركزٍ لمنطقة ما، بل إنها كانت عاصمة لكل بلاد الشام التي كانت تحت نفوذ معاوية[3].

وبمقارنة مدينة دمشق مع مدينة بيت المقدس في عهد بني أمية، نرى أن حظ بيت المقدس كمسرحٍ للحدث السياسي يفوق بكثير حظ مدينة دمشق، وبخاصة على مستوى الخلافة. فلم تكن بيعة معاويـة في مدينة القدس حدثاً عرضياً لا يتكرر، فها هو الخليفة عبد الملك بن مروان الذي يُعتبر المؤسـس الثاني للحكم الأموي، يتلقى البيعة لما اسـتخلف في عام 65هـ/ 684م في مدينة القدس أيضـاً. وكان قبل أن يُبايع بالخلافة قـد تولى إمارة جند فلسطين، وكان يُقيم في فترة إمارته في بيت المقدس[4].

ووصلت مكانة بيت المقدس السياسـية ذورةً أُخرى على مسـتوى الخلافة الإسـلامية، عندما حولها الخليفة سـليمان بن عبد الملك عاصمةً لدولته في أثنـاء مدة خلافته مع أنها

(1) المقدسي (1994): 312؛ المقدسي (1907)، ج4: 87.

(2) ابن المرجى (1995): 148.

(3) عثامنة (1996): 404.

(4) ابن المرجى (1995): 185.

قصيرة، حيث تُجمع الروايات أن سـليمان كان في البلقاء عندما توفى الوليد بن عبد الملك، فأتى سـليمان بيت المقدس، وأتته الوفود بالبيعة فكان يستقبل المبايعين في صحن المسجد الأقصى ما بين المسـجد وقبة الصخرة. واتخذ بيت المقـدس منزلاً وجمع الناس والأموال بها، وهذه إشارةً إلى أن سليمان قد اتخذ قراراً نهائياً بجعل القدس عاصمةً للخلافة. كما أنه لم يجلس أو يقم في مدينة القدس لكي يسـتقبل الوفود والمبايعين فحسب، وإنما كان يعمل على مراجعة قضايا الناس ويُصرف أمورهم مستعيناً بِكُتَاب الدواوين الذين جمعهم إليه، وببيت المال المركزي (خزينة الدولة) الذي جعله في المدينة[1].

ولعل ما يؤكد أن بيت المقدس اسـتمرت عاصمة للدولة الأموية بعد سـليمان، أن عمر بن عبد العزيـز بعد توليه الخلافة من بعده جمع كبار موظفي الدولة لمحاسـبتهم في بيت المقدس. وهذا يُشير بشكلٍ واضحٍ إلى أن الوثائق الرسمية وسجلات الخِراج وكشوفات الدخل والصرف، كانت ما تزال في الدواوين، التي كما ذكرنا سابقاً ونقلها سليمان إلى بيت المقدس[2].

في سنة 132هـ/ 750م انتهى دور الأمويين وسيطر العباسيون على مركز السلطة في الدولة الإسلامية، واسـتمر الاعتراف بمكانة القدس في عصر بني العباس. الملاحظة الأولى في هذا الإطار تأتي من قيام أبي جعفر المنصور، المؤسـس الحقيقي للدولة العباسية بزيارتين لمدينة القدس الأولى 140هـ/ 758م[3]، والثانية 154هـ/ 771م .[4]كما زار القدس الخليفة العباسي الثالث المهدي في عام 163هـ/ 780م[5] وكذلك الخليفة المأمون الذي قدم بيت

(1) عثامنة (1996): 413 – 414؛ مجير الدين (1973): 281 – 282؛ ابن المرجى (1995): 226؛ المقدسي (1994): 345.

(2) عثامنة (1996):415.

(3) الطبري، ج8: 44.

(4) الطبري. ج8: 44.

(5) الطبري، ج8: 148.

المقدس سنة 215هـ / 830م، حيث قام بعديدٍ من الإصلاحات، وتخليداً لذلك أمر المأمون بضرب فلوس كتب عليها اسم القدس، وهذا يدل على أن المدينة آنذاك كان تُعرف بهذا الاسم، وهناك اهتمام بها، وفيها دار للسكة زمن العباسيين[1]. ويذكر المقدسي أيضاً أن أمَّ الخليفة العباسي المقتدر بالله اهتمت باصلاح قبة الصخرة سنة 301هـ / 913م حيث أمرت بصنع أبواب قبة الصخرة من خشب التنوب[2].

أما في العهد الفاطمي، فقد خضعت المدينة لإدارتهم وحكمهم حوالي قرن من الزمان 359هـ – 463هـ / 969 – 1070م. وقد تميزت فترة حكم الفاطميين بالاضطرابات نظراً للصراع العسكري مع العباسيين. وتبرز هذه العناية من خلال اهتمامهم بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة.

الوضع السياسي في نهاية هذه الفترة كان مضطرباً بسبب تقدم حملات الفرنجة حيث سقطت القدس بأيديهم في عام 492هـ / 1099م. وقد ارتكب فيها الفرنجة مجزرةً رهيبة، وتحولت منطقة الحرم القدسي الشريف إلى منطقة أُقيمت فيها الكنائس، ومساكن للفرسان، واصطبلات لخيولهم. وقد وصف المؤرخ المقدسي مجير الدين الحنبلي احتلال الفرنجة لمدينة القدس بقوله: «لم يرَ الإسلام مصيبة أعظم من ذلك»[3]، وكان هذا نتيجة للضعف والصراع الذي كان يخيم على الحكام المسلمين سواءً أكانوا الفاطميين في مصر أم السلاجقة في تركيا أو حتى العباسيين في بغداد، حيث أن التنازع بينهم على بلاد الشام قد سهل على الفرنجة مهمتهم، ونجاحهم في الاستيلاء على بيت المقدس، وأقسام كبيرة من بلاد الشام[4]. كان هذا الاحتلال محنة كبيرة على المسلمين، الذين عجزوا عن استراد بيت المقدس لعدة عقود. كما أدى هذا الوضع إلى حالة من عدم الاستقرار، وانعدام الطمأنينة

(1) شما (1986): 47 – 48.

(2) المقدسي 1987: 146.

(3) (مجير الدين 1973: ج1: 310).

(4) (العسلي 1990: 814)..

في المنطقة، والذي انعكس بدوره على كافة أنحاء الدولة الإسلامية التي أصبح شغلها الشاغل استراد المدينة المقدسة من أيدي الفرنجة. فبعد قرن من الزمان تقريباً أفرز الوضع السياسي الذي كانت تعيشه المنطقة قادةً مثل آل زنكي الذين كانوا يحكمون في شمال سوريا والعراق «الموصل وحلب» وقد كرس أولئك جهودهم للتصدي بشكلٍ جدي للصليبيين، إلى أن خلص الأمر لصلاح الدين الذي استردها في عام 583هـ/ 1187م.

كان لهذا النصر صدى كبيراً في مشارق الأرض، ومغاربها، حيث كان هذا الصدى سلبياً بالنسبة للفرنجة وإيجابياً للمسلمين. وقد أعاد صلاح الدين الطابع العربي الإسلامي للمدينة، وذلك باتخاذه عدة خطوات سريعة في إعادة إسكان العرب فيها، وكذلك تغيير كثير من المعالم التي وضعها الفرنجة في القدس بعامة ومنطقة المسجد الأقصى بخاصة. لم يحافظ ورثة صلاح الدين على إنجازات والدهم، حيث قام أحدهم وهو الملك الكامل بن صلاح الدين 626هـ/ 1229م بتسليمها مرةً أُخرى للفرنجة، واستردها بعد ذلك الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى 637هـ/ 1239م، الذي عاد فسلمها لهم بعد أربع سنوات 641هـ/ 1243م، وفي سنة 642هـ/ 1244م استردها الملك الصالح نجم الدين أيوب نهائياً[1].

مما تقدم يبدو واضحاً أن استيلاء الفرنجة قد أخرج مدينة القدس من دائرة الحياة السياسية العامة في الدولة الإسلامية خلال التسعين عاماً التي حكموا فيها حتى أواخر 12م. لقد استرد صلاح الدين فعلاً بيت المقدس، وقام بعمل تغيير كبير في المعالم التي طبعها الفرنجة على المدينة، إلا أنها بقيت لمدة قرن آخر تقريباً تحيا حياةً قلقة غير مستقرة، ولا تنعم بالأمن والاطمئنان إلى المستقبل، ولا يعرف أهلها من المسلمين ما يخبئه لهم المستقبل القريب أو البعيد[2].

(1) (مجير الدين 1973، ج2:6 – 10).

(2) (عاشور 1983: 81).

وعلى الرغم مما ذكره المؤرخون من تدفق المسلمين على مدينة القدس بعد أن حررها صلاح الدين، إلا أن ذلك لا يعني أن المدينة عادت بسرعة الى حالتها الطبيعية؛ وذلك لأن الأوضاع العامة لبلاد الشام وبصفة خاصة فلسطين انعكست بصورة مكثفة على أوضاع بيت المقدس. وبذلك فإن اتفاقية الرملة بين صلاح الدين وريتشارد سنة 1191م، أدت إلى حالة من الاستقرار بين المسلمين والفرنجة، ولكن هذا الوضع الجديد كان أقرب إلى الترقب منه إلى الاستقرار بالنسبة لمدينة بيت المقدس، وهذا يوضح ما تم ذكره سابقاً بأن الفرنجة عملوا جاهدين على استرداد بيت المقدس إلى حظيرتهم[1].

الناحية الثقافية:

كان فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبيت المقدس بدايةً لحركة ثقافية إسلامية موجهة، وكانت الخطوة الأولى التي بدأ فيها الخليفة الراشدي هي الأمر ببناء المسجد الذي يُعتبر مركزاً للمسلمين من الناحية الثقافية والعلمية إلى جانب مركزه الديني والسياسي والاجتماعي. فهو إلى جانب دوره الديني بإقامة الصلوات والشعائر الدينية، كان يقوم بالدور الذي تقوم به المؤسسات الجامعية اليوم في حقول الثقافة والعلم والفكر، وذلك لأن كبار العلماء الذين يعتز بهم الفكر الإنساني، ويتباهى المسلمون بهم وبتراثهم الفكري والعلمي المتنوع، قد بدأوا واجباتهم العلمية في أروقة المساجد، كما كان المسجد بمثابة المجلس القضائي للمجتمع الإسلامي، حيث كان الخليفة أو الحاكم يجلس أياماً معينة في الأسبوع لمعالجة الأمور القضائية الخاصة بالمسلمين من خصوماتٍ، ومنازعاتٍ، ومعاملاتٍ ترتكز في حكمها على الشريعة الإسلامية. ولهذا كان المسجد الأقصى المعهد العلمي الوحيد في القدس خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة. وكانت أهم الموضوعات التي تُدرس فيه: القرآن الكريم والتفسير، والحديث النبوي، والفقه، ثم النحو والصرف والأدب.

وكان علماء المسلمين منذ البداية حريصين على شدِّ الرحال إلى المسجد الأقصى للصلاة فيه

(1) (ابن الأثير. الكامل: حوادث سنة 492هـ).

ونشر تعاليم الدين. ومن أبرز هؤلاء العلماء عالمان كبيران استقرا في المدينة المقدسة، وعَلَما فيها وتوفيا فيها وهما: عبادة بن الصامت الذي كان أول من وليَّ قضاء فلسطين. وقد كلفه عمر بن الخطاب بالتعليم في بيت المقدس إلى جانب مسؤولياته الأخرى، وتُوفي في القدس عام 34هـ / 654م. وشـــداد بن أوس الأنصاري وكان ذو علم وحلم توفي سنة 41 هـ/ 661م وقبراهما بمقبرة باب الرحمة بجانب السور الشرقي للمسجد الأقصى حتى اليوم[1].

ومن بعد هذين العالمين الإســـلاميين جاء إلى القدس والمسجد الأقصى عشرات بل مئات من كبار علماء الإســـلام الذين علّموا في المســـجد الأقصى وقبة الصخرة، حيث شهدت الحركة العلمية في بيت المقدس خلال القرن الثاني للهجرة وفي ظل العباسيين انتعاشاً كبيراً تمثـــل في زيارة عدد كبير من جلّة العلماء والأئمة من مختلف البلدان إلى المســـجد الأقصى، ومن هؤلاء العلماء مُقاتل بن سليمان الذي كان يجتمع إليه الناس عند باب الصخرة القبلي يكتبون عنه ويســـمعون منه. توفي سنة 150 هـ/ 761م والإمام الأوزاعي عبد الرحمن بن عمر فقيه أهل الشـــام ومجتهدهم، جاء إلى بيت المقدس وصلى في المســـجد الأقصى وتُوفي ســـنة 157 هـ/ 773م. والإمام الزاهد ســـفيان الثوري إمام أهل العراق، أتى إلى المسجد الأقصى، فصـــلى فيه، ثم ختم القرآن في قبة الصخرة. والإمام الليث بن ســـعد عالم مصر وإمامها. وكان نظير الإمام مالك بن أنس في العلم، قَدِمَ بيت المقدس سنة 141هـ/ 758م لزيارته والصلاة فيه، واجتمع فيه بالخليفة أبي جعفر المنصور وتُوفي بمصر ســـنة 175هـ/ 791م، والإمام محمد بن إدريس الشافعي عالم قريش وأحد الأئمة الأربعة، ولد بغزة سنة 150هـ/ 767م وتُوفي سنة 204 هـ/ 819م[2].

وفي القـــرن الثاني الهجـــري أيضاً أخـــذت الصوفية في الظهور، وأخـــذ الصوفيون يشـــدون الرحال إلى بيت المقدس بأعدادٍ كبيرةٍ، حيـــث أصبحت القدس مركزاً من مراكزهم الهامة، وبقيت كذلك حتـــى أواخر الفترة العثمانية. وكان ممن قدم القدس

(1) (المقدسي 1994: 315 – 316؛ العسلي 1981: 81).

(2) (العسلي 1981: 28؛ العسلي 1990: 811).

من مشـــاهيرهم في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاســـع الميلاديين: أُم الخير، رابعة العدوية المتوفاه ســـنة 185هـ/ 801م، وبِشر ابن الحارث الحافي المتوفي ســـنة 270هـ/ 840م، وإبراهيم بن أدهم الذي مات مجاهداً ســـنة 140هـ/ 757م. والسري بن المغلس السقطي المتوفي سنة 256هـ/ 870م[1].

وقد شـــهدت القدس في الفترة الفاطمية في القرن الرابع الهجري نهضةً علميةً واســـعةً، إذ أنشـــأ الفاطميون في المدينة المقدسة مؤسســـتين هامتين الأولى: البيمارستان الفاطمي، الذي مهّد لحدوث نهضة طبية. ويُعتبر هذا البيمارســـتان الإســـلامي الأول الذي أُقيم في مدينة القدس، وأول من وصفه لنا هو الرحالـــة الفارسي ناصر خسرو في رحلته، وقال: «وفي بيت المقدس مستشـــفى عظيم عليه أوقاف طائلة ويصرف لمرضاه العديدين العلاج والدواء، وبه أطبـــاء يأخذون مرتباتهم من الوقف»[2]. وبرز في المدينة المقدســـة عددٌ من الأطباء المشهورين أشهرهم: محمد بن أحمد سعيد التميمي.

الثانية هي دار العلم: وأخبرنا عنها أبو الفداء[3] قال: «أن هذه الدار كانت تقع في كنيســـة القديسة حنة بجوار باب الأسباط»، التي أصبح فيها فيما بعد المدرسة الصلاحية، ويرجح أن مؤسسها هو الحاكم بأمر الله الفاطمي في أواخر القرن السابع الهجري، استمرت حوالي قرن من الزمان إلى أن احتل الفرنجة القدس.

وفي القرن الخامس الهجري في العهد السلجوقي، شهدت مدينة القدس نشاطاً علمياً على أساس المذهب الشافعي، فأسس خلاله الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي الزاوية النصرية الشافعية التي غدت محوراً لنشاط علمي كبير، ثم سافر إلى دمشق سنة 471هـ/ 1078م، لكن زاويته أو مدرســـته ظلـــت قائمة، وتولى أمرها القاضي يحيـــى بن علي المعروف بابن الصائغ. وفي هذه الفترة كان المســـجد الأقصى غاصاً بالعلماء من أقطار إســـلامية عديدة،

(1) (مجير الدين 1973، ج1: 291 – 295).

(2) (خسرو 1970: 21).

(3) (ابو الفدا. ج3: 21).

من الأندلس والحجاز وخراسان وفارس ومنهم: الإمام الطرطوشي الأندلسي المالكي تلميذ ابن حزم الذي أتى إلى بيت المقدس سنة 476 هـ / 1083م. والإمام أبو حامد الغزالي الطوسي، حُجة الإسلام اعتكف في المسجد الأقصى سنة 488هـ / 1095م ودرَّس فيه، وفي المدرسة النصرية وشرع في تأليف كتبه «إحياء علوم الدين» «والقسطاس» «ومحك النظر». وعلى قول الغزالي أنه كان في المسجد الاقصى ثلاثمائة وستون مدرساً، ويقال أنه بكيَّ حينئذ بسبب قلة عدد المدرسين الذين كانوا في المسجد الأقصى في ذلك الوقت، وذلك مقارنة بما كان في السابق. والإمام أبو الفرج عبد الواحد بن أحمد بن محمد الشيرازي، ومحمد بن عبد الله أبو بكر العربي الإشبيلي 468 – 543هـ/ 1076 – 1148م. وقد نقل أبو بكر العربي الذي زار القدس سنة 485هـ/ 1093م في كتابة «قانون التأويل» صورة حافلة لاجتماع العلماء بالمسجد الأقصى، والمناظرات العلمية التي كانت تدور بينهم وبين اليهود والنصارى[1].

في ظل هذا الازدهار العلمي الذي كان يشع به المسجد الأقصى وعدد العلماء الذين كانوا يقيمون فيه. سقطت القدس صريعة تحت سنابك خيل الفرنجة عام 492هـ / 1099م. وذبح سكانها وعلماؤها.

وبعد قرنٍ من الزمان 583هـ / 1187م استرد صلاح الدين القدس من الصليبين، وكان لهذا النصر العظيم دويّ شديد في مشارق الأرض ومغاربها. وعاد الوضع في القدس إلى ما كان عليه قبل احتلال الفرنجة، فعاد إلى الأقصى عهده العلمي والثقافي السابق وبدأت جماهير العلماء تفدُ من جديد إلى القدس والمسجد الأقصى تتبرك وتدرس، وتذيع فضائله وفضائل بيت المقدس في الناس.

قرب صلاح الدين العلماء وأحسن إلى عددٍ كبيرٍ منهم، وحضر مجالسهم في القدس، وكان منهم وزيره القاضي الفاضل، والكاتب عماد الأصفهاني، والقاضي بهاء الدين بن شداد وعبد اللطيف البغدادي العالم والرحالة والطبيب الذي شملت معرفته النحو واللغة

(1) (العسلي 1990: 813؛ ابو بكر العربي 1968: 81 – 83).

وعلم الكلام والحديث وكان مقرباً من صلاح الدين.

ووصف عبد اللطيف البغدادي في كتابة «الإفادة والاعتبار» مجلس صلاح الدين في القدس فقال: «وأول ليل حضرته وجدت مجلساً حافلاً بأهل العلم يتذاكرون في أصناف العلوم وهو يُحسن الاستماع والمشاركة». وقد اشترك عبد اللطيف البغدادي في التدريس بالمسجد الأقصى[1].

وقد أورد مجير الدين الحنبلي في الجزء الثاني من الأنس الجليل سيراً مختصرة لحوالي 420 عالماً، وخطيباً، ومؤلفاً ممن عاشوا في بيت المقدس منذ الفتح الصلاحي وحتى سنة 900هـ/ 1494م. وهذا طبعاً جزءٌ من العلماء والفقهاء حيث لا يمكن إحصاؤهم كلهم. وقد قصد المسجد الأقصى أيضاً كغيره من المعاهد العلمية في تلك الفترة علماء من بلاد الهند، والأفغان، وفارس، والعراق، وسوريا، ومصر، والمغرب، والأندلس للدرس والتدريس فيه.

وقد أوجد الأيوبيون أيضاً نظاماً آخر للتدريس في مدينة القدس إلى جانب المسجد الأقصى ألا وهو نظام المدرسة، التي كانت عبارة عن مؤسسات للتعليم العالي، وقد أسس الأيوبيون عشر مدارس، أهمها المدرسة الصلاحية التي أسسها صلاح الدين، وقد أُنشئت في دار العلم الفاطمية. وكانت هذه المدرسة من مؤسسات العلم المرموقة في العالم الإسلامي، وعملت حوالي ستمائة سنة، وكان مدرسوها من كبار العلماء[2].

وممن اجتهد في إنشاء المدارس من الأيوبيين بعد صلاح الدين الملك المعظم عيسى الذي جدد المدرسة النصرية، والأفضل بن صلاح الدين الذي أنشأ المدرسة الأفضلية. وعاشت معظم هذه المدارس فترة طويلة من الزمن، وأدت خدمات كبيرة في نشر العلوم الإسلامية.

ومن المنشأت الأخرى التي كانت تنهض بمهمات تعليمية جنباً الى جنب مع المدارس: الخانقاه، وهي مؤسسة دينية تعليمية خُصصت للمتصوفين. والمتصوفة هم المقيمون

(1) (البغدادي : 10).

(2) (العسلي 1981: 54 – 72).

فيها، وهم طلاب علم، لذا كان يُعين في الخانقاه عددٌ كبيرٌ من الشيوخ والعلماء والفقهاء ليقوموا بمهمة التعليم فيها. وأشهر هذه الخانقاوات: الخانقاه الصلاحية التي أنشأها صلاح الدين، وما يزال مبناها قائماً في القدس، وقد أوقفها على الصوفية حيث ساعدت على بعث الحياة الصوفية من جديد في المدينة المقدسة[1].

وبعد الفتح الصلاحي بدأ موضوع فضائل بيت المقدس يحتل مكاناً مهماً في مجالس التدريس في المسجد الأقصى، وذلك لأن استرداد المدينة المقدسة من أيدي الفرنجة أثار شعوراً دينياً عميقاً بأهمية القدس والمسجد الأقصى للمسلمين.

وقد أخذ مدرسو المسجد الأقصى وعلماء القدس بخاصة، وعلماء المسلمين بعامة بوضع الكتب الخاصة بهذا الموضوع وسميت بكتب الفضائل ومن هذه الكتب:

- فضائل القدس والشام للمشرف بن المرجا بن إبراهيم المقدسي الذي عاش في القدس في القرن الخامس الهجري.
- فضائل القدس لأبي الفرج الجوزي. المتوفي سنة 597هـ/ 1200م.
- مثير الغرام في زيارة القدس والشام، لأحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي المتوفى سنة 745 هـ/ 1344م.
- إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، لشمس الدين السيوطي المتوفى سنة 880هـ/ 1475م.

الناحية الاجتماعية:

أفرزت الأهمية الدينية أيضاً مظاهر اجتماعية بدأت تظهر آثارها في المدينة المقدسة منذ اليوم الأول الذي استلم فيه المسلمون المدينة، حيث أصبحت الحياة العامة مبنية على أسس وتعاليم إسلامية.

فقد سكن القدس بعد الفتح العمري إلى جانب سكانها الذين استمروا في الإقامة فيها وفقاً

(1) (المصدر السابق: 330).

للعهدة العمرية، جماعة من الصحابة الذين عاشوا فيها وصارت دار إقامة لهم ولذريتهم من بعدهم[1]، كما نزلها آخرون للعبادة والتبرك أو لزيارة مقدساتها والتعرف على معالمها وتفقد شؤونها. وسرعان ما أخذت أعداد سكان أهلها العرب في النمو، حيث أصبح مسيحيو القدس أقلية بالمقارنة مع أهلها من المسلمين. ولما زار الأسقف الفرنسي أركولف مدينة القدس في خلافة معاوية بعد مرور جيل واحد فقط على فتحها، وجد أن مسجد المدينة يتسع لثلاثة آلاف مصلي[2]. بناءً على هذا العدد فإن سكان القدس العرب بعد منتصف القرن السابع الميلادي كان يصل إلى أكثر من عشرين ألفاً[3]. لذا فإن الحياة الاجتماعية قد أخذت طابعاً جديداً يتلاءم والتعاليم الإسلامية. وقد فرضت بعض التقاليد الشعائرية نفسها في الحياة اليومية، إضافة إلى تقاليد أخرى أفرزتها الفضائل التي تتمتع بها المدينة.

فالصلاة على سبيل المثال، هي من أهم الشعائر الإسلامية وهي أحد أركان الإسلام الخمسة، وتُشكل في واقعها جوهر الديانة الإسلامية، ويذكر المؤرخ ناصر خسرو الذي زار القدس عام 438هـ/ 1053م، أن الصلاة كانت تُقام في المساجد كل يوم جمعة[4]. ويُرافق الصلوات شعار الدعوة للصلاة، ألا وهو الآذان الذي من خلاله تُحدد أوقات الصلوات، ويتوجه المسلمون للصلاة في المساجد. ونتيجة لفضل الصلاة في بيت المقدس ومضاعفة ثواب الصلاة في مسجدها التي تقدر بخمسمائة صلاة كان يأتيها الناس من كل مكان[5].

كذلك الأعياد والاحتفالات الدينية والمناسبات الاجتماعية، التي تعددت عبر الفترات الإسلامية. وللمسلمين عيدان رئيسان: عيد الفطر الذي يأتي بعد صوم شهر رمضان، وعيد الأضحى الذي يأتي بعد انقضاء وقت موسم الحج، ولكلا العيدين طقوس خاصة تتضمن

(1) (المقدسي 1994: 369؛ مجير الدين 1973، ج1. 285 – 305.).

(2) (Wright 1948: 1 – 2.).

(3) (عثامنة 1996: 389 – 390).

(4) (خسرو 1970: 23).

(5) (ابن المرجى 1995: 177).

العودة للحياة العادية بعد الصوم والصلوات، وذبح الأضاحي، والزيارات العائلية وغيرها.

كما عرفت القدس مواسم ومناسبات أُخرى بدأت تظهر عبر الفترات الإسلامية، لكل منها مظاهر احتفالية مختلفة تتلاءم عادة مع هذه المناسبات مثل: المولد النبوي الشريف، وذكرى الإسراء والمعراج، وصوم رمضان، ورأس السنة الهجرية. ومن المواسم: موسم النبي موسى، وموسم النبي صالح، وموسم النبي روبين وغيرها.

فضلاً عن ذلك، فإن القدس تميزت بعديد من الفضائل التي ذكرت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وقد انعكس تأثيرها جميعاً على الحياة الاجتماعية بحيث اجتذبت كثيراً من الناس للإقامة في بيت المقدس. فمما ذُكر عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: «من أهلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام عفى الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» أو «وجبت له الجنة». هذا الحديث أوجد وضعاً اجتماعياً أدى إلى رغبة كثير من الناس أن يبدأ شعائر الحج والإحرام من بيت المقدس. كما أن بعضهم قد حرص على زيارة بيت المقدس بعد حجهم إلى مكة المكرمة وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة تطبيقياً لحديث آخر يقول «لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا». وكان من أوائل الذين أحرموا من المسجد الأقصى هو الخليفة عمر ابن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما[1].

وكذلك فضل زيارة المدينة المقدسة سواء أكان ذلك للصلاة فيها أو زيارة الأماكن المقدسة وذلك لقدسيتها وقيمتها الدينية. وهناك حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم يخص فضل الزيارة «عن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: قلت يا رسول الله أفتنا عن صخرة بيت المقدس. قال: أرض المحشر والمنشر، إئتوه فزوروه فإن الصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه، فمن لم يستطع منكم أن يزوره، فليهدِ إليه زيتاً يسرج فيه، فمن أسرج فيه كمن صلى فيه»[2].

(1) (مجير الدين 1973، ج1: 231).

(2) (ابن المرجى 1995: 158).

وقد اعتاد الناس زيارة المدينة المقدسة خلال جميع الفترات وطيلة أيام السنة، وبشكل خاص في المناسبات المهمة، وقد ذكر ناصر خسرو أن المسلمين غير القادرين على زيارة مكة المكرمة في أثناء فترة الحج، كانوا يأتون لمدينة القدس لزيارة المسجد الأقصى وتقديم الأضاحي هناك[1].

وهناك الكثير ممنَّ كان يسكن في المدينة بسبب فضل السكن والإقامة فيها، وكذلك فضل مجاورة المسجد الأقصى. فقد رُوي عن ذي الأصابع أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرايت يا رسول الله إن ابتلينا بالبقاء بعدك، فأين تأمرنا؟ قال: عليك ببيت المقدس. لعل الله يرزقك ذرية تغدوا إليه وتروح»[2]، حيث ساهم هذا الحديث في سكن الكثير ممن زاروا بيت المقدس بهدف الصلاة والتبرك والبقاء حتى يتوفاهم الله وذلك طبقاً لفضيلة أخرى لها علاقة بالموت في بيت المقدس، تُشير أن من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء الدنيا، ومن مات حوله فكأنما مات فيه[3]. وأن هناك تسعة صحابيين ماتوا ودفنوا في بيت المقدس وردت أسماؤهم في كتب التراجم، هذا إضافة إلى فضائل أُخرى كثيرة يتمتع بها بيت المقدس، ساهمت جميعها في جعل هذا المكان في قلوب الناس في سائر أجزاء الإمبراطورية الإسلامية. وجعلها دائماً مسكونة بجميع الأجناس البشرية ومن مختلف الطبقات الاجتماعية.

الناحية المعمارية:

حظيت مدينة القدس بناءً على أهميتها وقدسيتها بأبنية معمارية متميزة، ظهرت فيها بشكل تدريجي خلال الفترات الإسلامية المختلفة. وتركت كل فترة من الفترات بقايا معمارية ومعالم حضارية تبرز من خلالها الطابع المعماري الإسلامي، الذي بدأ يتطور في مدينة القدس منذ دخول المسلمين إليها.

(1) (خسرو 1970: 20).

(2) (ابن المرجى 1995: 158).

(3) (الواسطي 1979: 46 – 53).

وفي هـــذا الإطار تذكر المصادر التاريخية فضل عمارة بيـــت المقدس، حيث يقول صلى الله عليه وسلم: «من بنى في بيت المقدس بناءً أو أثر فيه أثراً حسناً أو عمّر فيه شيئاً، زاد الله في عمره خمسة عشر سنة، وزاد الله له من المال والولد، وإن كان ملكاً ملّكه الله إياه»[1].

وقد بدأ النشـــاط المعماري هذا في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب عندما أمر ببناء مسجد، وجدده معاوية الذي يعتقد أنه المســـجد الأقصى الأول. واستمر هذا النشاط في العـــصر الأموي، حيث عمل الأمويون على بناء المســـجد الأقصى أيضاً، الذي حل مكان المسجد الأقصى الأول، وقد بناه الوليد ابن عبد الملك في الفترة الواقعة بين 96هـ/ 714م» وكذلك قبة الصخرة المشرفة بناها عبد الملك بن مروان في 72هـ/ 691م. وقد بُنيت بطراز معماري متميز فريد من نوعه لم يتكرر خلال الفترة الإسلامية. كما تم بناء دار الإمارة التي تم الكشـــف عنها في الجهة الجنوبية الغربية لمنطقة المســـجد الأقصى. وهي عبارة عن بقايا معمارية لخمسة مبانٍ ضخمة[2]. أما العباسيون فقد عملوا على إعادة إعمار المسجد الأقصى زمن الخليفة العباسي المنصور، بعد ســـقوط الأجزاء الغربية والشرقية من المســـجد بفعل الزلزال الذي وقع ســـنة 130هـ/ 749م[3]. كذلـــك كان هناك اهتمام بإعمار قبة الصخرة. حيث عمل الخليفة العباسي المأمون[4]. وهناك نقشـــان فوق أحد أبواب قبة الصخرة تُشير إلى أن المأمون أمر بإصلاح القبـــة خلال ولاية أخيه المعتصم. وكذلك أُم الخليفة العباسي المقتدر بالله (295 – 320هـ/ 907 – 932م. التي أمرت عام 301هـ/)913 بصنع أبواب قبة الصخرة الأربعة، وقد ذكر ذلك المقدسي في كتابه أحســـن التقاسيم، إضافة إلى وجود نقشين للدلالة على ذلك في القبة نفسها[5].

(1) (المقدسي 1994: 230).

(2) 55 Creswell 1989: – 96.

(3) 56 Creswell 1989: – 82.

(4) (مخلص 1928: 163).

(5) (المقدسي 1987: 146).

بعد العباسيين، أولى الفاطميون المدينة المقدسة وخاصةً المسجد الأقصى وقبة الصخرة عنايتهم الكاملة، حيث قام خليفتان من خلفائهم هما: الظاهر لإعزاز دين الله 411 – 427هـ/ 1020 – 1036، والمستنصر بالله 427هـ – 487هـ/ 1036 –1094م بأعمال تعمير مهمة في كل من المسجد الأقصى وقبة الصخرة سجلها Van Berchem[1]، كذلك أعاد الخليفة الظاهر ترميم المسجد الأقصى سنة 426هـ/ 1035م على أثر الزلزال الذي ضرب المنطقة سنة 425هـ/ 1033م[2]. وبعده أمر الخليفة المستنصر بالله بتجديد الواجهة الشمالية للمسجد الأقصى[3] كما أنشأ الفاطميون مؤسستين مهمتين في القدس هما البيمارستان الفاطمي ودار العلم الفاطمية[4]. كذلك بنوا سور المدينة وتحصيناتها مرتين الأولى سنة 425هـ/ 1033م زمن الظاهر، والثانية سنة 453هـ/ 1063م زمن المستنصر.

إلا أنه وفي الفترة التي كانت العمارة في هذه المدينة بدأت تأخذ دوراً بارزاً، تعرضت مدينة القدس لهجوم من قِبَل الفرنجة، وخضعت المدينة لحكمهم، ووضع حد لاستمرار تطورها المعماري من خلال قتل المسلمين وتشريدهم وارتكاب الجرائم ضدهم. وقد عمل الفرنجة في مدينة القدس على توظيف كل ما وجدوه فيها لمصالحهم الخاصة، حيث تم تحويل قبة الصخرة المشرفة إلى معبد، وأصبح المسجد الأقصى مكاناً للإدارة ومخزناً لإسلحتهم واصطبلات لخيولهم. وعملوا على تقسيم المدينة إلى أحياء متعددة أضافوا إليها العديد من الأبنية: كالكنائس والأديرة ، حيث أرادوا بذلك صبغ المدينة بالطابع المسيحي، تطبيقاً للهدف الذي جاءوا من أجله[5].

وأمثلة ذلك: كنيسة القديسة سانت أجنس بالقرب من باب العامود، والقديسة مجدولين

(1) (Van Berchem 1925: Nos. – 225.)

(2) (Van Berchem 1925. No. ؛ Creswell 1969. Vol. I Part II: 375)

(3) (Huseini 1939: 781790)

(4) (سبق التحدث عنهما ف الناحية الثقافية).

(5) (الحياري 1992: 177 – 178).

بالقرب من برج اللقلق، وكنيسة إيلي بالقرب من راهبات صهيون، وكنيسة الراحة على طريق الآلام، وكنيسة القديسة مريم للألمان على الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة، وسانت مارتيمونس وسانت بتس الواقعتان على الشارع المؤدي إلى باب النبي داود وسانت مارك وسانت توماس وسانت سابس وكتدرائية سانت جيمس في منطقة حي الأرمن، وكنيسة سانت جيمس بالقرب من باب الخليل. هذا بالإضافة إلى الكنائس التي كانت بجانب منطقة كنيسة القيامة والتي كانت ضمن منطقة الموريستان الذي تم بناؤه في تلك الفترة، وهي كنيسة القديسة مريم اللاتينية وكنيسة القديسة ماري وكنيسة سانت جونز.

بانتهاء هذه الفترة عادت المدينة المقدسة إلى أيدي المسلمين بعد أن استردها صلاح الدين 583هـ/ 1187م. وكان الدور الأيوبي فيها هو إعادتها إلى ما كانت عليه قبل دخول الصليبيين إليها، وهذا يعني إعادة الطابع الإسلامي إليها. وقد عمل الأيوبيون من أجل ذلك على إعادة المسلمين إليها، وإعمار ما خلفه الفرنجة من دمارٍ وتخريبٍ، وبخاصة في المسجد الأقصى وقبة الصخرة، فقد وضع صلاح الدين المنبر الذي صنعه نور الدين في المسجد الأقصى[1]، وأعاد بناء أسوار المدينة، ثم عمل خلفاؤه على تحصينها. وأجرى ملوك الأيوبيين الآخرون إصلاحات مختلفة في منطقة المسجد الأقصى، فانشأ العادل أبو بكر شقيق صلاح الدين سقاية عُرفت باسمه، كما عمرّ الكأس الواقع بين قبة الصخرة والمسجد الأقصى 589هـ/ 1196م[2]، وقام ابنه الملك المعظم عيسى بإصلاحات وتعميرات كثيرة منها: إنشاء صهريج في ساحة المسجد الأقصى 607هـ/ 1210م، وتعمير قبة المسجد الأقصى، وبناء الرواق الذي يكون الواجهة الشمالية للمسجد نفسه، والذي يشتمل على سبعة أقواسٍ، يُقابل كل قوس منها باباً من أبواب المسجد السبعة[3]. وتجديد عدة قناطر في الحرم، وإنشاء القبة النحوية في صحن الصخرة وكذلك جدد باب الناظر،[4]

(1) (مجير الدين 1973، ج1: 339 – 340).

(2) (العسلي 1982: 22).

(3) (Hamilton. 1949: 47).

(4) (Van Berchem 1925. Nos. 161, 155, 154).

ومن ملوك الأيوبيين الذين لهم مآثر في منطقة المسجد الأقصى الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي أنشأ قبة موسى سنة 647هـ/ 1249م[1].

مما سبق ذكره يمكننا القول أن الأهمية الدينية لمدينة القدس قد نتح عنها أهمية سياسية تمثلت باهتمام الخلفاء المسلمين بها على طول الفترات الإسلامية من أبرزها استلام المدينة من قِبَل الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذي أضفى عليها صبغةً سياسية لكون الذي حضر رئيس الدولة وقائد الجيش وكذلك إقامة الخلفاء الأمويين وأخذ البيعة وجعل الدواوين فيها، إضافةً إلى الزيارات المتكررة للخلفاء الأخرين لها، الأمر الذي أكد دورها السياسي الهام. أما ثقافياً فقد ظهر هذا من خلال عدد من المؤسسات الثقافية التي أقامها الخلفاء فيها، وكذلك عدد العلماء المسلمين الذين كانون يشدون الرحال إليها والإقامة فيها لنشر العلم وإبقاء النهضة العلمية مستمرة، وذلك بإنشاء المدارس والخانقاوات والزوايا ودور العلم، واجتماعياً، أخذت هذه المدينة طابعاً اجتماعياً جديداً يتلاءم والتعاليم الإسلامية، وبسبب ما تمتعت به من فضائل كفضل الإقامة فيها، والصلاه، والزيارة والموت فيها، جعلها دائماً مسكونة بجميع الأجناس البشرية من مختلف الطبقات الاجتماعية.

وأخيراً معمارياً، فقد حظيت المدينة نتيجة لأهميتها الدينية بأبنية معمارية متميزة ظهرت بشكلٍ تدريجي خلال الفترات الإسلامية المختلفة. وتركت كل فترة من الفترات بقايا معمارية ومعالم حضارية تبرز من خلالها الطابع المعماري الإسلامي الذي بدأ يتطور في مدينة القدس منذ دخول المسلمين إليها، وهو تجسيدٌ لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم من فضل البناء في بيت المقدس، ولا تزال هذه الأبنية باقية إلى يومنا هذا مُبقيةً الطابع الإسلامي على المدينة.

(1) (No. 169) (المصدر السابق).

المراجـــع

- مجير الدين، الحنبلي 1973، **الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل**. عمان.

- عثامنة، خليل 1996، الوجه السياسي لمدينة القدس في العهود الإسلامية المبكر. **في كامل العسلي العلامة المقدسي وقضية القدس**. ص.ص 381 – 416. الجميعة الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية – باسيا. القدس.

- المطهر بن طاهر المقدسي 1903، كتاب البدء والتاريخ. بيروت.

- الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار العارف. بمصر.

- المقدسي 1994؛ شهاب الدين، **مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام**. تحقيق أحمد الخطيمي. بيروت.

- ابن المرجى، أبي المعالي المشرف ابن المرجي المقدسي 1995 **فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام**. تحقيق عوفر ليفنه – كفري. شفا عمرو، 1995.

- شما، سمير 1986، **النقود وعروبة القدس**. مجلة القدس الشريف. عدد10.

- العســـلي، كامل جميل 1990، مكانة القدس عربياً وإســـلامياً عبر التاريخ. **في الموســـوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد السادس. ص 795 – 835. بيروت.

- عاشور، سعيد عبد الفتاح 1983 بعض أضواء جديدة على مدينة القدس في عهد سلاطين المماليك. في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) المجلد الأول، ص80 – 127.

- ابن الأثير، علي بن محمد 1978 الكامل في التاريخ. بيروت.

- العسلي، كامل جميل. 1981 معاهد العلم في بيت المقدس. عمان.

- خسرو، ناصر 1970 سفرنامة. ترجمة يحيى الخشاب. بيروت. 1325هـ / 1907م.

- ابو الفدا. إسماعيل علي 1325هـ/ 1907 المختصر في أخبار البشر، ج3، القاهرة.

- أبو بكر العربي، محمد بن علي «قانون التأويل» (تحقيق: إحسان عباس)، مجلة الأبحاث مج 21، عدد2، 3،4. بيروت – الجامعة الأمريكية.

- البغدادي، عبد اللطيف الإفادة والاعتبار. القاهرة.

- الواسطي، أبي بكر بن أحمد 1979 فضائل البيت المقدس. (تحقيق: أ. حسون). القدس.

- المقدسي. البشاري 1987 أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. (تحقيق: د. محمد مخزوم). بيروت.

- مخلص، عبد الله 1928، الكتابات الأثرية العباسية في فلسطين – مجلة لغة العرب. ج2.

– الحياري، مصطفى 1992، القدس تحت حكم الصليبيين. في كتاب القدس في التاريخ. ترجمة: د. كامل العسلي. عمان.

- Theophanes. 1982. The Chronicle of Theophanes, (A.D. 602 - 813) with Introduction and Notes, by Harry Turtledove, Pennsylvania.

- Crewell, R. A. C 1969. Early Muslim Architecture, vol. I, Part II (2nd edition) Oxford The Clarendon press.

- Crewell, R. A. C 1989. A Short Account of Early Muslim Architecture, Revised and Supplemented by James W. Allan. Cairo.

- Hyed,U. 1960. Ottoman Documents in Palestine 1552 - 1615. Oxford.

- Wright, T. 1948. Early Travels in Palestine. London.

- Van Berchem, Max. 1925. Materiaux pour un corpus inscriptionum Arabicarum. Jerusalem Ville, Jeruslem Haram.

- Huseini, S. 1939. And inscripation of the Caliph al - Mustansir bi - llah. In Q.D.A.P vol IX.

- Hamilton, R. W. 1949. The Structural History of the Aqsa Mosque. London.

- Hellenbrand, R. and Others (ed) 2000. Ottoman Jerusalem Living City: 1517 - 1917. London

- Burgoyne,M. 1987. Mamluk Jerusalem. An Architectural Study Scorpion Publishing Ltd. England.

المكانة الدّينيّة للقدس في الضَّمير التّاريخيّ

د. هدى درويش

أستاذ الأديان المقارنة - جامعة الزّقازيق - مصر

مقـــدِّمة

القـــدس هي تلك المدينةُ العريقة التي لها مكانتُها وأهمّيّتُهـــا، بين بقاع العالَم. فقديمًا كانت مَطمعًا ومصدرًا لتنافُس مختلِفِ الإمبراطوريّات من يونانيّة، ورومانيّة، وفارسيّة، وغيرِها، مرورًا بالتَّتار والصَّليبيّين، في القرون الوسطى، حتّى الاحتلال الحديث الذي تواجِهُه من جانب الكيان الصّهيونيّ.

والقدس مهْدُ الرِّسالات السّماويّة، ومهْبِطُ الوحي، ومجتمعُ صلاة الأنبياء، تميّزت بقَداسة أرضها بكَوْنِها مدَفَنَ الأنبياءِ، وأتباعِهم المُقرَّبين.

وحقيقـــة الأمرِ، فإنّه لا يوجد صراعٌ أو خلاف بين الأديان، فالدِّين مصدرُه واحدٌ، يرجع لخالقِ الأكوان، والدّيانات على الأرض جميعُها تدعو إلى السَّـــلام والأمان، والإشـــكالُ الذي نُواجهُه في تلك البلدة المقدَّســـة هـــي العُنصريّة، والرَّغبة في السَّـــيطرة، والتَّملُّك، والعيشِ بشكل أحاديٍّ من جانب جماعاتٍ لا يرغبون في وجود غيرِهم على الأرض، وهم

أصحاب النَّزَعات السّياديّة من صهاينةِ اليهود الذين يَعُدُّونَ أنفسَهم شعبَ الله المختار.

وقد شهِدَ تاريخ القدس عهودًا إسلاميّة ومسيحيّة، ويهودية، لكنَّها لم تَنْعُمْ بالاستقرار إلّا في عهدِ الإسلام، حين تسلَّم مفتاحَها الخليفةُ عمر بنُ الخطّاب، ومَنَحَ أهلَها الأمان، فتمتَّع أصحاب الدّيانات فيها بممارسة طُقوسهم الدّينيّة بحرّيّةٍ تامّةٍ، وعاشتْ على هذا المِنوال طيلةَ أربعةَ عَشَرَ قرنًا من الزَّمان، مرورًا بالعهود الأَمويّة، والعبّاسيّة، والعثمانيّة.

ورغمَ ذلك، فقد واجهَتْ تلك المدينةُ فتراتٍ شاقّةً وعصيبةً، منها فترةُ الحملاتِ الصّليبيّة عام 1099م، التي استمرَّت من القرن الخامسِ الهجريِّ حتَّى أواخِرِ القرن السّابع (490 – 670هـ) ، عانت فيها ألوانًا من التّوتُّر، والحروب، والصِّراعات .

وفي الثُّلُث الأوّل من القرن العشرين، وبعد «وَعْدِ بلفورَ» 1917م، جاء الاحتلال الإسرائيليُّ باعتداءاته الصّارخة على مُقَدَّرات المِنْطقة، وممارساته العُدوانيّة على الشَّعب الفِلَسْطينيّ؛ ليستوليَ على حقِّ صاحب الشّرعيّة الأصليّة، في فِلَسْطينَ، في حينِ أنَّ ميثاق الأمم المتَّحدة ينصُّ على عدم جوازِ ضمِّ أراضي دولة أخرى بالقوَّة الحربيّة، غيرَ أنَّ الصَّهيونيّة لا تُعير أيَّ اهتمامٍ لتلك القرارات، أوِ المواثيق.

وينقسم البحثُ إلى مقدِّمة، وأربعِ نِقاط أساسيّة، هي:

- القدس في التّاريخ.
- المقدَّسات اليهوديّة في القدس.
- المقدَّسات المسيحيّة في القدس.
- المقدَّسات الإسلاميّة في القدس.

❖ القدس في التّاريخ:

ظلَّتِ القدس، منذ عهدِ آدمَ، مرورًا بإبراهيمَ، عليه السَّلامُ، وجميعِ الأنبياء والمُرسلين – عليهم السَّلامُ أجمعين – مركَزًا للقَداسة والتَّرابط الدِّيني، وتتميَّز عن سائر المُدُن على مدى

التّاريخ الإنســانيّ، وإذا تطلَّعْنا إلى خريطة الشَّرق الأوســطِ التّاريخيّة، لَشَهِدْنا قيام مراكِزِ حُكْمٍ وحضاراتٍ أقدَمَ منها، في فِلَسْــطين، وفي غيرها من المناطــق، كَمِصْرَ، أو العراقِ، حيث نشــأَتْ مُدُنٌ على قَدْرٍ كبير مــن الأهمّيّة، ومع ذلك فالأمرُ الــذي تُثيره القُدسُ في الذّاكرة الإنسانيّة والحضاريّة أعْمَقَ من الأهمّيّة النّسبية للمِساحة، أو عددِ السّكّان، أو آثارِ الحضارة المادّيّة التــي بَقِيَتْ من المراحل الأولى لتاريخ مُدنها، فمصدَرُ الانطباعات القويّة التي تَعْكسها القدسُ في أذهان العامّة والخاصّة، عبرَ التّاريخ، وحتّى أيّامِنا هذه، نابعةٌ من أهمّيّتها الدّينيّة والثّقافيّة[1].

ولقد شــهدتِ القــدس، منذ العصــورِ الأولى في التّاريخ، مختلِفَ الأعــراقِ، والألوان، والعقائد، والأديان، فأصبحَتْ بمثابة ملحمَةٍ إنســانيّة، بما فيها من مُقدَّســات، ومعابِدَ، وبيوتٍ لله تَخُصُّ مختلِفَ الدِّيانات؛ لِتُجَسِّمَ الصُّورة الحقيقيّةَ للسَّلام على وجه الأرض[2].

ولقد كانتْ هجرة إبراهيمَ، عليه السَّــلام، من أرض فِلَسْــطينَ إلى مكّةَ المكرَّمة مقدَّسةً، كــما كانت رحلةُ إسراءِ رســول الله محمد، صلَّى الله عليه وســلَّم، ومِعراجِه، من مكّةَ إلى بيت المَقْدِسِ إسراءً مقدَّسًــا، فما أشــبَهَ اليومَ بالبارحة، وما هي إلّا حلقاتٌ للدِّين الإلهيّ التــي تَنْتَظِمُ في عَقْدٍ واحد في صورة بناءٍ متماســكِ اللَّبِنات، كل لَبِنَــةٍ منها هي جزءٌ مهمٌّ من الصُّورة العامّة للدِّين الإلهيّ لا يســتقيم دونها ... إنّه الطَّريق المقدَّس الرّابط بين أوَّلِ مســجِدَيْنِ وضْعًا على الأرض، وأعظمُ الأماكن على الإطلاق، المسجدُ الحرام، والمسجد الأقــصى، في حين امْتَنَعَتِ التَّــوراة عن ذكْرِ علاقة إبراهيمَ، عليه السَّــلام، بمكَّةَ، وبنائِه الكعبةَ بهدف إلحاقِ نَسَبِ إبراهيمَ، عليه السَّلامُ، إلى اليهود، وبني «إسرائيلَ» فقط .

(1) يُنظر: أمنون كوهين: القدس دراســات في تاريخ المدينة، ترجمة سلمان مصالحة، دار ياد يتسحاق بن تسفي، 1990م ، ص.8

(2) يُنظر: بشير عبد الواحد يوسف، الصّابئة المندائيون بين الإنصاف والإجحاف، مؤسَّسة شمس للنَّشر والإعلام؛2017 ، ص 413.

ويستند تاريخ القدس على محورَيْنِ، **الأوّل** علمِ الآثار، وما تمَّ اكتشافُه من آثارٍ في تلِّ العمارنة بِمِصْرَ، ولوحاتِ بابل، وآشورَ في العراق، إلى جانب مكتشفات أثريّة في سوريا وفِلَسْطين. أمّا **المحورُ الآخرُ** فيعتمِدُ على ما جاء في نصوص التَّوراة، حول تاريخ القدس، وما اعتَمَدَ عليه المُستشرقون بحقِّ اليهود التّاريخيّ هناك.

وقد سبقت مدوّناتُ المستشرقينِ وكتاباتُهم، الاكتشافاتِ الأثريّةَ التّاريخيّة للقدس، الأمرُ الذي أدَّى باليهود إلى الزَّعم بأحقِّيّتهم في المكان[1].

ومن أهمِّ الكشوفاتِ الأثريّة التي قدَّمت حقيقةَ تاريخ القدس، هي:

1 – مخطوطاتُ تلِّ العمارنة (مصر)، والتي كَشَفَتْ عن زيارة الأمير الفرعونيّ (سنوحي) لأرض كنعانَ عام 2000 ق.م، وَوَصْفِه لأرضها[2].

2 – ورودُ أسماءٍ من المُدُن الكنعانيّة القديمة.

3 – ورودُ أسماءٍ فِلَسْطينيّة قديمة للمُدُن، مثل (نابُلَس – عسقلانَ – غزَّة – جِت – أسدودَ – أريحا – عكّا – عمّورةَ – حِبْرونَ (قرية أربع) – بعاريم – مجِدّو – وغيرِها، وجميعُها مُدنٌ كنعانيّة قديمة).

وقد كشفتِ الحفريّاتُ أنَّ مدينة القدس بُنِيت مع بداية العصر البرونزيّ المبكِّر، قبل مجيء الكنعانيِّين واليبوسيِّين، وكانت ذاتَ هُوِيّة آموريّة، حيث شهِدَتْ جفافًا قاسيًا في نهاية العصر البرونزيّ المُبكّر، وحدثت هجراتٌ كبيرة منها، ثمّ أُعيد بناؤها في العصر البرونزيّ الأوسط، وهي القدس الكنعانيّة (أورسالم). حيث أقام الكنعانيّون العربُ حضارةً لهم تضمَّنَتْ عقائدَهم وتراثَهم، وتَحرُّكاتِهم العمرانيّةَ والتِّجاريّة، ثمَّ تعرَّضتِ المِنْطقة لغزواتٍ

(1) حسن الباش، القدس من الإسراء إلى وعد الآخرة سبع آيات تختزل التّاريخ، فِلَسْطين ومركزيّة الصِّراع الكونيّ، دار قتيبة، دمشق، بيروت، 2004م ، ص23.

(2) روجية غارودي، فِلَسْطين أرض الرِّسالات السَّماويّة، طلاس للدِّراسات والتَّرجمة، 1991م ص41.

وصراعاتٍ بين الفراعنة والبابليِّين، وغزواتٍ بحريّةٍ قادمةٍ من بحر إيجةَ، وغزواتٍ قَدِمَتْ من الجنوب من القبائل البدويّة العِبرانيّة.

وقد تحدَّث التّاريخ كثيرًا عن معابدَ الكنعانيِّين وعقائدِهم، ومكانة القدس لديهم، وتناول أيضًا انتشارَ المُدن الكنعانيّة في أنحاء فِلَسْطينَ، وهجرةَ إبراهيمَ، عليه السّلامُ، من العراق إلى فِلَسْطين ناشرًا عقيدةَ التّوحيد، ثمَّ انتقالَه إلى مكَّة وتشييدَه قواعدَ الكعبة الشَّريفة وأساساتِها، وإبراهيمُ، عليه السَّلامُ، لم يكن يهوديًّا، ولا نصرانيًّا، بل أبو الأنبياءِ جميعًا، فكان مُوحِّدًا عالميًّا[1].

ثم تحوَّلتِ القدس، في العصور البرونزيّةِ المتأخِّرة، إلى اليبوسيِّين الكنعانيِّين، الذين نشأوا في الأساس في قلب الجزيرة العربيّة، ثمَّ نزحوا عنها (3000 – 2500 ق.م.) وكان أوّلُ مَنِ اختطَّها «ملكي صادق» ويعني بالكنعانيّة (ملك السّلام)، ومن هنا جاء اسمُ (أورسالم)، وهذا الاسم موَثَّقٌ في رسائلِ تلِّ العمارنة في الكتابات الكنعانيّة التي ترجع إلى القرن 15 ق.م[2].

أمّا الظُّهور الحقيقيّ لليهود، في القدس، فكان في عهد النّبيِّ داودَ «عليه السّلام»، حيث كان ظهورًا سياسيًّا، وكان تابوتُ العهد القديمِ الذي يُعَدُّ رمزًا للإله، ينتقِلُ مع اليهود عَبْرَ الصَّحاري طيلة قرون عديدة، إلّا أنّه عندما استقرَّ عمل داودَ في القدس، أخذَ التّابوت ونقَلَه إليها بعد أنْ أعَدَّها عاصمةً إداريّة لملكه، وكان اسمُها يبوسَ؛ نسبةً لليبوسيِّين الذين كانوا يستوطنونها[3]. وبهذا يكون داودُ، عليه السَّلام، هو الذي نقلَ اليهوديّة من دينِ البداوة، إلى دِين الحضر.

(1) حسن الباش، القدس من الإسراء إلى وعد الآخرة سبع آيات تختزل التّاريخ، فِلَسْطين ومركزيّة الصِّراع الكونى، مرجع سابق ، ص8، 9.

(2) المرجع السابق، ص29.

(3) يُنظر: سامي عبد الحميد، القدس في الدّيانات السَّماويّة الثّلاث، الطبعة الأولى، 2001م، ص69، 70.

وأورسالم كلمةٌ كنعانيّة آراميّة، أَطْلَقَ عليها ملكي صادق هذا الاسم، بمعنى مدينة السَّلام، وذلك قبل ظهورِ النَّبيّ موسى بعدَّة قرون، حيث حوَّلَها الصَّهاينة إلى أورشالم، وعدُّوها من الأسماء العِبريّة، وقد ذُكِرَ في سِفْرِ التَّكوين ملكي صادق الكنعانيّ أنّه ملك شاليم[1].

وبذلك تكون مدينة أورشليمَ عربيّةَ المنشأِ على يد الكنعانيِّين، ثمَّ تطوَّرت على يد العربِ، في هجرتَيْنِ في بداية الألف الثّالث قبل الميلاد، والألف الثّاني قبل الميلاد.

وكان العربُ الكنعانيّون أقدمَ مَنْ قدَّسَ وتعبَّدَ في هذه المِنْطقة، وذلك قبل زَعْمِ سليمانَ، وكانت القدس تُذكر في المصادر المِصْريّة القديمةِ باسم قادش، أيْ قُدْسُ، غيرَ أنَّ ملوك الكنعانيِّين كانوا يُطلقون عليها «أورشاليم».

وكانت يبوس (القدس) مدينةً مزدهرةً، تُمثِّل حينذاك واحةَ السّعادة؛ حين دخَلَ بنو «إسرائيلَ» فِلَسْطينَ بقيادة يوشع بن نون الذي خَلِفَ موسى «عليه السَّلام» بعد موته، بحوالي 1500 ق.م، وكان مساعدًا لموسى «عليه السَّلام».

وقد ذكرتِ التَّوراة تلك المدينةَ في سِفْرِ القُضاة: أنَّ رجلًا من بني «إسرائيلَ» كان برِفْقة زوجتِه وخادمِه في سَفَرٍ، وأدركَهم اللَّيلُ، يقول النَّصُّ: «وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جدًّا، قال الغلام لسيده: نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه فنبيت فيها، فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة، حيث ليس أحد من بني «إسرائيل» هنا»[2] وهذا دليلٌ واضحٌ على أنّه لم يكُنِ لبني «إسرائيلَ» وجودٌ في بيت المقدس يومئذ.

وجاء تأكيدٌ ذلك في سِفْرِ أخبار الأيّام الأولى:»وذهب داود وكل «إسرائيل» إلى أورشليم وهناك اليبوسيون سكان الأرض، وقال سكان يبوس لداود: لا تدخل إلى هنا، فأخذ داود

(1) سِفر التكوين: إصحاح 14 / 18.

(2) سِفر القضاة 19 /11 – 13.

حصـــن صهيون، وهي مدينة داود»[1] وهذا النَّصُّ يدُلُّ على أنَّ داودَ اتَّخَذها مدينةً لحُكْمه، والتي كان يَسْكُنُها اليبوسيّون.

إذًا لم يكُنْ للعبرانيِّين وجودٌ حقيقيّ في القدس، إلّا في زمن داوودَ «عليه السَّلام» أيْ حوالَيْ عام 1000 ق.م، عندما اتَّخذها داودُ عاصمةً له، وأقام فيها حِصْنَ صَهيونَ، وأطلق عليها «مدينة داودَ»، وكان أكثرُ سكّان المدينة في عهدِه من اليبوسيِّين، والكنعانيِّين، والعموريِّين، والفِلَسْطينيّين، ولم تَدُمْ دولة اليهود المَوَحَّدة إلّا حوالَيْ 97 عامًا 1020 – 923 ق.م.

وفي عهد الرُّومان انتَهَى اســمُ مدينة داودَ بانتهاء نفوذِ اليهود؛ ليعودَ إليها الاسمُ الكنعانيُّ أورشليم، أوِ القدسُ أو بيت المَقْدِس؛ ولِتَنْقَطِعَ صلَةُ اليهود بالقدس وفِلَسْطين مدَّة ثمانيةَ عَشْرَ قرنًا متواصلة، ففي زمان رحبعام بن سليمانَ انقسمَتِ الدَّولة إلى دولتَيْنِ، أولاهما في الجنوب (مملكة يهوذا، والثّانية في الشّمال (السّامرة)[2]، وكانت أورشليم عاصمةَ يهوذا، وقد عُمِّرتْ من 923 –586 ق.م، حين فتَحَها نبوخذ نصّر (بختنصر) في سنة 586 ق.م، وسَبَى اليهود إلى بابلَ، فيما عُرِفَ بالأَسْرِ الجماعيّ، حيث فَقَدوا مقوِّماتِ القداســة، ومُمارســاتِ طقوسِــهم تُجاهَ القدس، وقد نظروا إليها بكَونِها المكانَ الجغرافيَّ الذي عاشوا فيه فترةً من

(1) أخبار الأيّام الأولى 4 /7.

(2) انقســم بنو «إسرائيــل إلى فرقتَيْنِ: العِبرانيِّــين الذين اتَّخَذوا القدس عاصمةً لهم، وتُســمَّى دولتهم بمملكة يهوذا، وأيضًا تُســمَّى مملكةَ داودَ؛ لأنَّهم كانوا من نسْــلِ «داود»، وكانــوا يَصِلون ناحية جبلِ صَهيونَ، وقِبْلَتهم نحو جرزيم، أمّا السّــامريّون فهم من نَسْــلِ «أفرايم بن يوســف» وسُمِّيت دولتهم بمملكــة «إسرائيلَ»، حيث اتَّخذوا من نابُلْسَ عاصمة لهم، ولكلٍّ مــن الفرقتَيْنِ توراةٌ، التّوراة العبرانيّة، والتّوراة السّــامريّة، وكلٌّ منهما يَعُدُّ توراتَه هي الحقَّ. وكان السّامريون يؤمنون بدعوة السّيّد المسيح، ولم يطلبوا قتلَه، ويتَّفق اليهود السّــامريّون معَ العِبريّين في أمور، ويختلفون في أمور أخرى. فالسّــامريّون لا يَعْترفون بغير أسفار موسى الخمسة، ويؤمنون بيوم القيامة، بخلاف العِبرانيِّين، الذين يعتقدون في ظهور المســيح في آخر الزّمان، ويقولون: إنّه سيكون من آل يوسُــفَ، على حين يعتقد اليهود أنّه من آلِ داودَ، ويعترف السّامريون بنبّوة محمد، صلَّى الله عليه وسلّم. (يُنظر: التَّعريف بالتّوراة السّامريّة، ترجمة: الكاهن السّــامريّ أبو الحسن إســحاق الصّوريّ، نشرَها وعرَّف بها د. أحمد حجازي السّقّا، دار الأنصار، طبعة أولى، 1978م، ص3 – 19).

الزَّمان، منذ عهدِ داودَ حتّى سقوطِها بأيدي البابليِّين، وبعد السَّبيِ توَجَّهَ بعض اليهود إلى فِلَسْطينَ، وكان الشَّـعب الكنعانيُّ يعيش فيها آمنًا مستقِرًّا، غيرَ أنَّ التَّوراة وَصَفَتِ المكانَ بأنّه كان خاليًا، وكأنّه كان يَنْتَظِرُ عودتهم من السَّبيِ بعد هذه الفترة الطّويلة[1].

وفى عام 538ق.م استولَى الفرسُ على سوريا وفِلَسْطينَ، وفي ذلك الحينِ سمَحَ قورش لليهود بالرُّجوع إلى أورشليمَ، غيرَ أنَّ السَّيطرة الفِعليّة فيها كانت للحثّيّين، وبقِيَتِ القدس تحت السَّيطرة الفارسيّة، حتى فتَحَها الإسكندرُ المقدونيّ عام 332 ق.م.

وحين جاء الإسكندر إلى فلسطين 332 ق.م. قدم له اليهود فروض الطاعة كعادتهم في تغيير وجهتهم مع كل غازي، حيث لاقى منهم كل الإجلال، وقد كان اليهود في ذلك الحين يسمون أنفسهم بأسماء فارسية، ومن بعد الفرس واليونان جاء الرومان الذين هدموا أسوار القدس وحصونها ودمروها عام 70 م. وتُؤكد النصوص اليونانية المكتشفة في الأردن أن معظم سكان فلسطين في عهد الرومان كانوا من العرب[2].

وبعد أنْ دمَّرَ الرُّومان المدينة عام 70 م، جاء الفتحُ الإسلاميّ سنة 636 م على يد خليفة المسلمين عُمَرَ بنِ الخطّاب، والحقيقة التّاريخيّة أنّه عند فتح المسلمين للقدس، لم يأخذوها من اليهود، بل منَ الرُّومان أعداء اليهود[3]، وعاشتِ المِنْطقة في أجواءٍ من السَّلام، والاستقرار حتَّى الحملات الصَّليبيّة 1099م، واستمرَّ حُكمهم حتَّى فتحَها صلاح الدّين الأيّوبيّ 1187م، فعادتِ المِنْطقة إلى أجواء الاستقرارِ والسَّلام، حتَّى نهايات القرن التّاسع عَشْرَ، وبدايات القرن العشرين التي مكَّنَتْ الوجود اليهوديّ في القدس.

والواقع، فإنَّ اليهود لم يجدوا أمانًا أوِ استقرارًا، إلّا في زمن الفتحِ الإسلاميِّ لها. حيث

(1) يُنظر: حسن الباش، القدس من الإسراء إلى وعد الآخرة سبع آيات تختزل التّاريخ، فِلَسْطين ومركزيّة الصّراع الكوني، مرجع سابق، ص65 – 67.

(2) المرجع نفسه، ص70.

(3) مجموعة من العلماء، بيت المَقْدِس في الإسلام، مجمع البحوث الإسلاميّة، ص11.

عاشَ أصحاب الدِّيانات في سلام، ومارسوا طقوسَهم وشعائرهم بحرِّيَّة تامّة في كنائسهم ومعابدِهم، ورَغْمَ ذلك كلِّه، نجد أن اليهود أنكروا رسالتَي السّيّد المسيح «عليه السَّلام» والرَّسول محمد (صلَّى الله عليه وسلَّم)، فحينما احتلُّوا فِلَسْطينَ عام 1948م، قاموا بما يلي:

1 – مصادرةِ أملاك العرب، سواءٌ أكانوا مسلمين أم مسيحيِّين.

2 – الاستيلاءِ على نحو ألفِ مسجد.

3 – مصادرةِ كثيرٍ من الأوقاف.

4 – اضطهادِ رجال الدّين المسيحيّ والإسلاميّ.

5 – انتهاكِ حُرمة المسجد الأقصى بالتَّخريب والإحراق.

6 – هدْمِ عددٍ من المساجد، مثل: مسجد البُراق ومبانٍ أخرى وقفيّة وأضْرِحَة[1].

7 – الاعتداءِ على بعض الكنائس، مثل: كنيسة يوحنّا، وهدمِ عددٍ كبير من الأديرة[2].

أمّا جرائم إحراقِ المسجد الأقصى، فَتُعَدُّ من الجرائم الحربيّة ضدَّ كِيان المسجد، وقد عَقَدَ مجمعُ البحوث الإسلاميّة، إبّانَ حرقِ المسجد في عام 1969م اجتماعًا، وجَّهَ من خلاله بيانًا إلى العالم الإسلامي بأجمعِه، وأيضًا إلى الحكومات والمسؤولين بالتَّعاون من أجل احترامِ قرارات الأُممِ المتَّحدة، كما أهابَ أعضاءُ مجمعِ البحوث بالمسلمين والمسيحيِّين، على حدٍّ سواءٍ، بأنْ يقوموا على قلبِ رجلٍ واحدٍ مُتضامنين؛ من أجل إنقاذ بيت المَقْدِس من أيِّ اعتداءٍ، أو تَعَدٍّ على حُرْمته وقداسته؛ حتَّى يبقى كما أراد اللهُ طيِّبًا طاهرًا «مباركًا» .

وكان ذلك بعد أنْ قَدِمَ أستراليٌّ الجِنسيّة اسمُه «دينس مايكل» إلى فِلَسْطين كسائح، وقام

(1) المرجع نفسه، ص14.

(2) نفسه، ص67.

بإشعال النّار في الجامع القِبْليِّ في المسجد الأقصى، والتَهَمَ الحريق أجزاءً مُهمَّة منه[1].

❖ المقدَّسات الدّينيّة في القدس:

تُعَدُّ القــدس مركزًا دينيًّا وحضاريًّا كبيرًا، منذ العصور الأولى في التّاريخ، عاش فيها كثيرٌ من الأنبياءِ والرُّسَــلِ، والصَّحابة، والصّالحين، ودُفِنُوا في ترابها. وما يزيد المكانَ قداســةً وجودُ المســجد الأقصى المبارك، حيث بــاركَ الله المكان، ورَفَعَ ذِكْــرَه ، وأفردَ في القرآن الكريم سورةً باسمِ الإسراء مُحدِّثًا فيها عن بَرَكَةِ المكان.

وقد مرَّ بالقدس أجناسٌ وأتباعُ أديانٍ، وأقوامٌ مختلِفة من إغريقٍ، ورُومانٍ، وفُرْسٍ، ويهودٍ، ومسيحيِّين، ومسلمين، وجميعهم يتوجَّهُون للمكان بالتَّقديس، والتَّبجيل.

وعن قَداسة بيت المَقْدِس قال مقاتلٌ: «إنّ الله تعالى تكفّل لِمَنْ سكَنَ بيت المَقْدِس بالرِّزق إنْ فاتَه المال، ومن مات مقيمًا مُحتسِــبًا في بيت المقدس، فكأنّما مات في السَّماء، ومن مات حولَها فكأنّما مات فيها، والماءُ العَذْبةُ كلّها تخرجُ من تحت صخرة بيت المَقْدِس، والأرض المقدَّسة التي قال عنها الله تعالى: (التي بارَكنا فِيها لِلعالَمِين) هي أرضُ بيت المَقْدِس، فإنّ فيها ناريّ ونوريَّ وتنّوريّ، يعني وَقار التَّنّور. وكلَّم الله موســى في أرض بيت المَقْدِس، وتجلَّى للجبل في أرض بيت المَقْدِس، ورأى موسى نورَ ربِّ العزَّة في أرض بيت المَقْدِس، وتاب الله تعالى، على داودَ وسليمانَ في أرض بيت المَقْدِس، وردَّ الله تعالى على سليمانَ مِلْكَه في أرض بيت المَقْدِس وبشَّرَ الله تعالى إبراهيمَ وســارةَ بإســحاقَ في بيت المقدس، وبَشَّرَ الله تعالى زكريّا بيحيى في بيت المقدس، وســخَّرَ الله تعالى الجبــالَ والطَّير لداودَ في بيت المقدس... وقَرُبَ الملائكةُ على داودَ في المحراب في بيت المَقْدِس، وكانت الأنبياءُ لا تُقَرَّبُ القرابين إلّا في بيت المقدس، وأُوتيَتْ مريمُ، عليها السّــلام، فاكهةَ الصَّيف في الشِّتاء في بيت المَقْدِس، وأنْبَتَ الله، تعالى عزَّ وجلَّ، النَّخلةَ، وتكلَّم عيســى، عليه السَّلام، في المَهْدِ

(1) غســان محمد دوعر، المستوطنون الصهاينة في الضفة الغربية: الاعتداء على الأرض والإنسان، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 184 – 185.

صبيًّا في بيت المقدس، ورفَعَه الله تعالى إلى السَّـــماء من بيت المقدس، ويَنْزِلُ من السَّماء إلى الأرض في بيت المَقْدِس، وأُنْزِلَتْ عليه المائدةُ في بيت المقدس، ويَغْلِبُ يأجوجَ ومأجوجَ عـــلى الأرض كلِّها غيرَ مكَّةَ والمدينةِ، وبيتِ المقدس يُهْلِكهم الله في أرض المقدس، وينظر الله تعالى، في أرض بيت المَقْـــدِس في كلِّ يوم بخير، وأعطَى الله تعالى البُراق للنّبيّ، صلَّى الله عليه وســـلَّم، فحَمَلَه إلى بيت المقدس، وأوْصَى آدمُ، عليه السَّلام، حين مات بأرضِ الهندِ، بأنْ يُدْفَنَ في بيت المَقْدِس، وأوصى إبراهيمُ إسحاقَ إذا ماتا أنْ يُدْفَنا في أرض بيت المقـــدس، وماتتْ مريمُ في أرض بيت المقدس، وهاجر إبراهيمُ، عليه السَّـــلامُ، من كوتا إلى بيـــت المقدس، وَرُفِعَ التّابوتُ والسَّـــكينةُ من أرض بيت المَقْدِس، وصلَّى المســـلمون إلى بيـــت المقدس زمانًا، ورأى النَّبيُّ، صلَّى الله عليه وســـلَّم، مالكًا خـــازنَ النّار في بيت المقدس، والمَحْـــشَرَ والمَنْشَرَ في بيت المَقْدِس، وتَزِفُ الجنَّةُ يـــوم القيامة إلى بيت المقدس، ويُنْصَبُ الـــصِّراطُ إلى الجنَّة، وتوضَعُ الموازينُ، ويَنْفُخُ إسرافيلُ في الصُّور ببيت المقدس، على الصَّخرة يُنـــادي أيَّتُها العِظام البالية واللحومُ المُتفرِّقـــةُ، والعُروق المُتقطِّعةُ اخْرُجوا إلى حســـابكم تُنْفَخُ فيكم أرواحُكم، وتُجازون على أعمالكم، وتتفرَّق النّاس يوم القيامةِ من بيت المَقْـــدِس إلى الجنَّة والنّار، فذلك قوله تعالى: (يومَئِذٍ يَتَفَرَّقُون ويومَئِذٍ يُعرَضُون) وكَفِلَ زكريّا مريمَ – عليهما السّـــلام – ببيت المَقْدِس، وفَهَّمَ اللهَّ سليمانَ مَنْطِقَ الطَّير ببيت المقدس، وسأل سُـــليمانُ ربَّه مُلْكًا لا يَنْبغي لأحدٍ من بعده، فأعطاه ذلك ببيت المقدس، وشدَّدَ اللهَّ لداودَ مِلْكَه ببيت المقدس، وألانَ له الحديدَ ببيت المقدس، وتقبَّلَ اللهَّ منِ امرأةِ عِمْرانَ نَذْرَها ببيت المقدس ... وأيَّد اللهَّ «تعالى» عيســـى – عليه السّلام – برُوح القُدُسِ ببيت المقدِس، وآتى اللهَّ الحكمَ ليحيى صبيًّا في بيت المقدس، وكان عيسى – عليه السَّلام – يُحْيي الموتى في بيت المقدس...[1].

(1) شمس الدّين محمد بن أحمد بن علّي بن عبد الخالق، المنهاجيّ الأسيوطيّ، ثمَّ القاهريّ الشّافعيّ (المتوفَّ: 880 هـ)، إتحاف الأخِصّا بفَضَائل المسجد الأقصى، الهيئة المِصْريّة العامّة للكتب، 1982 – 1984 م، 1 /105 – 108.

❖ المقدَّسات اليهوديّة في القدس:

يرى اليهودُ أنَّ القدس موطِنَ الآثار اليهوديّة المقدَّسة، بينما يؤكِّدُ التّاريخُ أنَّ الممالك اليهوديّةَ الصّغيرة داخل الأرضِ الفِلَسْطينيّة قامت لفترة محدودةٍ منَ الزّمان، ثمَّ تلاشت قرونًا طويلةً، ولم تظهر إلّا في عام 1948م، من خلال الاستعمار البِريطانيّ والمساعدات الأوروبيّة والأمريكيّة؛ لإحياء زعْمِهم تُجاهَ الوعد الإلهيِّ المقدَّس الذي اختفَى عدَّة قرون دون أنْ يعْبَأَ به التّاريخ[1]، حتَّى وصلَ الأمرُ ببني «إسرائيلَ» إلى اعتبار أنَّ الأرض المقدَّسةَ هي روح القدس، فمِنْ أقوالهم: «إنَّ أرضَ «إسرائيلَ» هي الرُّوح القُدُس ذاتها»[2].

والحقيقة أنَّ القدس أرضٌ مُغتصَبَة بعد أنْ شرعتِ اليهوديّة جوازَ اغتصاب الأراضي وقتلِ أصحابها، فقد جاء في سِفْرِ التَّثنية: «مَتَى أتى بك الرّبّ إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لِتَمْتَلِكَها، وطردَ شعوبًا كثيرةً من أمامك الحثّيّين والجرجاشيّين، والأموريّين، والكنعانيِّين، والفرزيِّين، والحويين، واليبوسيِّين سبعة شعوب أكثرَ، وأعظم منك، ودفعَهَم الرَّبُّ إلهك أمامك وضربتهم فإنك تَحْرِمُهم، لا تقطع لهم عهدًا ولا تشفق عليهم»[3].

وجاء في السِّفْرِ نفسه: «حين تَقْرُبُ من مدينة لكي تحاربَها استدعها للصُّلح. فإنْ أجابتك إلى الصُّلح، وفتحت لك، فكلُّ الشَّعب الموجود فيها يكون لك للتَّسخير، ويُستعبد لك. وإنْ لم تسالِمْكَ، بل عملت معك حربًا، فحاصرْها. وإذا دفَعَها الرّبّ إلهك إلى يدك فاضرِبْ جميع ذكورِها بحدِّ السَّيف. وأمّا النِّساء والأطفال والبهائمُ، وكلُّ ما في المدينة، كلّ غنيمتها، فتغنَّمْها لنفسك، وتأكلْ غنيمة أعدائك التي أعطاك الرّبّ إلهك. هكذا

(1) أنور محمود زناتى، يهود القدس، مركز دراسات الوَحْدَة العربيّة، بيروت، ط1 ، 2010م، ص26.

(2) الشّامي (رشاد)، القُوى الدّينيّة في «إسرائيلَ»، مرجع سابق، ص 250. نقلاً عن: ليفشيتس. موشيه(تاريخ يهود الشَّرق والغرب في العصر الحديث) تولد يهودي همزراح أو معراف بزمن هيحاداش، أورعم للنشر، «إسرائيل «، 1987ص21 – 22.

(3) التَّثنية: 7/ 1، 2. يُنظر: هدى درويش، التَّقييم الأخلاقيّ للحرب العادلة في الممارسات اليهوديّة، باحث للدِّراسات الفِلَسْطينيّة والإستراتيجيّة، بيروت، 2012، ص20.

تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًّا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هذه»[1]. وهنا نجِدُ النُّصوص التّوراتيّة تتحدَّث بلسان الرَّبّ الذي عَدُّوه ربَّ الجنود. السّاكن في أورشليمَ في جبل صَهيونَ فقد جاء في المزامير: (مبارك الرّبّ من صَهيونَ، السّاكن في أورشليمَ)[2]. وجاء في سِفْرِ أشْعِياءَ: (هأنذا والأولاد الذين أعطيناهم الرّبّ آياتٌ وعجائبُ في «إسرائيلَ» من عند ربِّ الجنود السّاكن في جبل صَهيون)[3].

وإضافةً للعُدوانيّة والتَّخريب جاء في سِفْرِ العدد: «فتطردون كلّ سكّان الأرض من أمامكم، وتمحون جميع تصاويرهم، وتُبيدون كلَّ أصنامهم المسبوكة، وتخربون جميع مرتفعاتهم»[4].

ولم تذكر أسفار التوراة بيت المقدس على الإطلاق، بل كان التركيز على الوعد الإلهى المزعوم بمنح فلسطين لليهود.

ولم تذكر التوراة القدس إلا عند تولي داود «عليه السلام» المُلك، حيث أعدها مركزًا وعاصمة إدارية وسياسية لمملكته حيث دام وجودها ثمانين عاماً[5]، ولم تأخذ القدس أبعادها وأهميتها الدينية لديهم إلا حينما تسلم سليمان عليه السلام الملك فلم يكن للقدس أية قداسة إلهية تذكر في أسفارهم.

(1) التَّثنية 20: 10 – 16. يُنظر: هدى درويش، التَّقييم الأخلاقيّ للحرب العادلة في الممارسات اليهوديّة، مرجع سابق، ص22.

(2) المزامير: (135 /21).

(3) سِفْر أشعياء: (8/ 18) .

(4) سِفْر العدد: 33 – 52. ويُنظر: هدى درويش، التَّقييم الأخلاقيّ للحرب العادلة في الممارسات اليهوديّة، مرجع سابق، ص 23.

(5) حسن الباش، القدس من الإسراء إلى وعد الآخرة سبع آيات تختزل التّاريخ، فِلَسْطين ومركزيّة الصِّراع الكونيّ، مرجع سابق ، ص47.

أمّــا من وُجهة النَّظر الصَّهيونيّة فيرَوْنَ أنَّ الرِّباط بين اليهود والقدس مســألةٌ إلهيّة بحتة، بِصِفَةِ أنَّ اليهود شــعبُ الله المختار، فراحوا بوســائلهم المعروفةِ على المستوياتِ النّظريّة والعمليّة، والإعلاميّة كافّةً، في الدّاخل والخــارج يُرَوِّجون لهذه العقيدة الإلهيّة، زاعمينَ أنَّ لليهود حقًّا في الأرض، وشَرْعِيّةً أقرَّها الإله. وكذلك يَزْعُمون وجود هيكلِ ســليمانَ في تلك المِنْطقة، وأنَّ حائط البُراق الذي يُطلقون عليه حائطَ المَبْكى، هو جزءٌ من الهيكل، وكان موضِــعَ صلاة اليهود. ولا يَكُفُّ اليهودُ عن عمل البحوث والقيام بالحفريّات بحثًا عن آثارٍ لهيكل سليمانَ.

ورَغْمَ الجهود المُكثَّفة الخارقة المبذولة، في تلك البحوث والحفريّات، إلّا أنَّهم لم يَجِدوا أثرًا تاريخيًّا واحدًا للهيكل، حتَّى إنَّ الباحث جان باتيســت أومبير[1] صرَّحَ في إحدى دراساته أنَّ هيكلَ سليمانَ يُعَدُّ لغزًا؛ لأنّه لم يَبْقَ منه حجرٌ واحدٌ يُرَى، وأنَّ وصفَ الهيكل يبْقَى أمرًا رمزيًّا[2].

ويؤكِّد أحمد سوســة في كتابه «العرب واليهود في التّاريخ» أنَّ هيكل سليمانَ هو من صُنع الفينيقيِّين، وقد بُني على نَمَطِ المعابد الكنعانيّة، كذلك يؤكِّدُ الكاتب الفرنسيُّ «جان لويس برنار» على أنَّ سليمانَ (عليه السَّلام) كان آشوريًّا[3].

وطِبْقاً لِما جاء في التَّوراة، فإنَّ الهيكل الذي بَناه ســليمانُ «عليه السَّــلام» معبدٌ وثنيٌّ وَضَعَ فيه ســليمانُ، عليه السَّــلام، أصنامًا لزوجاته اللاتي قُدِّرَ عددُهن بألف زوجة – وحَسَبَ التّوراة – فهذا الهيكل أُبيدَ من جانب الرُّومان، ولم يَبْقَ له أثرٌ[4].

(1) عالِم أثريٌّ بالمدرسة التَّوراتيّة والأثريّة الفرنسيّة بالقدس، ومدير قسم الآثار بها.

(2) سامي عبد الحميد، ص90.

(3) أحمد سوسة، العرب واليهود في التّاريخ، العربّي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الطبعة السّابقة، 628 – 629.

(4) حســن الباش، القدس من الإسراء إلى وعد الآخرة ســبع آيات تختزل التّاريخ، فِلَسْــطين ومركزيّة الصِّراع الكونيّ، مرجع سابق، ص62.

ومنـــذ احتلالِهم لمدينة القدس عام 1967م، وحتَّى اليوم، حَرَصَ اليهود على إثبات وجودِ صِلَةٍ تاريخيّة لهم بالمدينة المُقدَّســـة، عَبْرَ الحفريّات التي قاموا بها تحت أساســـات المسجد الأقصى؛ لِيُثبتوا أنَّ الهيكل يوجد أسفلَه.

❖ حائط البُراق في الزَّعم اليهوديّ:

يعتقِدُ اليهود أنَّ حائط البراق – «المَبْكى» حَسَبَ تسميتِهم له – من بقايا هيكلهم القديم؛ ذلك الهيكل الذي عَمَّرَهُ هـــيرودوس (18 ق.م) ودكَّهُ تيطس عام (70م)، وهم ينظرون إليه منذ زمنٍ قديم بعَيْنِ التَّقديس، ويبكون خرابَ هيكلهم.

وفى زمـــن الانتداب البِريطانيّ كان حائـــط البراقِ موضعَ خلافات شـــديدةٍ، بين اليهود والمســـلمين، حتَّى وصلَ الحال إلى قيام ثورةٍ عارمةٍ في فِلَسْـــطينَ، عُرِفَتْ بـ«ثورة البُراق» التي بدأت أحداثُها، في الخامس عَشْرَ من أغســـطسَ عـــام 1929م الذي وافق يوم الحِداد عـــلى خراب الهيكل في التَّقويم اليهوديِّ، حيث حَكَمَتْ بعدهـــا اللُّجنة المَلَكِيّة البِريطانيّة عام 1929م، بأنَّ ما يُســـمّيه اليهود حائطَ المَبْكى هو حائط البراق، وأنّه جزءٌ منَ المسجد الأقصى، ومِعْراج رسول الله، صلَّى الله عليه وسلَّم، ولا عُلاقةَ له بهيكل سليمانَ[1].

وقـــدِ انتهتْ تلك الأحداثُ بالإقرار بأنّه ليس لليهود حقٌّ فيه، وقد حَســـمَتْ مؤسَّســـةُ الدِّراســـات الفِلَسْـــطينيّة في بيروتَ، مِلْكيّةَ حائط البراق، حيث أصـــدَرَتْ كتابًا بعنوانِ «الحقِّ العربيّ في حائط المبكى في القدس»، للعرب والمسلمين، تَضَمَّنَ التَّقرير الذي قدَّمَتْه عُصبة الأمم، عام 1930م، والذي بموجِبِه أقرَّت بأنَّ مِلكيّة الحائط الغربيّ، وأيضًا مِلْكيّة الرَّصيف الكائن أمام الحائط تعود للمسلمين، وأنّه لا يجوز لليهود بأيِّ حالٍ أنْ يكون لهم حقٌّ عَيْنيٌّ في الحائط، أوِ الرَّصيف المجاور له[2].

(1) محمد عمارة، القدس بين اليهوديّة والإسلام، مجمع البحوث الإسلاميّة، القاهرة، ص36.

(2) مجموعة من العلماء، بيت المَقْدِس في الإسلام، مجمع البحوث الإسلاميّة، ص76، 77.

ويتَّضح ممّا سبقَ أنّه تمَّ الفصل قضائيًّا، في هذا الحائط، وقد جاء الحُكْمُ بأنَّه مِلْكيّة عربيّة، ورغمَ ذلك، وفي تَحَدٍّ صارخ للقوانين الدّوليّة، قامتْ «إسرائيل» بهدْمِ حارةِ المغاربة، وأيضًا هدمِ مسجدَيْنِ.

من ناحية أخرى، أكَّد علماء الآثارِ اليهود، على أنَّهم لم يَعْثروا على شواهدَ تاريخيّةٍ، أو أثريّة تدْعَمُ القِصَصَ الواردة حولَه في سِفْرِ الخروج، وتوصَّل أبرزُ علماء الآثارِ، في «إسرائيل» «مائير ابن دوف» أمام اللُّجنة الدّاخليّة التّابعة للكِنيست، إلى أنّه لا يوجد آثارٌ لِما يُسمَّى بجبل الهيكل تحت المسجد الأقصى، وطالَبَ المؤسَّساتِ الإسرائيليّةَ بوقْفِ أعمال الحفريّات والبناء، وأكَّد رأيَه هذا عددٌ من أساتذة التّاريخ بالجامعة العِبريّة[1].

وحقيقة حائطِ البُراق أنّه ذلك المكانُ المُقدَّس، لدى المسلمين الذي يحمل منزلةً شديدة في نفوسهم، من الاحترام والتَّوقير؛ لكونه مكانَ إسراء النّبيّ محمد، صلَّى الله عليه وسلَّم، ومِعْراجه إلى السَّماء، وبلوغِه، صلَّى الله عليه وسلَّم، مرتبة : «قابَ قوْسَيْنِ أو أدنى» من المولى، عزَّ وجلَّ.

وهذا الحائط هو جزءٌ من المسجد الأقصى الشَّريف الذي يُعَدُّ مِلْكيّةً خاصّةً بالمسلمين طبقًا لتقرير الهيئة العالميّة التي تشكَّلَت وقتَ الانتداب البِريطانيّ على فِلَسْطينَ في عام 1930م، والذي أُعيدَ تأكيدُه في 23 فبراير 1968م، بعد احتلال «إسرائيل» للآراضي الفِلَسْطينيّة.

ونظرًا لسماحة الإسلام، فقد أَذِنَ المسلمون لليهود بزيارة حائطِ البراق، الأمرُ الذي أدَّى بهم إلى الزَّعمِ بأنَّ حجارةَ هذا الجدار أُخِذَتْ من هيكلِ سليمانَ؛ ما يلزم معه البُكاءُ، عند هذا الحائط حُزنًا على الهيكل، وقد تجرَّأوا على حُرْمته بأنْ قاموا بتغيير مُسمّاه إلى حائط المَبْكى.

❖ المقدَّسات المسيحيّة في القدس:

القدس بِحَسَبِ الرُّؤية المسيحيّة هي المكان الذي أقامَ فيه السَّيِّد المسيحُ، عليه السَّلام،

(1) صحيفة القدس 1 يوليو 2013م.

وبُشِّرَ وصُلِبَ فيه، كما تتعلَّق أفئدةُ المسيحيِّين بالكنائس المنتشرة هناك، ويرتبطون وُجدانيًّا بالأماكن التي انتشرتْ فيها رسالةُ المسيح، حيث تستَقْطِبُ تلك الأماكنُ كثيرًا من الحُجّاج المسيحيِّين، وأعدادًا كبيرة من المُصلِّين هناك.

وتضُمُّ القدس عددًا كبيرًا من الكنائس والآثار المسيحيّة، مثل: كنيسة «القبر المقدَّس» والتي تُسمَّى الآن « كنيسة القيامة»، كما تضُمُّ عددًا من الآثار المسيحيّة، والتي يبلُغُ عددُها 37 أثرًا موزَّعة بين (19) كنيسةً، (18) طريقًا.

ومع بداية دعوةِ السَّيّد المسيح للتَّوحيد بدأ الغضبُ اليهوديُّ من جانب كَهَنَتِهِم تُجاهَه، وفي المقابل كان غضبُ السّيّد المسيح عليهم شديدًا، حيث عَدَّ الكهنةَ لصوصًا، ونجد الإشارةَ لذلك في إنجيل متَّى[1]، حيث تنَبَّأَ بخرابِها، حين قال:» يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلةَ الأنبياء وراجمة المرسلين إليها... هو ذا بيتكم يترك لكم خرابًا»[2]، وقال لتلامذته: «الحقُّ أقول لكم: إنّه لا يُترك ههنا حجرٌ على حجر لا ينقض»[3].

وعندما جاء الإمبراطورُ قسطنطينُ جعلَ الدّيانةَ المسيحيّة هي الرَّسمية، وقد أقامتْ والدته هيلانةُ «كنيسة القيامة» على أنقاضِ التَّماثيل التي هُدِمَتْ، وتضمُّ كنيسة القيامة قبرَ السَّيِّد المسيح قبل رفعِه إلى السَّماء. وقد تمَّ تدشينُها عام 335م. كما تمَّ بناء كنيسةِ السَّيّدة مريمَ العذراءِ، عام 529م.

وفى عام 614م دخلَ الفرسُ القدسَ وانضمَّ إليهم ما يَرْبو على 20 ألفَ يهوديٍّ، فأَشْعَلُوا

(1) إنجيل متَّى (21 / 12 – 13)، وينظر: حسن الباش، القدس من الإسراء إلى وعد الآخرة سبع آيات تختزل التّاريخ، فِلَسْطين ومركزيّة الصِّراع الكونيّ، مرجع سابق ، ص70.

(2) إنجيل متى: (23 /37، 38).

(3) إنجيل متى: (24 /2)، وانظر: مجموعة من العلماء ، بيت المقدس في الإسلام، مجمع البحوث الإسلامية، ص11.
وانظر: إنجيل متى: 24/ 2.

النّيران في «كنيسة القيامة» وقتلوا أكثرَ من 60 ألفَ مسيحيٍّ بالقدس، وفي عام 626م عادتِ القدس إلى الرُّومان حتَّى 636م، وبعدَها حرَّرها المسلمون من الرُّومان، وبهذا ظلَّتِ القدس طَوال أربعة عَشْرَ قرنًا في ظلِّ الحكمِ الإسلاميِّ لم يكن هناك أثرٌ لأيِّ معبدٍ، أو هيكل يهوديٍّ[1].

وأهمُّ الأماكن المسيحيّة في القدس، هي: كنيسة القيامة، وكنيسة الجُثمانيّة، وموقِعُ العِشاء الأخيرِ، وطريقُ آلام المسيح.

وحَسَبَ المعتقد المسيحيّ، فإنَّ كنيسة القيامة تحتوي على قبرِ السّيّد المسيح، وقبورِ يوسُفَ الرّاعي، وتضمُّ أيضًا رُفاتِ عددٍ من القادة الصَّليبيِّين، وقد تعرَّضت هذه الكنيسة للهدْمِ والبناء من جديدٍ، عددًا من المرّات.

وجديرٌ بالإشارة، فإنَّ القائد صلاح الدِّين الأيوبيّ عند فتحِه للقدس، حَرَصَ على الحفاظ على الكنيسة بعدَ إعمارها من جديد؛ احترامًا لمكانتها الدِّينيّة لدى المسيحيِّين.

كذلك من الكنائس، التي كان لها أهمِّيَّتُها لدى المسيحيّين، كنيسة السّيّدة مريمَ، وتحتوي على قبور «مريمَ البتول» ووالِدَيْها، وكذلك قبرُ يوسُفَ النَّجّار، وقد بُنِيَتْ بين عامي 450 – 457م.

ومن الأماكن المُقدَّسة لدى المسيحيّين في القدس، أيضًا، كنيسة «القِدِّيسة حنَّة»، وتقعُ شمالَ الحَرَمِ القُدْسيّ داخل أسوار البلدة القديمة، قُرْبَ باب الأسباط، على طريق آلام المسيحِ، وبها بيتُ «حنَّة ويهوياقيم» والدَي السّيّدة مريمَ العذراءِ. وقد احترقتْ هذه الكنيسةُ إبّانَ الغزو الفارسيّ عام 614م، فأعاد الصَّليبيّون بناءَها، وتمَّ تحويلُها، في عهد صلاحِ الدّين الأيّوبيّ، إلى مدرسة للفُقَهاء الشّافعيّين، باسْمِ المدرسة الصّلاحيّة. وفي عام 1641، سَمَحَتِ الحكومة العثمانيّة بالحجِّ المسيحيِّ إلى أطلال الكنيسة. وتسلَّمها الفرنسيّون من السّلطان «عبد الحميد العثمانيّ» عام 1856م.

(1) حسن الباش، القدس من الإسراء إلى وعد الآخرة سبع آيات تختزل التاريخ، فلسطين ومركزية الصراع الكونى، مرجع سابق ، ص72.

أيضًا توجد كنيسة الجُثمانيّة، حيث يعتقِدُون أنَّ موقِعَها شَهِدَ عمليّةَ القبض على السّيّد المسيح عندما وَشَى به «يهوذا الأسخريوطي».

وكذلك كنيسةُ العليّة (دَيْرُ صَهيونَ)، الذي يَعْتقدُ المسيحيّون فيه أنَّ «السّيّد المسيح» تناول وأتباعَه عشاءَهُم الأخيرَ فيها.

وكنيسة الصُّعود: التي بُنِيَتْ على جبل الزّيتون، في المكان الذي يُعْتَقَدُ أنَّ «السّيّد المسيح» صَعِدَ منه إلى السّماء.

ويُضاف إلى هذه الكنائسِ عددٌ كبيرٌ من الأدْيِرَةِ التي لها قَداسةٌ خاصّة عند المسيحيّين[1].

❖ المقدَّسات الإسلاميّة في القدس:

كان بيت المَقْدس قِبْلةَ رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) مدَّة ستّةَ عَشْرَ شهرًا حتّى وَجَّهَه الله عزَّ وجلَّ، نحو الكعبةِ المشرَّفة بمكَّة المكرَّمة، والتي شهِدَتْ مَسْرَى رسول الله، صلَّى الله عليه وسلَّم، وفي مسجدها الأقصى صلَّى بالأنبياء إمامًا، ومنها مِعراجُه، صلَّى الله عليه وسلَّم، إلى السّماء، وفي سمائها التقَى بالأنبياء سماءً سماءً، حتّى سِدْرَةِ المُنتهى، وهناك تشرَّف، صلَّى الله عليه وسلَّم، بالحَضْرة الإلهيّة، ومنذ الفتحِ الإسلاميِّ للقدس على يد الخليفة عُمَرَ بنِ الخطّاب (رضي الله عنه) ظلَّتْ أربعة عَشْرَ قرنًا منَ الزَّمان، تحت الحكم الإسلاميّ، باستثناء فترة الحروب الصَّليبيّة.

تلك المِنْطقة هي الموضعُ الذي شَهِدَ إقامةَ إبراهيمَ، عليه السّلام، ومكانَ دفنِه، كما أنَّ هناك رابطًا مُقدَّسا يجمع بينها وبين مكَّةَ، فكانت رحلةُ إبراهيمَ، عليه السَّلامُ، من فِلَسْطين إلى مكَّة تشهَدُ إسراءً أرضيًّا يُقابل إسراءَ رسول الله محمد، صلَّى الله عليه وسلَّم. بمعنى اكتمال

(1) راجع: فادي شاميّة، الممتلكات والأوقاف المسيحيّة في القدس، دراسات في التّراث الثّقافيّ لمدينة القدس، مركز الزّيتونة للدِّراسات والاستشارات، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى 2010م، 248 – 253.

الدّائرة القُدسيّة بينهما[1].

وأهمُّ ما في القدس أماكنُها الإسلاميّة المقدَّسة، وفي مقدِّمتها الحَرَمُ الشّريف، ومسجد قُبّة الصّخرة، حيث يقعُ في الجهةِ الشَّرقيّة الجنوبيّة من المدينة القديمة. وفي المدينة مساجِدُ أخرى كثيرةٌ، يبلغ عددُها ما يزيد على (35) مسجدًا.

وتُعَدُّ القدس أُولى القِبْلتينِ وثالثَ الحَرَمينِ، فعَنِ البَراء بن عازب أنَّ رسول الله، صلَّى الله عليه وسلَّم، صلَّى قِبَلَ بيت المقدس ستّة عَشْرَ شهرًا قبل أنْ تُحَوَّلَ القبلة[2].

ورويَّ عن أبى ذرٍّ الغفاريّ عن رسول الله (صلّى الله عليه وسلَّم) أنَّ المسجد الأقصى بُنِي بعد المسجد الحرام بأربعين سنةً[3]. وهو ثاني المساجد على وجْهِ البسيطة، كما أخبَرَ النّبيُّ، صلَّى الله عليه وسلَّم.

ويُعَدُّ المسجد الأقصى جزءًا من الأرض المباركة التي باركَها المولى، عزَّ وجلَّ، وأكَّد القرآن الكريمُ ذلك في بداية سورة الإسراء بقوله: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(1) (الإسراء: 1).

وقد ذكرَ رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) فضْلَ الصّلاة في المسجد الأقصى، فعَنْ أنس ابن مالك (رَضِيَ الله عنه) قال: قال رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) صلاةُ الرَّجُلِ في المسجِدِ الأقصى بخمسينَ ألفَ صلاةٍ، وصلاتُهُ في مسجدي بخمسينَ ألفَ صلاةٍ، وصَلاتُه في

(1) حسن الباش، القدس من الإسراء إلى وعد الآخرة سبع آيات تختزل التّاريخ، فِلَسْطين ومركزيّة الصِّراع الكونيّ، مرجع سابق، ص98 – 100.

(2) أخرجه البخاريّ في الإيمان، باب الصّلاة من الإيمان (40).

(3) رواه البخاريّ في الأنبياء، (3243).

المسجِدِ الحرامِ بمائةِ ألفِ صلاةٍ»[1].

وعن أبي هريرةَ وعائشــةَ، رضيَ الله عنهما، قالا: قال رســول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم): «صلاةٌ في مسجدي خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيما سِواهُ من المساجدِ إلّا المسجِدِ الأقصى»[2].

وجاء في فضل بيتِ المَقْدِس قولُ ميمونةَ بنتِ ســعدٍ لرسول الله، صلَّى الله عليه وسلَّم: «يا نَبــيَّ الله أَفْتِنا في بيتِ المَقْدِس؟ فقال لها: هي أرضُ المَنْــشَرِ والمَحْشرِ ائْتُوهُ فَصَلُّوا فيه، فإنَّ صلاتُكم فيه كألفِ صــلاةٍ، قالتْ: أرأيتَ مَنْ لم يَطِقْ أنْ يَتَحَمَّلَ إليه أو يأتيه ؟ قال فَلْيُهْدِ إليه زيتًا يُسْرَجُ فيه، فإنّه من أهْدَى كان كَمَنْ صلّى»[3].

وفى مكانــة بيتِ المَقْدس قال كعبُ الأحبار: «إنَّ الله ينظُرُ إلى بيت المَقْدِس كلَّ يوم مرَّتينِ» وقــال: «إنَّ بابًا مفتوحًا من السَّــماء من أبواب الجنّة، يَنْزِلُ منه الحنــانُ والرَّحمة على بيت المقدس كلَّ صباح، حتّى تقوم السّــاعة». وقال: بابٌ مفتوحٌ من السّــماء من أبواب الجنة يَنْزِلُ منه الحنانُ والرَّحمة على بيت المقدس كلَّ صباح حتَّى تقوم السّاعة[4].

وعن فضل بيت المَقْدِس يقول أنس بن مالك (رضيَ الله عنه): «إنَّ الجنّة لَتَحِنُّ شــوقًا إلى بيت المَقْدِس، وبيت المقدس من جنَّة الفُرْدَوسِ»[5].

وقد أمَرَنا الإسلام أنْ نَشُدَّ الرّحال إلى بيت المقدس، فعَنْ رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم)

(1) أخرجه ابن ماجه في إقامة الصّلاة والسُّنّة فيها، باب ما جاء في الصّلاة في المسجد الجامع 1413.

(2) أخرجه الإمام أحمد في ســنده (7734) وينظر: بيت المَقْدِس في الإسلام، مجمع البحوث الإسلاميّة، مجموعة من العلماء ، ص61.

(3) أخرجه الإمام أحمد في مســنده (27626) يُنظر: بيت المَقْدِس في الإسلام، مجمع البحوث الإسلاميّة، مجموعة من العلماء، بيت المَقْدِس في الإسلام، مجمع البحوث الإسلاميّة، ص60 – 61.

(4) شــمس الدّين محمد بن أحمد بن عليّ بن عبــد الخالق، المنهاجيّ الأســيوطيّ ثمّ القاهريّ الشّــافعيّ (المتوفَّى: 880 هـ)، إتحاف الأخِصّا بفَضَائل المســجد الأقصى، الهيئة المصريّة العامة للكتب، 1982 – 1984م، 1 / 101 - 108.

(5) ذكره ابن الجوزي في فضائل القدس 139.

قال: لا تُشَــدُّ الرِّحال إلّا إلى ثلاثة مساجِدَ، مسجدِ الحَرام، ومسجِدِ الأقصى، ومسجدي هذا[1]. والزّيارة مشروعة في كلِّ الأوقات، بل واجبة لِمَنْ يستطيع.

وقــال عبد اللهَّ بن عُمَرَ: بيت المَقْدس بَنَتْه الأنبياءُ - عليهم الصَّلاةُ والسّــلامُ - وعَمَّرتْه، وما فيه موضِعُ شبرٍ إلّا وقد سَــجَدَ عليه مَلَكٌ أو نبيٌّ، فلعلَّ جبهتَكَ أنْ توافيَ جبهةَ مَلَكٍ أو نبيٍّ[2].

وتحتوي القدسُ على كثيرٍ من الآثار الإسلاميّة، حيث تضُمُّ (460) مدرسةً، و(40) زاويةً، ومقبرةً وضريحًا، و(25) مسجدًا ومئذنةً، و(22) سبيلًا وحمّامًا، و(35) أثرًا داخل المسجد الأقصى، كما تضمُّ (34) طريقًا، و(9) أسواقٍ، و(8) أسوارٍ وأبوابٍ قديمة[3]. والمسلمون يتوجَّهون إلى المسجد الأقصى وقُبّة الصّخرة، وحائطِ البراق بكلِّ التّقديس والإجلال.

كذلك تحتوي مدينة القدس المباركةُ على عددٍ كبير من الزّوايا التي تُنْسَبُ إلى بعض الطُّرُقِ الصُّوفيّة، منها:

- **الزّاوية النّقْشبنديّة**: وتقع بالقرب من زوايا الحَرَم الشّماليّة الغربيّة، بُنِيَتْ في القرن الثامن الهجريّ، والتي بَناها مؤسِّــس الطّريقة النَّقشبنديّة الشّيخ محمد بهاء الدّين نقشبندُ البخاريُّ لإيواء الغُرباء، وإطعامِ الفقراء.

- **الزّاوية الأدهميّة**: التي تقع إلى الشّمال خارج سور بيت المقدس على بُعد مائتي مترٍ منه، بين باب العمود، وباب السّاهرة.

- **زاويةُ الشّــيخ جراح**: وبها مسجدُ الأمير حســامِ الدّين الحسينِ بنِ شرفِ الدّين عيسى الجراحيّ أحدِ أمراءِ الملكِ صلاح الدّين.

(1) أخرجه البخاريُّ في فضل الصّلاة في مكّة والمدينة باب مسجد بيت المقدس (1197).

(2) شمس الدّين الأسيوطيّ الشّافعيّ، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى (1/ 103).

(3) وهبه الزّحيلّي، مكانة القدس عالية في الأديان السّماوية، دراسة، 23/ 4/ 2002م.

- **الزّاوية الرِّفاعيّة**: وأكثرُ المنتمين إليها من العائلة المعروفةِ بآل أبي السّعود، وتقع بداخلِ الحَرَم القدسيّ إلى الشّمال.

- **الزّاوية اللُّؤلؤيّة**: وتقع ببابِ العمود داخلَ السُّور.

- **الزّاوية البُسطاميّة**: أوقَفَها الشّيخ عبد الله البُسطاميُّ، وتقع في حارة المشارقة.

- **الزّاوية القادريّة**: وتقع على بُعدِ بضعة أمتارٍ من الزّاوية النَّقشبنديّة.

- **الزّاويةُ المَوْلَويّة**: ويُقيم فيها المؤيِّدون لهذه الطّريقة، حيث دخلَتْ بيت المَقْدس في أوائلِ الحكمِ العثمانيّ (925هـ - 1519م).

هذا إلى جانبِ عديدٍ من الأضرحَةِ، ومَقاماتٍ لأولياءَ ومقابِرِ المجاهدين، مثل:

- **مقبرةُ السّاهرة**: وهي من المقابر الإسلاميّة الكبيرة، قديمةِ العهد، وكانت للمجاهدين الذين اشتركوا في فتح القدسِ معَ صلاح الدِّين الأيّوبيّ، وقَضَوْا نَحْبَهم في أثناء الفتح، ودُفِنوا فيها.

- **مقبرةُ باب الرَّحمة**: وبها قبورُ عددٍ من الصّحابة والمجاهدين الذين شاركوا في فتحِ القدسِ.

- **ضريحُ الأمير محمد عليّ الهنديّ**: وهو أحد أُمَراء الهند المعروفينَ، وأحدُ المناصرين لقضيّة فِلَسْطين.

- **ضريحُ الشّيخ رَيْحانِ**: وكان مولى رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم).

وتتمثَّلُ أهمّيّة القدس لدى المسلمين في الأسباب التّالية:

1 - هي المكان الذي خصَّه الله تعالى، بُسْكَنى كثيرٍ من الأنبياء فيه.

2 - هي المكان الذي خصَّه الله تعالى، بإسراء رسوله محمد، صلَّى الله عليه وسلّم.

3 - اختصَّ المكان بوجود المسجدِ الأقصى أُولى القِبْلتيْنِ وثالثِ الحَرَميْنِ الشَّريفينِ.

4 – دُفِنَ فيه كثيرٌ من الأنبياء، والصّحابة، والصّالحين[1].

إلى جانب أسبابٍ كثيرة تزْخَرُ بها أمّهاتُ الكُتب الإسلاميّة في مختلِفِ الميادين.

هذا وتُدْرِكُ الصّهيونيّة أنَّ تغييبَ الجانب العَقَديّ الإسلاميّ للقدس، هو الضَّمان لبقاء القدس في أيدي «إسرائيل». ومن هنا يَتَحَتَّمُ على المسلمين النَّظرُ في أهمّيّة مُعطياتِ الجانب العَقَديّ للقدس في الإسلام، واستنهاض الهِمَمِ في التّأكيد على تاريخيّة القدس، وأهمّيّتها في الوُجدان الإسلاميّ والعربيّ.

وفي الختام نقول: إنَّ ممارسة الشَّعائرِ والطُّقوس الدِّينيّة لأتباعِ أيِّ دينٍ، تحتاج إلى وجودِ بيئةِ سلامٍ، واستقرارٍ، وأمانٍ، ولأجل تحقيقِ السَّلام، في العالَم، نُناشد كلَّ مسلميّ العالَم، ومسيحيِّيه، على اختلاف أجناسِهم، وألوانِهم، بالتَّوجُّه بقَدْرِ الاستطاعة، لزيارة أماكنِ العبادةِ المقدَّسة بالقدس، ممثَّلَةً في المسجد الأقصى الذي تُقَدَّرُ فيه الصَّلاةُ الواحدة بـ 50 ألفَ صلاةٍ، وزيارة حائطِ البُراق مَسْرَى رسول الله (صلَّى الله عليه، وسلَّم) إلى السَّماء، والتَّبرُّك به، وإلى تتَبُّعِ آثار أقدامِ الأنبياء الَّتي وطِئَتْ تلك المِنْطقةَ، واختلَطَتْ بأنفاسِها ومعيشتِها، ودُفِنَ في ترابها الطّاهر المُطَهّر أجسادُ الأنبياءِ والأوْلياءِ والصّالحين، والشُّهداء.

وكذا زيارةُ الكنائس المَشيدةِ والممزوجةِ بِعَبَقِ التّاريخ القديم، وعلى رأسِها كنيسةُ القِيامة التي بها موضِعُ مدفَنِ السَّيّد المسيحِ قبل رفعِه إلى السَّماء.

وحتَّى تبْقَى القدس بمُقدَّساتها آمنةً مستقرَّةً، فإنَّه يتوَجَّبُ تنبيهُ الضَّمير العالَميّ، والشُّعور الدّوليّ، للعمل على إحياء رفْعِ شِعار السَّلام، في القدس، واستمرارِه، والتّاريخ أصدَقُ شاهدٍ على أنَّ العرب والمسلمينَ كانوا، ولا يزالون في أتمِّ الحِرص على تحقيق مصداقيّة وُعودِهم، وممارساتِهم، وأعمالِهم، من أجل تحقيقِ السَّلام المنشودِ على الأرض.

(1) مجموعة من العلماء، بيت المقدس في الإسلام، مجمع البحوث الإسلاميّة، ص7 – 10. وينظر: يحيى وزيرى، التّطوّر العمرانيّ والتّراث المعماريّ لمدينة القدس، الدّار الثّقافيّة للنَّشر.

المصادر و المراجع

1 – القرآن الكريم.

2 – العهد القديم.

3 – العهد الجديد.

4 – أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى الخُسْرَوْجِرديّ الخُراسانيّ، أبو بكر البيهقيّ (المتوفَّى: 458هـ)، السُّنَن الكبرى، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنات، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطّبعة الثالثة، 1424 هـ – 2003 م.

5 – أحمد سوسة، العرب واليهود في التّاريخ، العربيّ للطّباعة والنَّشر والتّوزيع.

6 – أنور محمود زناتى، يهود القدس، مركز دراسات الوَحْدَة العربيّة، بيروت، ط1، 2010م.

7 – البخاريّ: صحيح البخاريّ، دار ابن كثير، بيروت، 1407هـ – 1987م، تحقيق، مصطفى ديب البغا.

8 – بيت المَقْدس في الإسلام، مجموعة من العُلماء، مجمع البحوث الإسلاميّة.

9 – حسن الباش، القدس من الإسراء إلى وَعْدِ الآخرة، فِلَسْطين ومركزيّة الصِّراع الكونيّ، دار قتيبة، دمشق، بيروت، 2004م.

10 – روجيه غارودي، فِلَسْطين أرض الرِّسالات السّماويّة، ترجمة قصيّ أتاس، وميشيل واكيم، دار طلاس للدّراسات والتَّرجمة، دمشق 1991م.

11 – سامى عبدالحميد، القدس في الدِّيانات السَّماوية الثّلاث، 2001 م.

12 – محمد عمارة، القدس بين اليهوديّة والإسلام، مجمع البحوث الإسلاميّة، القاهرة. محمود صدقي الهبّاش، زيارة القدس «فضيلة دينيّة وضَرورة سياسيّة»، دار أسامة، عمان، الأردنّ.

13 – مسلم بن الحَجّاج: صحيح مسلم، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

14 – المُنذريّ، التَّرغيب والتَّرهيب، دار الكتب العلميّة، بيروت، تحقيق إبراهيم شمس الدّين.

15 – هدى درويش، التَّقييم الأخلاقيّ للحرب العادلة في الممارسات اليهوديّة، باحث للدّراسات الفِلَسْطينيّة والإستراتيجيّة، بيروت، 2012م.



مركز دراسات القدس - جامعة القدس

العنوان: مدينة القدس – سوق القطانين – خان تنكز

الموقع الالكتروني: www.jerusalem-studies.alquds.edu

هاتف رقم: 00972-02-6287517

فاكس رقم: 00972-02-6284920

مكانة المسجد الأقصى وأثر اعتداءات الاحتلال

د. زواوي بن يوسف – د. محمد فتحي محمد عبد الجليل – سامية علي أحمد تعامر

كلية الدراسات الإسلامية المعاصرة، جامعة السلطان زين العابدين، ترنجانو، ماليزيا

ABSTRACT

This research aims to shed light on the status of Al - Aqsa Mosque and the impact of the Israeli military occupation attacks on it. In her study, the researcher has dealt with the following topics:

- The impact of the military occupation on the status quo of Al - Aqsa Mosque.

- The reflections of Trump's plan known as «Deal of the Century» on Al - Aqsa Mosque.

- The impact of the corona virus pandemic restrictions on the Israeli practices and their voracity towards Al - Aqsa Mosque.

This study has determined the importance of Al - Aqsa Mosque for Palestinians and Muslims due to the implication of the verse from the Holy Quran that translates into:»Exalted is He who took His Servant

by night from al - Masjid al - Haram to al - Masjid al - Aqsa, whose surroundings We have blessed, to show him of Our signs. Indeed, He is the Hearing, the Seeing» (Al - Isra 17:1)

This noble verse showed the value of Al - Aqsa Mosque for Muslims. Al - Aqsa Mosque is a historical and Islamic landmark in Jerusalem. Mohammad, the messenger of Allah, peace and blessing of Allah be upon him was taken to it in a miraculous journey. This mosque was the first of the two Qiblahs (Direction to Kaaba) and the third of the Two Holy Sanctuaries. The rock located in the heart of the Noble Sanctuary, Al - Quds Al - Sharif, is one of the landmarks of the Arab Islamic civilization.

The «Deal of the Century» gave the Israeli Temple groups and the National - Religious Right under the leadership of Netanyahu, the justification to escalate their attacks on Al - Aqasa Mosque. This accord adopted the Israeli vision of a solution towards all issues related to Al - Aqsa Mosque. The aggressive attitude of the Temple groups towards Al - Aqsa became the same as the official position adopted by the United States of America for the first time in the conflict's history.

The spread of the Corona virus pandemic came to preserve the Zionist rise in controlling Al - Aqsa and the official Jordanian retreat in front of it. With the constant closure of Al - Aqsa, the military occupation continue to shut down all of the mosque gates except two. It is the Israeli soldiers now are the ones who determine the number of guards at those gates. They also isolated the Waqf building by closing the door of the Council. The Israelis illegitimately obtained a list of all Al - Aqsaemployees names, their tasks, positions and work schedules. The Israeli security began to scrutinize the entry and exit of those employees, and placed themselves in the position of the original administration of the mosque.

The Israeli occupation pretended to show a parallel attitude towards opening of Al - Aqsa in front of the Muslims and the Zionist intruders on the same day. They began imposing new measures in Al - Aqsa that included clearing the incursions paths, emptying Bab al - Rahma prayer hall, escalating and permitting Jewish rituals, and trying to dominate the southwestern side to Al - Aqsa and Bab al - Silsilah as an additional gathering point for the Zionist extremists. (Https://alquds - city.com/items), But the Israeli ambitions did not stop there. They seek to ultimately eliminate Islamic religious rituals in it. (Muhammad Ghosheh, p. 22).

Key words: Palestine, the Palestinian National Authority, Jerusalem, Al - Aqsa Mosque, the occupation.

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تسـليط الضوء على موضوع مكانة المسجد الأقصى وأثر اعتداءاتٍ الاحتلال، حيث تناولت الباحثة في دراستها الموضوعات التالية:

- أثر الاحتلال على واقع المسجد الأقصى.

- انعكاس «صفقة القرن» على المسجد الأقصى.

- تداعيات جائحة كورنا على الممارسات الإسرائيلية ومطامعهم بالمسجد الأقصى.

وقد خلصت هذه الدراسـة بأهمية المسجد الأقصى عند الفلسـطينيين والمسلمين. لقوله تعالى «سُـبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)» سورة الإسراء.

فهذه الآية الكريمة بينت مكانة المسجد الأقصى. فالمسجد الأقصى معلمٌ تاريخيٌ من المعالم الإسلامية في القدس. فإليه أُسري بالنبي محمد صلى الله عليه وسـلم، وهـو أُولى القبلتين، وثالث الحرمين، وتُعد الصخرة الواقعة في قلب الحرم القدس الشريف من معالم الحضارة العربية الإسلامية.

ولهذا لا تزال المطامع الإسرائيلية اتجاه المسجد الأقصى حاضرةً حتى يومنا هذا، مما يدل على ازدياد الاعتداءات الإسرائيلية على المسجد الأقصى وقبة الصخرة ودخول المستوطنين بحماية جنود الاحتلال لهم، وتغييب جيل كامل عن الدخول إلى المسجد الأقصى كمصلين وكزائرين للتعرف عليه من الناحية الدينية والتاريخية، والسبب في ذلك ممنوع الدخول إلا بتصريح، وهذا التصريح لا يُمكن الحصول عليه إلا بإجراءات معقدة نوعاً ما. ولا ننسى الحفريات التي تقوم بها جماعات إسرائيلية في محيط المسجد الأقصى. وواجب علينا كمسلمين أن نُبرز أهميتها وسمو مكانتها في حياة الفلسطينيين والمسلمين وعقيدتهم. وتُعد هذه الورقة البحثية مهمة للباحثين والمهتمين في الشؤون المقدسية والفلسطينية والإسلامية؛ لأنها تُبين مركزية المسجد الأقصى، حيث شكلت «صفقة القرن» قفزة كبيرة لجماعات المعبد ولليمين القومي – الديني تحت قيادة نتنياهو، فقد تبنت رؤيته للحل تجاه جميع القضايا، وبات موقف جماعات المعبد العدواني تجاه الأقصى هو ذاته الموقف الرسمي الذي تتبناه الولايات المتحدة الأمريكية تجاه المسجد لأول مرة في تاريخ الصراع.

جاء انتشار وباء كورونا ليكرس الصعود الصهيوني في السيطرة على الأقصى، فمع إغلاق الأقصى، أغلقت قوات الاحتلال جميع أبواب المسجد باستثناء بابين، حددت فيها عدد الموظفين الذين يوجدون فيه، وعزلت مبنى الأوقاف بإغلاق باب المجلس، وحصلت على قائمة بموظفيها ومهامهم وأماكن عملهم وأوقاتها من مصدر داخل الأوقاف؛ فباتت تُدقق في دخول الموظفين وخروجهم، واضعةً نفسها في موضع الإدارة الأصيلة للمسجد.

حرص الاحتلال على مشهد الفتح المتوازي للأقصى أمام المسلمين والمقتحمين الصهاينة في اليوم نفسه، وبدأ بفرض إجراءات جديدة في الأقصى شملت تفريغ مسارات الاقتحامات، وتفريغ مصلى باب الرحمة، وتصعيد الطقوس اليهودية والسماح بها، ومحاولة تكريس الجهة الجنوبية الغربية للأقصى وباب السلسلة باعتبارها نقطة تجمع إضافية للمتطرفين الصهاينة.(https: / /alquds – city.com /items).

الكلمات المفتاحية: فلسطين، السلطة الوطنية الفلسطينية، القدس، المسجد الأقصى المبارك، الاحتلال.

مقدمة:

يشهد هذا الوقت بالذات تحولاً جذرياً على مسار القضية الفلسطينية برمتها، الخطر الزاحف الذي يهدد بتذويب الشخصية الإسلامية للمدينة وطمس معالمها الأثرية والحضارية الإسلامية العربية عن طريق التغيير الطبوغرافي لمعالم المدينة.

ونذكر هنا أن فلسطين يُطلق على القسم الجنوبي الغربي من لبلاد الشام، وهي الأرض الواقعة غربي آسيا، على الساحل الشرقي للبحر المتوسط. ولفلسطين موقع استراتيجي مهم، إذ تعد صلة الوصل بين قارتي آسيا وإفريقيا، ونقطة التقاء جناحي العالم الإسلامي. (الصالح، محسن، ص 10).

إن ظاهرة التفريغ التلقائي والانتقال من داخل أسوار البلدة القديمة لبيت المقدس للسكن في الضواحي النائية عنها، وترك العقارات والبيوت مغلقة تنخر جدرانها الرطوبة والعفونة وتُعشش فيها الغربان وترقبها العيون للمصادرة والاستيلاء عليها، ظاهرة خطيرة جداً تُساعد على تسريب أملاك المسلمين إلى اليهود.

فبهذا الوقت تشهد فيه المدينة نشاطاً استيطانياً محموماً ومكثفاً باعتبار القدس وفقاً للمعتقدات الدينية اليهودية أقدس بقعة في أرض فلسطين، وحائط البراق «المبكى» أقدس بقعة في القدس، فلا غرابة أن نرى نشاط وإصرار اليهود على مصادرة العقارات والسكن فيها، سيما الأحياء المجاورة للحرم القدسي الشريف الذي يُعتبر هدفا استراتيجياً للصهيونية بغية إقامة الهيكل « هيكل سليمان» على أنقاضه.

بدأ التفكير بالسيطرة على القدس بعد فترة قصيرة من احتلالها سنة 1967 م، حيث رسمت «إسرائيل» خطة مركزية تهدف إلى جعل القدس عاصمة تشتمل على كل الاحتياجات والمتطلبات في كافة المجالات. وضعت «إسرائيل» تسهيلات ومحفّزات من أجل إغراء

الإسرائيليين للسكن في القدس، ولكي تحقق الأهداف الاستيطانية والديمغرافية، عملت على زيادة سنوات الخدمة أو الراتب للموظفين، أو منح القروض غير المستردة، إضافة إلى إيجاد ائتلاف استيطاني يُحيط بالقدس ليعيق الامتداد المعماري العربي الفلسطيني.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من خلال مكانة المسجد الأقصى وأثر اعتداءات الاحتلال. حيث تعتبر المساجد بيوت الله سبحانه وتعالى على الأرض، كما أكّد الإسلام على معنى عمارة المساجد بالذّكر وإقامة الصّلوات وتلاوة القرآن.

مدينة القدس حافلة بالمباني الأثرية الإسلامية، يُوجد فيها حوالي مائة بناء أثري، منها: المساجد والمدارس والزوايا والتكايا والترب والربط والتحصينات. والعديد من المباني التي ذكرت، فيكتب التاريخ معالمها.

لقد أظهر الإسلام تعلقه واهتمامه بهذه المدينة منذ بزوغه. ونظراً لأهميتها وقيمتها الدينيتين في العقيدة الإسلامية، اهتم الملوك والولاة المسلمون على مر العصور بتشييد المباني الفخمة المزينة بالنقوش والزخارف الجميلة في المدينة. وإنشاء المباني العامة لخدمة الحجيج والمتعبدين والمقيمين بجوار المسجد، بهدف نيل الخير والجزاء من الله سبحانه وتعالى.

مشكلة البحث:

لقد عانت فلسطين على مدار التاريخ وحتى هذه اللحظة من الكثير من المشكلات والحروب، وما نُشاهده اليوم على المستوى العالمي والعربي والمحلي، وفي فلسطين خاصةً من حروبٍ ودمارٍ وحصارٍ يتطلب منا التحدث عن مكانة المسجد الأقصى وأثر اعتداءات الاحتلال.(مخطط السيطرة على المسجد الأقصى بدأ فعلاً بعد احتلال القدس في سنة 1967). و«الخطوات الإسرائيلية الأخيرة ما هي إلا حلقة في سلسلة طويلة من الإجراءات الهادفة إلى السيطرة على المسجد الأقصى».(مجلة الدراسات الفلسطينية 105، 164). وبناء

(الهيكل) المزعوم، رغم كونه (خرافة رائجة) (صحيفة الحقيقة الدولية: الصهاينة يُحددون ساعة الصفر لهدم الأقصى، العدد 62،30 ربيع الأول 1428 هـ، 18 إبريل 2007م. ص12).

يمكن تلخيص مشكلة البحث بالإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما هو أثر الاحتلال على واقع المسجد الأقصى؟
- ما مدى انعكاس «صفقة القرن» على المسجد الأقصى؟
- ما هي تداعيات جائحة كورنا على الممارسات الإسرائيلية ومطامعهم على المسجد الأقصى؟

منهج البحث:

أتبع في إعداد البحث المناهج الآتية:

المنهج التاريخي: من خلال جمع الحقائق والبيانات عن طريق دراسة الوثائق والسجلات والتسجيلات بهدف دارستها وتدقيقها والوقوف على أبرز ما جاء فيها أو أثر بها. ويتفق العلماء أن البحث التاريخي هو الطريقة العلمية الوحيدة لفحص الماضي وفهم أحداثه. (المغربي، 2002، ص8).

المنهج الوصفي: كل منهج مرتبط بظاهرة معاصرة بقصد وصفها وتفسيرها، يعد منهجاً وصفياً في البحث الوصفي يقوم بوصف ما هو كائن وتفسيره وصفاً دقيقاً، ويعبر عنه تعبيراً كمياً يعطينا وصفاً رقمياً يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى. (حلّس، ص 157).

الدراسات السابقة:

امتازت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بأنها تناولت تسليط الضوء على مكانة المسجد الأقصى وأثر اعتداءات الاحتلال على الأماكن الدينية خصوصاً المسجد الأقصى

في ظل الأعوام السابقة، وخصوصاً بعد بناء السور وفصل مناطق الضفة الغربية عن القدس ومناطق 48 وغزة، ووضع الحواجز في داخل مناطق الضفة الغربية واستغلال الاحتلال لجائحة كورنا و«صفقة القرن» ليكرس الصعود الصهيوني في السيطرة على المسجد الأقصى. حيث نُوضح أثر سياسة التهويد الإسرائيلية على الوضع الراهن والإجراءات والاعتداءات والمخططات الإسرائيلية لهدم المسجد الأقصى وإعادة بناء الهيكل المزعوم كما يدعون.

من أهم الدراسات السابقة التي وقف الباحث/ ة عليها:

أولاً: أبرز اعتداءات الاحتلال الإسرائيلي على المسجد الأقصى المبارك، دراسة نقدية تحليلية في الدوافع والأهداف، ميلاد، يونس، هدفت هذه الدراسة إلى إبراز وتشخيص واقع المسجد الأقصى المبارك وما يتعرض له من اعتداءات، من قِبَل الاحتلال الإسرائيلي بشتى الطرق والوسائل، تشخيصاً علمياً ينسجم مع الحقيقة الماثلة والواقعة، كما هدفت الدارسة إلى تعزيز الوعي العام لدى مختلف فئات الشعب الفلسطيني، والأمة العربية والإسلامية بحيث تُشكل مساهمة مهمة في حقل المعرفة والدراسات الفلسطينية.

تناولت الدراسة المراحل التاريخية التي مر بها المسجد الأقصى المبارك، بمنهجية تاريخية نقدية مبينة أهم المعالم التي يضمنها، وعرضت الدراسة بمنهجٍ تحليلي أهم أشكال وصور الاعتداءات التي تقوم بها الجماعات الدينية والحزبية والمؤسسة العسكرية، وعلاقة كل تلك الأطياف بعضها ببعض، ومدى التوافق بين تلك الاعتداءات والسياسة العامة لدولة الاحتلال الإسرائيلي بشكلٍ نقدي وتحليلي.

توصلت الدراسة إلى وجود علاقة وطيدة بين ما يجري من اعتداءاتٍ على المسجد المبارك، والسياسة العامة لدولة الاحتلال في منهجية متكاملة عبر الأذرع السياسية والفكرية والدينية والعسكرية والقانونية، وبذلك يكون المسجد الأقصى المبارك معرضاً للتقسيم أو الهدم عندما تسمح الفرصة لذلك.

ثانياً: دور المماليك في الحفاظ على التراث العمراني لمدينة القدس (648 – 922هـ/ 1250 – 1516م)، المسجد الأقصى نموذجاً، عبد الحميد، الفراني، تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الدور المحوري والمهم لدولة المماليك البحرية والشركسية في الحفاظ على التراث العمراني لمدينة القدس، من خلال ترميم القائم منه، وبناء مبانٍ ومؤسساتٍ عمرانية جديدة متعددة الأغراض والمهام. كما تناولت الدراسة الدور الأساسي الذي قام به سلاطين المماليك ورجال دولتهم في المساهمة بترميم وبناء المؤسسات المعمارية الدينية والخدماتية التعليمية وغيرها، وإضافة مبانٍ ومؤسساتٍ عمرانية أخرى ما زالت قائمة إلى يومنا هذا، وقد زادت بها المدينة المقدسة روعةً وجمالاً، وساهمت في التأكيد على هويتها العربية والإسلامية.

استخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- كان للقدس أهمية مكانية كبيرة عند المماليك، وحظي المسجد الأقصى فيها باهتمامٍ بالغٍ ومنقطع النظير.
- كان سلاطين وأمراء المماليك من بين أولئك الحكام الذين سعوا لتعمير وترميم المسجد الأقصى، فشهدت مدينة القدس في العصر المملوكي حركة إعمار واسعة تنافس فيها الأمراء والسلاطين على إعمار وترميم وإصلاح المسجد الأقصى.
- تركزت عمليات الترميم والإصلاح للمسجد الأقصى على الجوانب والنواحي الفنية، والتزيينات الزخرفية بشكلٍ ملحوظ، بهدف تحقيق وحدة جمالية وظيفية فكرية، إضافة إلى وظائفها الإنشائية، ممثلة بتغطية الجدران بأنواع الزخارف والفسيفساء وخلافه.
- شمل الإعمار في المسجد الأقصى على جميع الأماكن فيه، السقوف والأبواب والشبابيك والسبل والقنوات والأرضيات والمآذن والمحاريب.
- بُنيت في العصر المملوكي العديد من العمائر في المسجد الأقصى، والتي ما زالت شاهدة على مدى اهتمام المماليك بالقدس، ومسجدها الأقصى.

ثالثاً: دور الهاشميين في إعمار المقدسات الإسلامية (المسجد الأقصى، وقبة الصخرة)

من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في مساق التربية الوطنية والسبل المقترحة لتفعيل هذا الدور، (1924 – 2017)، ميساء، الكساسبة، تهدف الدراسة إلى التعرف على دور الهاشميين في إعمار المقدسات الإسلامية (المسجد الأقصى، وقبة الصخرة) في مساق التربية الوطنية.

منهج الدراسة: استخدمت الباحثة المنهج النوعي لمعرفة دور الهاشميين في إعمار المقدسات الإسلامية (المسجد الأقصى، وقبة الصخرة) في مساق التربية الوطنية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية، والسبل المقترحة لتفعيل هذا الدور من خلال أداة الدراسة المقابلة المقننة.

نتائج الدراسة: بينت أن الرعاية الهاشمية للقدس جزء من الثوابت الأردنية، وخصوصاً لدى الهاشميين، وقد بذلوا في الدفاع عن المقدسات ومنذ قديم الزمن جميع السبل، كما أكد الملك عبد الله الثاني بن الحسين على طريق الهاشميين، ومنذ استلامه مقاليد الحكم أكد على خصوصية القدس بالنسبة للأمة العربية والإسلامية، وأنها خط أحمر، وأن الأردن سيقف في وجه كل محاولات التهويد التي يتعرض لها المسجد الأقصى الشريف، وصدر في عهد الملك قانون الصندوق الهاشمي لإعمار المسجد الأقصى، وقبة الصخرة المشرفة تحت الرقم 15 لعام 2007م، ليكون ذراعاً مالياً للجنة الإعمار، لضمان استمرارية الإعمار والصيانة وتوفير جميع المتطلبات اللازمة؛ لتأكيد أهمية هذه المقدسات، وحرمتها لدى المسلمين بشكلٍ عام، والهاشميين على وجه الخصوص. وقد زادت المبالغ التي تبرع بها الملك عبد الله الثاني بن الحسين عن 6 ملايين دولار أمريكي، من أجل القيام بمشاريع تُعنى بالحفاظ على المسجد الأقصى، والمقدسات الإسلامية في القدس. فالقدس جزءٌ من عروبة الأمة، وجزءٌ من وطنيتها، فهي قضية لا تخص الفلسطينيين فقط، وإنما العرب جميعهم.

المكانة الدينية: للبلدة القديمة في القدس مكانة دينية خاصة، فهي أرض الأنبياء وموطن الرسالات، وهي عند المسلمين بوابة السماء وإليها أُسّري بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومنها عُرج به إلى السماء، ومسجدها الأقصى كان القبلة الأولى للمسلمين في

صلاتهم، وهو أحد ثلاثة مساجد تُشدّ إليها الرحال، وفيها الصخرة التي ستكون أرض المحشر والمنشر، وهي الأرض المقدّسة والمبارك ما حولها.(معالم مدينة القدس، السلطة الوطنية الفلسطينية، 2015، ص6).

ويشغل المسجد الأقصى المبارك كل المكان الموجود الآن بين الأسوار، المخصص للعبادة، وهو المكان الذي حدثت فيه حادثة الإسراء ليلاً، بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، يقع المسجد الأقصى المبارك جنوب شرق القدس، يحدها من الجنوب الزاوية الختنية ويليها قرية سلوان، ومن الشرق السور الشرقي المشترك للقدس والمسجد يليه مقبرة باب الرحمة، ثم وادي جهنم، ثم جبل الزيتون الذي يطل على المسجد، ويحدها من الشمال كل من حارة باب حطة وجزء من حارة الغوانمة، ويحدها من الغرب حارات إسلامية مختلفة منها جزء من حارة الغوانمة، وحارة باب الناظر، وسوق القطانين وحارة باب السلسلة، وموضع حارة المغاربة التي هدمتها جرافات الاحتلال عام 1967.(بركو، عبد 2010ص 30).

أهم الآثار والمعالم الإسلامية في القدس

في القدس أكثر من مائتي أثرٍ إسلامي، أهمها:

المسجد القبلي (المسجد الأقصى المسقوف)

يقع مبنى المسجد الأقصى المبارك أو ما يُعرف بالمسجد القبلي في الجهة الجنوبية من المسجد الأقصى الذي تبلغ مساحته 142 دونماً، أما مساحة مبنى المسجد القبلي فتبلغ 4500 متر مربع، شرع في بنائه الخليفة عبد الملك بن مروان الأموي، وأتمه الوليد بن عبد الملك سنة 705م، ويبلغ طوله 80 متراً، وعرضه 55 متراً، ويقوم الآن على 53 عموداً من الرخام و49 سارية مربعة الشكل. وكانت أبوابه زمن الأمويين مصفحة بالذهب والفضة، ولكن أبا جعفر المنصور أمر بخلعها وصرفها دنانير تنفق على المسجد، وفي أوائل القرن الحادي عشر، أصلحت بعض أجزائه وصنعت قبته وأبوابه الشمالية. (http: / /www.dci.plo.ps /articl).

The al Aqsa Mosque Building

The al – Aqsa Mosque building is Located in the south center of the Masjid al Aqsa compound. It was built by the Umayyad Caliph al – walidibnAbd al Malik ibn Marwan in the period between 90 AH /709 AD to 96 AH /714AD. That date is supported by some papyrus administrative documents found in Egypt that contain correspondence between QurrahibnSharik, al walid s governor of Egypt, and the ruler of the district of Aphrodito in Upper Egypt consisting of accounts of expenses of the workers who participated in the construction of the al – Aqsa Mosque building.

The al – Aqsa Mosque building consists of an elongated north – south building with a wide central aisle that leads from the entrances on the north side to the dome and miurab on the south side, and with three aisles on the east side and three on the west side. Its north south length is 80 meters and its east west width is 55 meters.(Guide to the Masjid al – aqsa p.18).

First Edition: 1426 – 2005.

المسجد الأقصى: يُطلق اسم المسجد الأقصى كما يقول مجير الدين الحنبلي في « الأنس الجليل» على المسجد الموجود في القبلة وكل ما دار عليه السور، فإن البناء الموجود في صدر المسجد وغيره، من قبة الصخرة والأروقة وغيرها محدثة، والمراد بالأقصى ما دار عليه السور يشمل المسجد الأقصى في الجهة الجنوبية من الساحة وهي جهة القبلة، ومسجد قبة الصخرة، ومسجد النساء والأروقة وجميع الساحات. (البار،2020، ص 47).

سبب تسمية المسجد الأقصى:

للمسجد الأقصى المبارك عدة أسماء، أهمها ثلاثة:

1. **(المسجد الأقصى): والذي سُمّي المسجد الأقصى**

« الأقصى تعني حرفياً الأبعد، وتسمية الأقصى تعني المسجد الأبعد عن مكة المكرمة زمن تنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلمة الأقصى في اللغة قد تأخذ بُعدُ مكانة، إضافة إلى بُعد المكان، وبهذا يكون المسجد الأقصى هو المسجد صاحب المكانة المقدسة، وهذا أقرب عقدياً من التفسير الذي يقصره على بُعد المكان، والمسجد الأقصى موجود في الأرض المباركة كما ورد في القرآن الكريم: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). (سورة الإسراء آية 1).

2. **المساحة** (تبلغ مساحة المسجد الأقصى حوالي 144 دونماً (الدونم = 1000 متر مربع، ويحتل نحو سدس مساحة القدس المسورة، وهو على شكل مضلع غير منتظم، طول ضلعه الغربي 491م، والشرقي 462م، والشمالي 310م، والجنوبي 281م. وهذه الحدود لم تدخلها زيادة أو نقصان منذ وضع المسجد أول مرة كمكان للصلاة، بخلاف حدود المسجدين الحرام والنبوي اللذين تم توسيعهما عدة مرات. ومن دخل حدود الأقصى، فأدى الصلاة، سواء تحت شجرة من أشجارها، أو قبة من قبابه، أو فوق مصطبة، أو عند رواق، أو في داخل قبة الصخرة، أو المصلى القبلي، فهو كمن أدى خمسمائة صلاة فيما سواه عدا المسجد الحرام والمسجد النبوي. (https: / /alquds – city.com /news)

3. **الفضائل التي تجمعت في المسجد الأقصى:**

1. تشريف الأقصى برحلة الإسراء من مكة إليه، والانطلاق منه إلى السماء.
2. فضل الصلاة فيه.
3. فضل شد الرحال إليه.
4. فضل الإهلال بالعمرة منه.
5. فضل الصخرة التي فيه. (النتشة، 2006، ص 241، 276).

6. بيت المقدس خاصة وبلاد الشام عامة أرض مباركة.

7. المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى.

8. المسجد الأقصى المبارك هو ثاني مسجد بني في الأرض.

9. أهل الشام وبيت المقدس مقاتلون في سبيل الله، وهم من الطائفة المنصورة.

10. الأرض المقدسة حاضرة الخلافة الإسلامية في آخر الزمان.

11. ثبات أهل الإيمان في بيت المقدس والشام عند حلول الفتن في آخر الزمان.

12. قصد المسجد الأقصى المبارك للصلاة فيه يُكفر الذنوب ويحط الخطايا.

13. الشام وبيت المقدس أرض المحشر والمنشر. (عفانة، ص 9، 10، 11، 13، 15).

- المسجد الأقصى هو قبلة الأنبياء قبل خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، والقبلة الأولى للنبي الخاتم، لمدة 14 عامًا تقريباً منذ بعثته وحتى الشهر السابع عشر للهجرة.
- الأقصى هو مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ورد في الآية الكريمة:
- «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله» (الإسراء آية(1). وفيه صلى جميع الأنبياء جماعة خلف إمامهم محمد صلى الله عليه وسلم خلال هذه الرحلة، لتكثر بركاته حتى إنها لتفيض حوله.

أثر اعتداءات الاحتلال على واقع المسجد الأقصى

إن أهمية القدس المطلقة لدى اليهود تنبع من الإيمان اليهودي العميق بأن اليهود وهم شعب الله المختار سيحكمون العالم وأنهم الأسياد وأن باقي البشر العبيد، ومثلما كانت القدس عاصمة المملكة العظيمة زمن داوود وسليمان عليهما السلام، فإن القدس ذاتها يجب أن تُهيأ لتكون عاصمة دولة «إسرائيل» الجديدة، عاصمة ملك يهودي من نسل داوود عليه السلام يحكم العالم بأجمعه من القدس. وحيث أن الملك المنتظر هو رمز الخلاص للشعب اليهودي، فإن على الشعب اليهودي إعداد العدة لاستقباله، فهو لن يعود ما لم يكن الهيكل الثالث مهيأً لاستقباله، وحيث أن الأقصى على أنقاض الهيكل وفقاً للزعم اليهودي، فلا

بـــد إذاً من هدم الأقصى وإعادة بناء الهيكل، وقد عبر عـــن ذلك رئيس وزراء «إسرائيل» السابق بن غوريون بمنتهى الوضوح. (خليل، شلش، ص 100).

الحفريات الإسرائيلية في منطقة المسجد الأقصى تمت عبر ثلاث مراحل:

- **المرحلة الأولى**: بدأت عام 1968 حتى عام 1975، حيث تم الكشف عن الحائط الغـــربي وعن مدخل النفق وبوابة باركلي بوابة ورن، والقصور الأموية والشـــارع الهيرودي، وتنظيف حارة المغاربة في الجهة الجنوبية وهدمها.

- **المرحلة الثانية**: بـــدأت من عام 1975 حتى عام 1982م. وهذه المرحلة اعتمدت على التعامل مع الطبقات الأرضية عبر شـــبكة الأنفاق، الهدف منها كان الدخول إلى ساحات المسجد الأقصى عبر شبكة الأنفاق، لفحص البقايا الموجودة تحت قبة الصخرة. هذه الحملة نجحت في الوصول إلى باب السلســـلة ومن ثم الوصول إلى موقع ســـبيل قتباي، ولكن الله أراد أن يكشـــف هذا العمل، فحصل شرخ ترابي على عمق 13م فعرف أهالي القدس أن اليهود يحفرون في أســـفل أرضيات المسجد الأقصى. وعلى الفور تم إغلاق هذه الفتحة بالباطون وكان هذا عام 1982. وبهذا الإغلاق حرمت هذه البعثات من العمل حســـب مخطط مـــازار ودان بهاط، وبن دوف وغيرهم.

- **المرحلة الثالثة**: بدأت من عام 1983 حتى 2000 وهي ما زالت مستمرة ليومنا هذا.

اعتمدت على تنظيف خط النفق على طول 488م ومن ثم تنظيف الممرات الفرعية بفحص منطقة بـــاب الغوانم ومقاطع في واجهات المدرســـة العمرية، (إبراهيـــم، الفني، طاهر، النمري، ص 198).

انعكاس «صفقة القرن» على المسجد الأقصى.

أبـــدى ترامب مواقف متطرفة تجاه القضية الفلســـطينية أثناء حملتـــه الانتخابية، من دعم وتأييد للاســـتيطان في الضفة الغربية، والتأكيد على نقل الســـفارة الأميركية إلى القدس، ومحاربة الإرهاب التطرف، ومطالبة الفلسطينيين الاعتراف بـ«إسرائيل» «دولة يهودية»؛

جـــاء ذلك في كلمته الانتخابية التـــي ألقاها أمام اللوبي الصهيـــوني في الولايات المتحدة AIPAC في آذار 2016، حيـــث أكد ترامت في أول لقـــاء جمعه برئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامـــين نتنياهو بعد وصوله إلى ســـدة الحكم في شـــباط 2017، أن «حل الدولتين» ليس السبيل الوحيد لتحقيق السلام، مخالفاً بذلك الموقف التقليدي للولايات المتحدة المؤيد لـ «حل الدولتين». وعلى النقيض تماماً، أعلن ترامب في لقائه مع الرئيس المصري عبد الفتاح الســـيسي واشنطن في نيسان، نيته بالتوصل إلى تســـوية الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني، وأطلق على تلك التســـوية «صفقة القرن». اجتمع ترامب مـــع عباس في البيت الأبيض في أيـــار 2017، وتعهد خلال المؤتمر الصحفي الذي جمعهـــما بالتوصل إلى اتفاق دائم بين الفلســـطينيين والإسرائيليين. ومن جهته أكد عباس تمسكه بحل الدولتين، وعبر عن أمله في تحقيق معاهدة ســـلام تاريخية في عهد ترامب، وخاطبه قائلاً: «لديكم الإرادة والرغبة لتحقيق هذا النجاح». ورغم ما ســـبق فقد أبدى البعض تفاؤلاً حول إعلان نيته التوصل إلى تســـوية للصراع الإسرائيلي – الفلسطيني، إلا أن القرارات اللاحقة للإدارة الأمريكية أظهرت أن الحديث لا يدور عن تســـوية سياســـية تســـتند إلى قرارات الأمم المتحدة، بل عن مســـعى أميركي لحســـم القضايا العالقة في المفاوضات، قضايا الحل النهائي، لصالح المشروع الإسرائيلي، تمهيداً لتمرير الحل الإقليمي، وتطبيع علاقات «إسرائيل» مع الدول العربية، واســـتبدال مرجعيات حل الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، كما تعرفها قرارات الأمم المتحدة، بمرجعيات الأمر الواقع الذي فرضتها «إسرائيل» بالقوة على أرض الواقع وشريعـــة الغاب، والانتقال من إدارة الصراع إلى حســـم الـــصراع. وبذلك فإن العناصر الرئيســـية التي تقوم عليها الصفقة هي إخراج قضية اللاجئين وإخراج القدس نهائياً من حيز التفاوض لإعطاء الفلســـطينيين عاصمة خارج مدينة القدس، وهو الأمر الذي يُؤثر عـــلى قضية الحدود أيضاً، حيث إن القدس التي تعرفهـــا «إسرائيل» بأنها القدس الكبرى تحتل مســـاحة واســـعة من الضفة الغربية، وتقســـم الضفة إلى قســـمين وتحول الأراضي الفلســـطينية التي من الممكن أن تقوم عليها الدولة الفلســـطينية إلى معازل والانتقال من عمليات الضم الصامت إلى الضم العلني لكتل اســـتيطانية تمهيداً لضم أجزاءٍ واسعةٍ من الضفة إلى دولة الاحتلال وإضعاف الســـلطة الفلسطينية وإنهاء حل الدولتين وفي أحسن

الأحـــوال إقامة حكم ذاتي ضمـــن معازل في الضفة وغزة، وإرغامهـــا على التجاوب مع السياسات الأمريكية الجديدة، وقبول الصفقة. وتطبيع العلاقات العربية – الإسرائيلية. (التفاعلات الدولية إزاء صفقة القرن الأبعاد – التأثيرات، ص9).

أعلن الرئيس الأميركي دونالـــد ترامب بتاريخ 28 يناير/ كانـــون الثاني 2020 عن خطته للسلام بين «إسرائيل» والفلسطينيين والمعروفة إعلامياً بـاسم «صفقة القرن». وقد احتوت على مجموعة من البنود التي جـــاءت في 181 صفحة، وتناولت مختلف القضايا: من الحدود، مروراً بحق العودة، والقدس، ووصولاً إلى شـــكل الاقتصاد الفلسطيني. (https: / /www.aljazeera.net /news /humanrights).

شـــغلَ الفلســـطينيون الخط الأمامـــي. ففـــورًا بعد أن كشـــف الرئيس ترامب عـــن خطّته للســـلام، رفضها قائد «السلطة الفلســـطينية» محمود عبّاس بشـــدّة، معلّقًا أن الخطة «لن تمرّ وســـتذهب إلى مزبلة التاريـــخ». كما رفض تصريـــح ترامب بأن القدس ســـتبقى «عاصمة «إسرائيل» غير القابلة للتجزئة»، وأكّد أن القدس ليســـت للبيع أو للمساومة. وهدّد عبّاس أيضًا باتّخاذ إجراءات من أجل إنهاء «الدور الوظيفي» الذي تضطلع به «السلطة الفلسطينية» (القـــدس العربي). وطلبَ رســـميًّا أن تعقـــد «جامعة الدول العربيـــة» دورة غير عاديّة على المستوى الوزاري، من أجل بحث سبل مواجهة ما يُدعى بـ«صفقة القرن» (الحياة الجديدة).

تداعيـات جائحـة كورنـا علـى الممارسـات الإسـرائيلية ومطامعهم بالمسجد الأقصى.

ما إن بدأت أزمة انتشـــار وباء كورونا في فلســـطين، حتى بـــدأت «إسرائيل» والمنظمات اليهودية المتطرفة محاولات استخدام هذه الجائحة وتطويعها لخدمتها بأشكال متعددة ضد المسجد الأقصى المبارك. وبدأت شرطة الاحتلال إغلاق بعض أبواب الأقصى، في محاولة منها لاستغلال موضوع الفيروس من أجل تشديد إجراءاتها على الأقصى والمصلين.

وأُفيـــدَ أن الاحتلال وجماعات الهيكل المتطرفة يتطلعون إلى إنجاز اقتحامٍ لهم للمســـجد الأقصى في تاريخ (22 – 5) في مناســـبة دينية لهم، وهي ذكرى اســـتكمال المدينة حســـب

التقويم العبري الخاص بهم، حيث تسعى إلى استباحة المسجد الأقصى المبارك في هذا التاريخ.

تعيش مدينة القدس منذ 1967 ظروفاً قاسيةً، حاول الاحتلال خلالها القضاء والسيطرة على كل المقدرات الدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمدينة، لفرض روايته على الأرض كالعادة.

وقد عمقت أزمة كورونا من الوضع خاصةً بعد إغلاق المساجد والمسجد الأقصى والأسواق والمحلات في البلدة القديمة والبلدات المجاورة، مما ضاعف من حجم الأزمة، خاصةً على الطبقات الفقيرة، ومنها الأسر فاقدة المعيل، والمتعففة التي تعجز عن توفير مستلزمات اليوم في الأحوال العادية. (https: / /www.qudspress.com /index).

النتائج والتوصيات

المسجد الأقصى والقدس يُواجهان هجمة استيطانية متصاعدة من الاحتلال، خصوصاً في ظل ممارسات سلطات الاحتلال هذه السياسة العدوانية التي ستجر المنطقة نحو إحداث كارثة حقيقية تستهدف المقدسات الفلسطينية والشعب الفلسطيني. وإن الإعلان عن المشروع اليهودي الذي يهدف إلى تهويد القدس، وتقسيم المسجد الأقصى المبارك، إنما هو ضرب من العدوان الآثم، يمس عقيدة المسلمين، لأن القدس والمسجد الأقصى المبارك مِلكٌ للمسلمين وحدهم، وتنحصر السيادة فيهما للمسلمين وحدهم، ولعل ما يتهدد قبلتنا الأولى ومسرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، يتطلب وقفة حازمة وحاسمة لوقف الانتهاكات الإسرائيلية في القدس والمسجد الأقصى قبل أن تقع الطامة بهما.

لذلك فإن العالم أجمع وحكوماته ومنظماته ومؤسساته التي تُعنى بالسلام والإنسان والمقدسات، وزعماء الأمة العربية والإسلامية وشعوبها، على وجه الخصوص، مطالبون بالعمل على إنقاذ القدس والمسجد الأقصى المبارك، وهم مطالبون بضرورة ثني سلطات الاحتلال عما تُخطط له من طمس هوية مدينة القدس وتشريد أبنائها، والوقوف في وجه الآلة العسكرية لسلطات الاحتلال التي تُمارس أبشع الجرائم والتطهير العرقي ضد أبناء

فلسطين بعامة، ومدينة القدس بخاصة، مما يزيد من حالة الاحتقان في المنطقة، ويضر بالاستقرار والأمن العالميين، مع التأكيد على أن القانون الدولي يمنع التعرض للمقدسات والآثار التاريخية للبلد المحتل، فالصمت الدولي إزاء هذه الممارسات وضد أبناء الشعب الفلسطيني ومقدساته مستهجن إلى أبعد الحدود، فدول العالم مطالبة بضرورة التحرك لوقف العدوان الإسرائيلي الغاشم ضد شعبنا ومقدساته، للحيلولة دون مخاطر العبث بالمسجد الأقصى المبارك وتداعياته.

ولا ننسى جائحة كورونا حيث استغلت «إسرائيل» جائحة الكورونا التي اجتاحت العالم كله مما ساعدها على إغلاق أكبر عددٍ ممكن من أبواب المسجد الأقصى، وأبقت على بابين فقط، وعملت على إبعاد المرابطين عن الأقصى إلى الضفة أو منعهم من الوصول للأقصى، وعملت على زيادة الدعوات الاستغلالية من قبل جماعات الهيكل المزعوم التي ساعدت على إبقاء المسجد فارغاً، وعليه تُوصي الباحثة بزيادة حملات الوصول إلى الأقصى ومواجهة حملات جماعات الهيكل المزعوم والدفع بأكبر عدد ممكن من الناس للصلاة في الأقصى والاعتصام أمام أبواب المسجد الأقصى المغلقة.

كما أن السلطات الإسرائيلية صَعّدت بشكلٍ ملحوظ من عمليات هدم منازل الفلسطينيين رغم انتشار الوباء، ومن عمليات الاعتقال والإبعاد عن القدس والمسجد الأقصى.

كما حاول الاحتلال توظيف جائحة كورونا في اتجاهات مختلفة، أبرزها: أن دخول هذه الجائحة أدى لتوقف فعاليات الفجر العظيم التي تنامت وانتشرت في الضفة الغربية والقدس.

بعد استعراض الاعتداءات التي تتعرض لها مدينة القدس والمسجد الأقصى المبارك؛ أرضاً وشعباً ومقدسات، من أخطار الاحتلال والاستيطان والتهويد، فإن مدينة القدس أُولى القبلتين ومسرى الرسول الأعظم، صلى الله عليه وسلم، فيها المسجد الأقصى؛ ثالث المسجدين الشريفين، الذي بارك حوله، وفيها قبة الصخرة المشرفة، وكنيسة القيامة، هذه المدينة العربية الإسلامية ترزح الآن تحت الاحتلال الإسرائيلي، وتُناشد العرب والمسلمين التمسك بعروبتها وبحقوقهم التاريخية فيها، وبالسيادة عليها مهما طال الزمن، وبلغت

التضحيات، وأن يقاوموا عمليات تهجير أهلها، والاستيلاء على عقاراتها، ومصادرة أرضيها، وبناء المستوطنات فيها وحولها، وتغيير معالمها الدينية والتاريخية، وطمس هويتها العربية، كما يقاومون كل اعتداءات اليهود على أماكنها المقدسة الإسلامية والمسيحية، ويعاهدون الله على تحريرها، وإعادة بسط سيادة الأمة عليها. إن الله على كل شيء قدير.

بناء على النتائج السابقة تُوصي الباحثة بما يلي:

- تشكيل حالة من الحراك الشعبي والجماهيري لمطالبة الجهات المعنية وأصحاب الولاية الدينية على المقدسات الإسلامية، للضغط على الاحتلال الإسرائيلي، بمختلف أجهزته وأذرعه المختلفة، وذلك من أجل رفع القيود المفروضة على المصلين المسلمين المتوجهين إلى المسجد الأقصى المبارك وغيره من الأماكن الدينية الإسلامية والمسيحية.
- زيادة الوعي اتجاه المدينة والمقدسات من خلال زيادة المطبوعات والنشرات وطباعة دليل للبلدة القديمة والمسجد الأقصى المبارك.
- إحياء السياحة الدينية والتاريخية والأثرية في القدس.
- توعية العالم بأسره بأهمية المسجد الأقصى وقبة الصخرة المباركة وحمايتها من التهويد.
- المحافظة على التراث الحضاري والتاريخي للقدس والمسجد الأقصى من خلال تعزيز صمود أبناء القدس عبر توفير الدعم المالي لترميم أبنيتهم.
- تنظيم ندوات دولية عن القدس والمسجد الأقصى في معظم بلدان العالم.
- إصدار دراسات حول الأماكن الدينية والحضارية والأثرية والتاريخية باللغة العربية وترجمتها إلى لغات أخرى.
- تكوين قنوات للتوعية بكل ما يتعلق بالمسجد الأقصى وما حوله، وذلك من خلال استخدام وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية.
- عقد المؤتمرات العلمية التي تخص القدس والمسجد الأقصى في كافة الجامعات العالمية.

المراجع والمصادر:

1. القرآن الكريم.

2. البار، محمد علي، القدس والمسجد الأقصى عبر التاريخ مع دراسة تحليلية للقضية الفلسطينية، الطبعة الثانية. (2020).

3. باروت، محمد جمال، الكيلاني، شمس الدين، القدس في الجغرافية الروحية الإسلامية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. (2010).

4. بركو، عبد بن محمد، المسجد الأقصى المبارك والهيكل المزعوم، الطبعة الأولى، دمشق – سوريا. (2010).

5. حلّس، داوود درويش، دليل الباحث في تنظيم وتوضيح البحث العلمي في العلوم السلوكية. (2006).

6. شلش, خليل شرف، القدس والمسجد الأقصى في الفكر الإسرائيلي المعاصر، قراءة تاريخية سياسية ودينية للمسجد الأقصى وعلامات الملحمة الكبرى ودمار الصهيونية، الطبعة الأولى، دار المأمون للنشر والتوزيع، دار الفوائد للنشر والتوزيع، الأردن – عمان. (2011).

7. الصالح، محسن محمد، القضية الفلسطينية، خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت – لبنان. (2012).

8. عايد، خالد، الاستعمار الاستيطاني للمناطق العربية المحتلة خلال عهد الليكود، الطبعة الأولى. (1986).

9. عفانة، حسام الدين بن موسى، ، المسجد الأقصى المبارك فضائل وأحكام وآداب. (2014).

10. غوشه، محمد هاشم، تاريخ المسجد الأقصى، دليل أثري تاريخي موجز للمعالم الإسلامية في المسجد الأقصى المبارك، دولة فلسطين، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الطبعة الثانية، 1426هـ/ 2005م. (2005).

11. الفني، إبراهيم، و النمري، طاهر، المسجد الأقصى والصخرة المشرفة التاريخ – العمارة – الأنفاق – الحفريات – الخطط الصهيونية، الطبعة الأولى، الإصدار الأول، دار الشروق للنشر والتوزيع. (2001).

12. معالم مدينة القدس، السلطة الوطنية الفلسطينية وزارة الإعلام. (2015).

13. المغربي، كامل محمد أساليب البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العلوم. (2002).

14. النتشة، جواد بحر، مكانة بيت المقدس بين نصوص الوحي وحركة الإنسان، مركز دراسات المستقبل الإنساني، الطبعة الأولى، مركز دراسات المستقبل الإنساني، فلسطين – الخليل. (2006).

15. وزارة الإعــلام، التفاعلات الدولية إزاء «صفقة القــرن» الأبعاد – التأثيرات، – المكتب الإعلامي الحكومي مركز الدراسات السياسية والتنموية، سبتمبر وقائع وأوراق عمل قدمت خلال ندوة حوارية نظمهــا كل من وزارة الإعلام (المكتب الإعلامي الحكومي) ومركز الدراســات السياســية والتنموية بتاريخ 5 أغسطس 2019م. في مدينة غزة.

المراجع باللغة الانجليزية:

1 – State of Palestine Ministry of Awqaf and Religious Affairs, Guide to the Masjid al – Aqsa, An architectural and historical guide to the Islamic monuments in the Masjid al – Aqsa, By Dr. Muhammad Ghosheh, Translated and Revised by Dr. Robert Schick. First Edition: 1426 – 2005.

المجلات:

• مجلة الدراسات الفلســطينية 164، 105، شتاء 2016 وقائع القدس، المسجد الأقصى، تجليات الصراع والسيطرة، نظمي الجعبة.

المراجع الإلكترونية:

• www.alqusd – online.org.

• https: / /alquds – city.com /news

• http: / /www.dci.plo.ps /articl

• https: / /www.aljazeera.net /news /humanrights.

• https: / /www.washingtoninstitute.org /ar /fikraforum /view /arab.

• https: / /www.palinfo.com /news.

• https: / /www.qudspress.com /index.

• https: / /alquds – city.com /items

دراسة خاصة:
«كنيسة القيامة بين القدسية والتاريخ»

بقلم الفقيد أ.د. حنا عيسى(*)

أمين عام الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات

المقدمة

لحظة وصولك إلى مدينة القدس، وتخطي أسوار البلدة القديمة فيها، تعبق حواسك بتاريخها الحافل وقدسية معالمها، فتسمع نداء «الله أكبر» من على مآذن وقباب المسجد الأقصى المبارك، وتطرب أُذنيك بقرع أجراس القيامة، ويُذهل بصرك من عجائب بنيانها ودقة هندستها، فهذه المدينة تحوي بين حجارة أسوارها أعظم مسجد للمسلمين وأشرف كنيسة للمسيحيين، كنيسة القيامة...

تُعد كنيسة القيامة من أعرق وأقدم وأهم الكنائس في العالم، وهي تقع في حارة النصارى في قلب القدس، استغرق العمل في بنائها أحد عشر عاماً، إذ بدأ عام ثلاثمائة وخمسة وعشرين

(*) هذه الدراسة الهامة للفقيد د. حنا عيسى سبق نشرها في مواقع إلكترونية، وتعيد مجلة المقدسية نشرها لأهميتها و تقديراً منها للفقيد ولإسهاماته السياسية، وخاصة في تعميق علاقات الإخوة وروابط المواطنة في نسيج شعب فلسطين بتأكيد البعد المسيحي في مكونات الهوية الفلسطينية.

وانتهى عام ثلاثمائة وستة وثلاثين للميلاد، إذ كان طولها 54 متراً وعرضها 62 متراً، وكان موضعها يقع خارج محيط السور الذي أحاط بالقدس في ذلك الوقت.[1]

أشرفت على بنائها الملكة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين عندما حضرت إلى القدس في الثلث الأول من القرن الرابع للميلاد وقد تجاوز سنها الثمانين، وكانت القدس آنذاك خربة، وكان الوثنيون قد أقاموا في الجلجلة – مكان الكنيسة اليوم – هيكلاً للمشتري وتمثالاً للزهرة، فأمرت الملكة بهدم هذه التماثيل وأمرت بالتنقيب في المكان بحثاً عن الصلبان[2]،.. ويتردد أن هيلانة عثرت أثناء زيارتها إلى بيت المقدس على ما اعتقدت أنه خشبة الصليب الذي عُلِق عليه السيد المسيح داخل بئرٍ في بستان يوسف الرامي، فأرادت بناء كنيسة في المكان[3].

لبى الإمبراطور رغبة والدته، ولم يُوفر مالاً ولا حرفيين أو خبراء في سبيل بناء كنيسة لائقة، وأشرف على البناء بشكلٍ مباشرٍ مهندس اسمه «زينو بيوس»، ورجل دين من شيوخ الكنيسة اسمه «يوستاثيوس».

تم تكريس كنيسة القيامة سنة ثلاثمائة وست وثلاثين، وتوجه الأساقفة الذين كانوا يحضرون مجمعاً محلياً في صور إلى بيت المقدس للمشاركة في حفل التكريس الذي أعلنت فيه قدسية كنسية القيامة أو الضريح المقدس.[4]

وبني فوق الضريح المقدس بناء مدور، وبنيت ما بين الباب والمبنى المدور باسيليكاً كبيرةً،

(1) د. محمد غوشة، موسوعة كنيسة القيامة، (فلسطين: مطبعة أدكيدك الحديثة، شباط 2010)، ص32.

(2) المرجع السابق ص32.

(3) د. محمد غوشة، موسوعة كنيسة القيامة، (فلسطين: مطبعة ادكيدك الحديثة، شباط 2010)، ص32.

(4) نافذ أبو حسنة، «كنيسة القيامة،» المركز الفلسطيني للاعلام، الحلقة الثانية والثمانون، (13 ايلول 2011).

http://www.palestine – info.info/arabic/books/beet_maqdes/maqdes82.htm

وخمســة أروقة بين الأعمدة مع جناح مدور بارز في ساحة متسعة، فبقيّ موضع الصليب منعزلاً على حدة باعتباره مزاراً قائماً بذاته.[1]

حظيت كنيســة القيامة باهتمام البطريرك زخريا ســنة 609م، وعــلى عهده قرر ملك الفرس كسرى أن يُهاجم مدينة القدس ســنة 614م، وأرســل إلى هناك قائده قورش الذي احتل القدس ودمر كنائســها وأحرقها، واستولى الفرس خلال هذا الهجوم على خشبة الصليب.[2]

وبعد هدمها أعاد بناءها ســنة 636م الراهب «مودستوس» رئيس دير العبيديين في ذلك الوقت، وفي هذا الوقت عاد إلى القدس من جديد بطريركها زخريا الذي سِــيقَ أسيراً إلى بلاد فارس ومعــه الإمبراطور «هرقل» حاملاً على كتفه خشــبة الصليب المقدس، مُعلناً إعادتها من فارس إلى كنيســة القيامة من جديد[3]، ولما فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس أعطى النصارى أمناً لأنفسهم وكنائسهم، ولم يصبها بأذى، حتى إنّه أبى أن يصلي في كنيسة القيامة، وقد حان وقت الصلاة وهو فيها على الرغم من أن البطريرك صفرونيوس أشــار عليه أن يصلي حيث كان، إلا أنه اعتذر وصلى على مقربة منها، وخشي إن صلى بالكنيســة أن يتخذ المسلمون بعده ذلك حجةً ويُطالبوا بحقٍ لم يكن لهم فيها.[4]

وأدت زيارة الخليفة عمر بن الخطاب إلى كنيســة القيامــة بصحبة بطريرك القدس آنذاك صفرونيوس إلى إصدار أشهر وثيقة ســلام عرفها التاريخ وهي «العهدة العمرية» والتي جاء فيها:

---

(1) د. محســن صالح، دراســات في التراث الثقافي لمدينة القدس، (بيروت: مركز الزيتونة للدراســات والاستشارات)، ص 248.

(2) د. محمد غوشة، موسوعة كنيسة القيامة، (فلسطين: مطبعة ادكيدك الحديثة، شباط 2010)، ص3.

(3) المرجع السابق. ص41

(4) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، (القدس: مطبعة المعارف، الطبعة الثالثة 1999)، ص517.

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين، أهل إيلياء «القدس» من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، سقيمها وبريئها، وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيِّزها، ولا من صليبهم ولا من شيءٍ من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمنٌ على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم «أي كنائسهم» وصلبهم «أي صلبانهم» فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم...»[1]

وفي سنة 746م ضرب القدس زلزال عنيف أثر على بنيان كنيسة القيامة، فأرسل الملك شارلمان أموالاً ساعدت على إعادة بناء وإعمار الكنيسة بموافقة الخليفة هارون الرشيد.[2]

وفي عهد الخليفة العباسي المأمون سنة 817م رمم البناء الذي أقامه «مودستوس» البطريرك توما الأول، حيث أحضر من قبرص أخشاباً من الأرز والصنوبر، وأنشأ بها قبةً للكنيسة ثم كساها بصفائح الرصاص، كما وتبرع أحد رجالات مصر آنذاك ويدعى بكام أو مكاريوس القبطي بمبالغ مالية لإكمال بناء القبة[3]، وفي عهد الإخشيديين مصر عام 965م أُحرقت الكنيسة وسقطت قبتها، وكان ذلك في ولاية محمد بن إسماعيل الصناجي، يقول

(1) الأقباط الأحرار، (الثلاثاء، 11 /9/ 2012)،
http://www.freecopts.net/forum/showthread.php?t=6911

(2) د. محمد غوشة، موسوعة كنيسة القيامة، (فلسطين: مطبعة ادكيدك الحديثة، شباط 2010)، ص50.

(3) المرجع السابق ص50.

المؤرخ الأنطاكي «أن هذه الحاثة جرت على أيدي اليهود، حيث أحرقوا الكنيسة بعد أن قتلوا بطريركها العسقلاني خريستوفورس، أما في زمن البطريرك يوسف الثاني سنة 980 فقد أعادوا بناءها، وفي عام 1009م أمر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بهدمها فهدمت، إلا إنه عاد وأجاز للنصارى أن يُعيدوا البناء من جديد، فشيدوا كنيسة القبر المقدس فقط، عام 1035 سمح الخليفة الفاطمي المستنصر بالله للنصارى ببناء الكنيسة من جديد، وقد تم البناء الجديد في عهد قسطنطين منوماخس سنة 1048م».[1]

وعندما احتل الصليبيون القدس سنة 1099م وجهوا اهتمامهم لتعمير الكنيسة محافظين على المعابد فيها، إلا أنهم جمعوا المعابد في كنيسة واحدة فوحدوا كنيسة انسطاسيا وكنيسة الشهداء والمعابد الأخرى وبنو شرقي القبر كنيسة عُرفت باسم «كنيسة نصف الدنيا» بإشراف المعماري الفرنسي آنذاك جوردان، وشيدوا برجا للأجراس.[2] وأعادوا بناء القبر المقدس من جديد في حدود سنة 1119م، وكان لكنيسة القيامة في ذلك الوقت بابان آخران من الغرب يُؤديان إلى سوق حارة النصارى، أما أحدهما فهو مخفي في إحدى دكاكين السوق، والآخر ما زال ظاهراً للعيان، وفي سنة 1118م وصف الراهب الكريتي فوكاس كنيسة القيامة بأنها كانت مزينة بالذهب الذي أهداه إمبراطور بيزنطة عمانويل.[3]

وعندما فتح السلطان صلاح الدين الأيوبي القدس سنة 1187م أشار عليه بعض أصحابه أن يهدمها كي لا يبقى لنصارى الغرب حجة لغزو البلاد المقدسة إلا إنه أبى وآثر الاقتداء بعمر بن الخطاب، فأبقاها وأمر المسلمين أن لا يمسوها بسوء[4]، واتخذ دار البطريرك الكائنة شمال غرب الكنيسة سكناً له وأضاف عليها ما راه مناسباً لإقامته فيها، وهذه

(1) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، (القدس: مطبعة المعارف، 1999)، ص517.

(2) المرجع السابق. ص518.

(3) د. محمد غوشة، موسوعة كنيسة القيامة، (فلسطين: مطبعة ادكيدك الحديثة، شباط 2010)،ص54.

(4) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، (القدس: مطبعة المعارف، 1999)، ص518.

الدار أنشأها البطريرك أرنولف إبان الاحتلال الصليبي للقدس، ثم عرفت بعد أن وقفها صلاح الدين الأيوبي باسم «الخانقاه الصلاحية». وبموجب اتفاقية الصلح بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والملك ريكاردو ريتشـــارد قلب الأسد ملك انجلترا، سمح صلاح الدين الأيوبي للحجاج النصارى بزيارة القدس والحج إلى الأماكن المقدســة في كنيســة القيامة ولا سيما لرهبان اللاتين.[1]

وفي عام 1808م اســتعرت النار في معبد الأرمن وامتد اللهب إلى أنحاء الكنيسة فسقطت القبة، ولم يســلم من النار إلا جانب من الجلجلة وكنيسة القديسة هيلانة ومعبد اللاتين. وحصل الروم على إذنٍ من السلطان محمود الثاني بترميم الكنيسة فرمموها 1810م، وشادوا فــوق القبر المقدس البناء الموجود حالياً. وفي عهد إبراهيم باشــا ســنة 1834م تعرضت القدس لهزة أرضية أدت إلى تصدع كنيسة القيامة.[2]

أما في عهد العثمانيين فقد أعاد السلطان ســليمان القانوني تنظيم الزيارات لكنيسة القيامة في مدينة القدس، ففرض على الزوار النصارى إلى كنيسة القيامة ضريبةً وفق التالي: الزائر اللاتيني 14 قرشــاً، والزائر اليوناني الأرثوذكسي 7 قروش، وعلى الأرمني 5، أما العربي والقبطي 3، وأعفى الحبش والكرد من هذه الضريبة، وأصدر فرماناً يمنح بموجبه عائلة غيضة المسلمة مفاتيح كنيسة القيامة وعائلة نسيبة الخزرجي فتح بوابة الكنيسة.[3]

وأخر ترميم لكنيســة القيامة كان في أواخر القرن التاسع عشر يوم اتفقت الدول الثلاث (فرنسا وروسيا وتركيا) بنفقات التعمير، وأن تتولى تركيا الإشراف على التعمير، وهذا ما جرى وقد بلغت النفقات التي صُرفت لتعميرها عام 1869 م أربعين ألف ليرة ذهباً.[4]

(1) د. محمد غوشة، موسوعة كنيسة القيامة، (فلسطين: مطبعة أدكيدك الحديثة، شباط 2010)، ص65.

(2) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، (القدس: مطبعة المعارف، 1999)، ص518.

(3) د. محمد غوشة، موسوعة كنيسة القيامة، (فلسطين: مطبعة أدكيدك الحديثة، شباط 2010)، ص62.

(4) المرجع السابق. ص518.

وفي عهد الانتداب البريطاني تعرضت القدس لهزة أرضية عام 1927م فأصاب الكنيسة ما أصاب غيرها من العمارات القديمة فتداركت الحكومة البريطانية الخطر وشدت البناء في مواضيع معينة بالخشب والإسمنت المسلح بالحديد، ونصحت الحكومة البريطانية الناس بعدم دخول الكنيسة قائلةً: «إنها لا تتحمل أية مسؤولية إذا هم أصروا على الدخول».[1]

معالم كنيسة القيامة

وتتكون كنيسة القيامة من قبتين كبيرتين الواحدة أكبر من الأخرى بقليل... والكبرى وهي القائمة إلى الغرب فهي القائمة فوق القبر المقدس، والأخرى وهي القائمة إلى الشرق فهي قبة كنيسة نصف الدنيا. وتنضوي إلى هاتين القبتين كنائس أخرى مختلفة بالشكل والحجم والقوام، وتُقدر مساحة الأرض القائمة عليها كنيسة القيامة بنحو ثمانين متراً في ستة وستين متراً.[2]

وتحتضن كنيسة القيامة عدداً كبيراً من الكنائس والأديرة التابعة لطوائف مسيحية عدة، كالروم الأرثوذكس والفرنسيسكان والأرمن والسريان والأقباط والأحباش، وتشتمل الكنيسة من الداخل على صحن دائري يُسمى القيامة، يعلوه قبةً ضخمة شيدها الإمبراطور قسطنطين بالقرن الرابع الميلادي، وهي تشمل طابق علوي مرفوع على أعمدة رخامية يتخلله رواق دائري ويضم معابد صغيرة وغرف مخصصة لسكن الرهبان.[3]

وفي كنيسة القيامة عدا عن قبر المسيح سبعة قبور اثنان منها ليوسف الرامي وأسرته، وهما في معبدٍ كائنٍ غربي القبر المقدس، واثنان آخران يقعان في غرفة موجودة يمين الباب القبلي الكبير للكنيسة، وهما لغودفري وبولدوين من ملوك الصليبيين، وواحد في حجرة للروم

(1) المرجع السابق. ص518.

(2) المرجع السابق. ص519

(3) د. محمد غوشة، موسوعة كنيسة القيامة، (فلسطين: مطبعة ادكيدك الحديثة، شباط 2010)، ص118.

يُسمونها «حبس المسيح» ولا أحد يدري لمن هذا القبر، وأمام الكنيسة من الخارج هناك قبرٌ سادس لإنجليزي من قادة الصليبيين وهو فيليب دويتي، والسابع «قبر الأربعين شهيد» عند كنيسة مار يعقوب.[1]

وهناك في كنيسة القيامة ثلاث عشرة بئراً تتجمع فيها مياه الأمطار، وكان الناس فيما مضى يخلعون نعالهم عند دخولهم الكنيسة، ويظهر أن هذه العادة دامت حتى القرن التاسع عشر ثم زالت.[2]

واجهة كنيسة القيامة

يوجد أمام مدخل الكنيسة بلاطة من الرخام رُسم عليها ترسٌ «نورماندي» حيث يقع قبر فيليب أبيوني معلم الملك هنري الثاني ملك انجلترا الذي وقع مع أخيه الملك جون على وثيقة «المغناكرتا» سنة 1215م، والتي تعد أصل الدستور البريطاني، في حين يقع على يسار الباب دكة عالية فُرشت بالحصير والسجاد يجلس عليها السيد وجيه نسيبة متسلم مفاتيح القيامة.[3]

ساحة الكنيسة

وتقع الساحة تجاه الباب الرئيس الذي يتوصل منه إلى داخل الكنيسة، وتمتد هذه الساحة على طول 25 متراً وعرض 17 متراً، وتشمل الساحة على عددٍ من الأعمدة والتيجان التي كانت تحمل أروقة ومباني الفرسان الإسبارتية إبان الاحتلال الفرنجي للقدس. وفي الجانب الآخر من الساحة يُوجد جامع عمر بن الخطاب الشهير ذو المئذنة المملوكية المرتفعة، كما يُحيط الكنيسة من جانبيها عدد آخر من الأديرة التاريخية، فإلى اليمين يقع معبد

(1) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، (القدس: مطبعة المعارف، 1999)، ص519.

(2) المرجع السابق. ص520.

(3) د. محمد غوشة، موسوعة كنيسة القيامة، (فلسطين: مطبعة ادكيدك الحديثة، شباط 2010)، ص122.

الفرنج المعروف بـ «سـيدة الأوجاع»، ودير السلطان الشهير، وكنيسة مار إبراهيم للروم الأرثوذكس، ومصلى الأرمن، وإلى اليسار تقع كنيسة يعقوب ومريم المجدلية والأربعين شـهيداً... وتزحم ساحة كنيسة القيامة بالمصلين والجماهير المحتشدين من أنحاء العالم في يومي خميس الغسل وسبت النور من أسبوع الآلام الذي ينتهي بعيد الفصح المجيد.[1]

برج الأجراس

يقع في الناحية الغربية من الكنيسة على يسار الداخل من بابها الجنوبي الوحيد المفتوح، وهو عبارة عن بناءٍ مرتفع مخصـص للأجراس، لكنه غير مكتمل من العلو ومغطى بالقرميد، ويرجع تاريخ إنشاءه إلى الفترة ما بين 1160م إلى 1180م وهي فترة الاحتلال الفرنجي.[2]

بابا الكنيسة الجنوبيان

لكنيسـة القيامة بابان كبيران يقعان لصق بعضهما في منتصف الواجهة الجنوبية للكنيسة، وقد سـد الباب الجنوبي الشرقي بمداميك حجرية بعد ترميم الكنيسـة إثر احتراقها سنة 1808م في حين بقي الباب الجنوبي الغربي مفتوحاً إلى يومنا هذا.[3]

درج الجلجلة

ويقع على يمين الداخل إلى كنيسـة القيامة تجاه دكة الحـراس، وتُؤدي الدرجات نصف الدائريـة إلى قوس باب من الحجر الأحمر، تُفضي إلى كنيسـة الجلجلـة للاتين ثم للروم، ويعلو قوس الباب درابزين حجري تُزينه مشربيات حجرية.[4]

دكة الحراس

وتقع على يسار الداخل مباشرة إلى كنيسة القيامة، وهي مخصصة لوقوف حراس الكنيسة

(1) المرجع السابق. ص126.

(2) المرجع السابق. 127.

(3) المرجع السابق. ص128.

(4) المرجع السابق. ص130.

من عائلة نسيبة المقدسية، ويُوجد في واجهة الدكة ثلاث طاقات لها أبواب خشبية مخصصة لوضع حاجيات حراس الكنيسة.[1]

حجر المغسل

ويقع تجاه الباب الخارجي للكنيسة، وهو من أكثر أماكن الكنيسة زيارة، وضع في مكانه بعد ترميم الكنيسة سنة 1828م، وهو لكل من الروم والأرمن واللاتين، وترقى جذوره التاريخية إلى القرن الرابع عشر الميلادي.[2]

قبة كنيسة القيامة

تم تجديد قبة الكنيسة بعد أن اتفق رؤساء الطوائف المسيحية الثلاث في كانون أول (ديسمبر) من عام 1994م على القيام بأعمال الترميم في القبة الكبيرة التي تعلو القبر المقدس، وقد أعد التصاميم اللازمة لأعمال الزخرفة والبناء الفنان الأمريكي ارا نورمات، حيث تولت «البعثة البابوية في سبيل فلسطين» الإشراف الكامل على الأعمال بعد أن حازت على ثقة الطوائف الثلاث، وقد تم تدشين تجديد القبة في احتفال مهيب في الثاني من شهر كانون الأول من سنة 1997م مجسدة لشمس تسطع في منتصف القبة من الفتحة التي تعلوها في مركزها.[3]

أقواس العذراء

يفصل هذا الرواق بين الجانب الشمالي لكنيسة قبة نصف الدنيا وواجهة دير الرهبان الفرنسيسكان، ويُؤدي إلى حبس المسيح الكائن في الركن الشرقي للكنيسة، ويعلوه أقبية

(1) المرجع السابق. ص131.

(2) المرجع السابق. ص132

(3) المرجع السابق. ص136

صليبية متقاطعة محمولة على سلسلة من العمدان والعضائد الحجرية والرخامية.[1]

رواق الصليبيين

وهو رواقٌ يصل المذابح الشرقية لكنيسة القيامة ببعضها البعض.

القبر المقدس

ويقع في الناحية الغربية من الكنيسة، أسفل قبة الكنيسة الكبيرة الرئيسة، وهو عبارة عن بناء مرتفع مستدير الشكل يشبه بانثيون روما في شكله، مدعم ومرفوع على أقواس وثمانية عشر عموداً عالية، لها قبة قطرها عشرة أمتارٍ تقريباً، ويدخل إلى القبر من باب شرقي تزينه الرسوم المصورة والشمعدانات والنقوش الرخامية والقناديل والمصابيح الذهبية والفضية والرايات المقدسة. ويُوجد بداخل القبر المقدس غرفة مثمنة الشكل طولها حوالي سبعة أمتار وعرضها ستة أمتار مكسوة بالرخام، تنتهي إلى حجرة أُخرى تُسمى «مصلى الملائكة» أو «معبد الملاك» طولها حوالي ثلاثة أمتار وعرضها كذلك، وعلى جانبيها طاقتان تخرج منهما النار في عيد سبت النور، وتعلو الغرفة من الداخل قناديل ذهبية خمسة منها للروم وخمسة للاتين وأربعة للأرمن وقنديل واحد للأقباط، وفي الداخل أيضاً مقعد رخامي يمثل «قبر الخلاص» طوله متران وعرضه متر ونصف تزينه الشمعدانات الضخمة والأيقونات العتيقة، له سقف قائم على أعمدة رخامية بديعة التصميم، ويتدلى من السقف 34 قنديلاً ذهبياً منها: أربعة للأقباط، وثلاثة عشر للروم الأرثوذكس، وثلاثة عشر للاتين، وثلاثة عشر أخريات للأرمن، ويتألف القبر المقدس من بناءٍ مستطيل طوله ثمانية أمتار، وعرضه خمسة أمتار، ملبس من داخله بالرخام الأحمر ويُعرف بناءه من الداخل بـ «معبد الملاك» وهو حجرة داخلية تُفضي بدورها إلى حجرة القبر المقدس، وقد شيّد الروم الأرثوذكس القبر سنة 1808م وفقاً لنقش رخامي ما زال واضحاً على واجهة القبر من الداخل، ويُمثل

(1) المرجع السابق. ص138

القبر المقدس آخر مراحل درب الآلام وهي المرحلة الرابعة عشر.[1]

وتشـــهد كنيسة القبر المقدس كل سنة وقبل أحد الفصح المجيد حدثاً رائعاً وملهماً للغاية، فعند ظهر ســـبت النور، يدخل بطريـــرك القدس للروم الأرثوذكـــس إلى القبر المقدس، وينتظره في الخارج الأســـاقفة وباقي الإكليروس وبعد الانتهاء من الصلوات والأفاشين التي يتلوها البطريرك يظهر نور أعجوبي ويقوم البطريرك بإيضاء شمعتين ويخرج من القبر المقدس لتضاء باقي الشموع في الخارج، ويصل النور إلي معظم الكنائس الأرثوذكسية.

«الروم الأرثوذكس»

كنيسة الجلجلة:

وتقع إلى اليسار من كنيسة الجلجلة للاتين، وهي تتصل بها كما إنها تُساويها تقريباً بالمساحة، ويتصدرها إلى الشرق أيقونات وصور، وفي أســـفلها مذبح صخري يقع إلى يمينه صخرة مشـــققة تنفذ إلى مغارة تحت الجلجلة تُسمى «معبد آدم»، ويُمكن أن تلمس اليد الصخرة المعروفة بالجلجلة التي تقع تحت المعبد مباشرة، وهذا تقليد قديم يعود إلى فجر الكنيســـة. بالإضافة إلى وجود ثغرتين على جانبي المعبد تُعرفان «بصليب اللصين». في حين يرتفع بين المعبدين هيكل ســـيدة الأوجاع والذي أهدته حكومة البرتغال لينصب في كنيسة القيامة سنة 1787م.[2]

كنيسة قبة نصف الدنيا

وتقع تجاه القبر المقدس من ناحية الشرق، وهي من المعالم الجميلة داخل الكنيســـة، وتُعد مقر الكرسي البطريركي وبداخلها تجري المراســـيم الدينية لطائفة الروم الأرثوذكس، كما أنها تشتمل على حجر يتوسطها يُســـمى «حجر نصف الدنيا» وفي صدرها الشرقي مذبح

(1) المرجع السابق. ص140.

(2) المرجع السابق. ص150.

وعلى جانبيها أيقونات وصور متنوعة، وتُسمى كنيسة نصف الدنيا أيضاً بخورس اليونانا (كاثوليكوس) وهي ترقى إلى القرن الثاني عشر الميلادي.[1]

كنيسة أدم

وتقع أسفل كنيسة الجلجلة وتشتمل على مغارة طبيعية فيها صخرة الجلجلة وراء لوح من زجاج، ويُمكن الوصول إلى هذه الكنيســة بعد الدخول مباشرة إلى كنيسة القيامة في اتجاه الشرق قبل رواق الصليبيين.[2]

مكتب الروم الارثوذكس

وهو غرفة مظلمة تقع على يمين الداخل إلى كنيســة القيامة تحت كنيسة الجلجلة، ويوجد فيه قبرا الملكان الصليبيان «غودفري وبلدوين».[3]

مذبح القديس لونجينيس

ويقع في رواق الصليبيين في الجانب الشرقي من الكنيسة على يسار النازل إلى الدرج المؤدي إلى كنيسة القديسة هيلانة، وهذا المذبح لطائفة الروم الأرثوذكس.[4]

مذبح المراثي

ويقع في رواق الصليبيين في الجانب الشرقي من الكنيسة على يمين النازل إلى الدرج المؤدي إلى كنيسة القديسة هيلانة، ويُسمى هذا المذبح أيضاً بـ«مذبح السخرية» وهو لطائفة الروم الأرثوذكس.[5]

كنيسة القديس يعقوب

وهي تحد كنيســة القيامة من ناحية الغرب وتُسمى أيضاً بكنيســة مار يعقوب، وهي للروم

(1) المرجع السابق. ص158.

(2) المرجع السابق. ص166.

(3) الرجع السابق. ص167.

(4) المرجع السابق. ص168.

(5) المرجع السابق. ص169.

الأرثوذكس العرب، وبجانبها كنيسة القديس يوحنا المعروفة باسم «كنيسة يوسف نيقوديموس» أو «حاملات الطيب» وكنيسة مريم المجدلية، وفيها جرن معمودية يعود إلى القرون الوسطى، ثم كنيسة الأربعين شهيداً للأرمن، وفيها عدد من القبور لبطاركة القدس.[1]

معبد حبس المسيح

يقع حبس المسيح للروم الأرثوذكس في الركن الشمالي الشرقي من كنيسة القيامة، ويتألف من قبوٍ منخفضٍ في شماله ثلاثة مذابح، ويرجع تاريخ هذا الحبس إلى الفترة ما بين القرنين التاسع والحادي عشر الميلاديين، ويقول التقليد المسيحي الشرقي «أن هذا المكان شكل حبساً للسيد المسيح عليه السلام أثناء مرحلة درب الآلام».[2]

دير أبينا إبراهيم

وهو دير للروم الأرثوذكس، يقع في ساحة كنيسة القيامة من الجهة الجنوبية الشرقية. وفيه كنيستان إحداهما صغيرة تُعرف باسم «أبينا إبراهيم»، والأخرى كبيرة تُعرف باسم «الرسل الإثني عشر».[3]

ويعتقد أن أول من شيده الملكة هيلانة حوالي عام 335م، وقد هدم الفرس هذا الدير خلال احتلالهم للمدينة عام614 م، وبقي خراباً قُروناً طويلة إلى أن أخذه الروس من الأتراك سنة 1887م، فأعطوا قسماً منه إلى الروم الأرثوذكس، حيث بنوا فيه هذا الدير، وبنى الروس في القسم الآخر ديراً لهم قريب من باب خان الزيت، هو المعروف بـ «المسكوبية».[4]

---

(1) المرجع السابق. ص170.

(2) المرجع السابق. ص178.

(3) د. محسن صالح، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)، ص248.

(4) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، (القدس: مطبعة المعارف، 1999)، ص526.

وبعد فتح الأتراك القسطنطينية 1453م، جعل الأكليروس البيزنطي يتردد إلى الأراضي المقدسة، وبعد الفتح العثماني (1516م) بقليل، صار على القدس بطريرك يوناني يُدعى جرمانوس (1534 – 1579)، وهو الذي أسّس «أخوية القبر المقدس» التي يُعد أعضاؤها حراس الأراضي المقدسة باسم العالم الأرثوذكسي، واشترت بطريركية الروم الأرثوذكس في القدس دير القديس إبراهيم عام 1660م من الأحباش وأكملوه، وعثروا تحته نحو سنة 1690 على كنيسة قديمة تُعرف «بكنيسة الرسل». [1]

وقد استلمت الروم الأرثوذكس الدير سنة 1660 من الأحباش، فأكملوا بناءه وعثروا في أسفله سنة 1690م على بئرٍ كبيرةٍ تُعرف بـ «كنيسة الرسل»، وقد سُمي دير أبينا إبراهيم بهذا الاسم تيمناً بإبراهيم عليه السلام الذي قدم ابنه ليذبحه عند هذا المكان وفقاً للتقليد المسيحي للروم الأرثوذكس، ولذلك يوجد في الكنيسة داخل الدير مذبحاً وشجرة زيتون علق جدي بفروعها.[2]

«الأرمن»

دير يوحنا الإنجيلي للأرمن

يقع شرق كنيسة القيامة وهو يقع بين دير مار إبراهيم للروم الأرثوذكس ودير مار ميخائيل.[3]

قبة الثلاث مريميات

وهو حجرٌ دائري يقع تجاه معبد الأرمن الأرثوذكس على يسار الداخل إلى كنيسة القيامة قبل الوصول إلى القبر المقدس وبالقرب من الدرج المؤدي إلى مخدع الأقباط الأرثوذكس فوق معبد الأرمن الأرثوذكس، ويرمز هذا الحجر إلى الثلاث مريميات حيث أُقيم لذكرى

(1) عبد اللطيف خطاب، أديرة القدس، موسوعة دهشة، (13 أيلول 2011).
http://www.dahsha.com/old/viewarticle.php?id=28578

(2) د. محمد غوشة، موسوعة كنيسة القيامة، (فلسطين: مطبعة ادكيدك الحديثة، شباط 2010)، ص181.

(3) المرجع السابق. ص184.

المريميات اللواتي ساعدنَّ المسيح عليه السلام، وهنَّ مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب ويوسف، وأم ابني زبدى، ويعلو هذا الحجر الدائري قبة مدببة ترتفع على أربعة أعمدة رخامية.[1]

معبد الأرمن الأرثوذكس

ويقع إلى يسار الداخل إلى كنيسة القيامة خلف الدكة التي يجلس عليها حراس الكنيسة، وإلى جانبها يقع الدرج الحجري الذي يُفضي إلى معبد وردهات للأرمن الأرثوذكس.[2]

كنيسة القديسة هيلانة

الوصول إليها بعد النزول بدرجاتٍ يصل عددها 29 درجة، ويصل طول الكنيسة 30 متراً وعرضها 13 متراً، وتشتمل على قبة حجرية مرفوعة على ستة أعمدة كبيرة مزينة بتيجان مختلفة الأشكال، وفي شرق الكنيسة مذبح مزين جميل، ويُمكن مشاهدة القبة من الخارج بعد الصعود عبر درجات دير السلطان إلى سقف كنيسة القيامة حيث يقيم الحبش اليوم، كما يُمكن الوصول إلى القبة أيضاً من خلال الطريق المؤدية إلى بطريركية الأقباط.[3]

الكنيسة الأثرية للأرمن

يقع باب الكنيسة أسفل كنيسة القديسة هيلانة التي كُشف عن وجودها أثناء حفريات أجراها الأرمن، وهي من أقدم المعالم التي تتألف منها كنيسة القيامة، ويُمكن الوصول إليها بعد الدخول من هذا الباب الكائن في ناحية الشمال، حيث إن موضعها بمحاذاة بركة هيلانة الكائنة لصق بطريركية الأقباط الأرثوذكس.[4]

---

(1) المرجع السابق. ص190.

(2) المرجع السابق. ص192.

(3) المرجع السابق. ص 196.

(4) المرجع السابق. ص202.

مذبح اقتسام ثياب المسيح

توسط مذبحي الروم وهو يُسمى أيضاً بـ «مذبح السيدة العذراء» وهو لطائفة الأرمن.

«الفرنسيسكان – اللاتين».

كنيسة الجلجلة «اللاتين».

تقع على يسار الداخل الى كنيسة القيامة فوق قبريِّ غودفري وبلدوين، ويُصعد إليها بدرج حجري يُفضي إلى قاعتين، فالجنوبية منها لطائفة اللاتين، وهي تطل على معبد يوحنا الحبيب، وقد زينت الجدران والأسقف الداخلية للكنيسة بالفسيفساء في سنة 1938م بالرغم من أن هذه الجدران كانت مزينة أيضاً بفسيفساء أقدم، ويشتمل معبد الجلجلة للاتين على مرحلتين من مراحل درب الآلام العاشرة والحادية عشرة.[1]

دير الرهبان الفرنسيسكان

ويقع في الجانب الشمالي الغربي من كنيسة القيامة وقد حصل إمبراطور النمسا فرنسيس الأول على إذنٍ خاص من الدولة العثمانية للرهبان الفرنسيسكان لبناء دير لهم في هذا المكان الذي أُضيفت إليه طبقة جديدة سنة 1967، ويُخصص الدير لخدمة الكنيسة من الرهبان الفرنسيسكان، ويُسمى الدير أيضاً باسم «معبد القربان الأقدس»، ويُوجد إلى يمين الزائر في داخل الدير قطعة من حجر تُسمى عامود الجلد كانت محفوظة منذ القرن الرابع الميلادي في كنيسة علية صهيون الكائنة في حي النبي داود جنوب القدس، ويُنسب هؤلاء إلى القديس فرنسيس الأسيزي الذي حضر إلى القدس سنة 1219م .[2]

مغارة الصلب

الوصول إليها بعد النزول من كنيسة القديسة هيلانة من الناحية الجنوبية الشرقية، وهي

(1) المرجع السابق. ص212.

(2) المرجع السابق. ص216.

عبارة عن مغارة محفورة بالصخر مساحتها سبعة أمتار وارتفاعها خمسة أمتار تقريباً، وفي هذه المغارة عثرت هيلانة على خشبة الصلب وفقاً للكنيسة الفرنسيسكانية.[1]

كنيسة الفرنج ومذبح القديسة مريم المصرية

وتقع في الناحية الشرقية من الكنيسة، بين دير السلطان والباب الجنوبي لكنيسة القيامة، ويصعد إلى هذه الكنيسة عبر درجات تقع على محاذاة الواجهة الجنوبية لكنيسة القيامة، وتطل شبابيك كنيسة الفرنج على معبد الجلجلة التي كانت قديماً مدخلاً خارجياً لها.[2]

كنيسة السريان الأرثوذكس

تقع في الجانب الغربي من كنيسة القيامة باتجاه كنيسة الأقباط الكائنة خلف القبر المقدس مباشرةً، ويُمكن الوصول إليها بعد الدخول من ممر ضيق بين العمودين يؤدي للكنيسة التي تتشكل من مقبرة قديمة تشتمل على أقبية محفورة بها قبر يوسف الرامي وقبر نكيديموس.[3]

«الأقباط»

دير السلطان

وهو من الأديرة القديمة بالقدس، تبلغ مساحته حوالي 1800 متراً مربعاً، وقد احتله الرهبان اللاتين بعد استيلاء الصليبيين على المدينة، ولكن صلاح الدين الأيوبي أرجعه للأقباط الأرثوذكس بعد تحرير بيت المقدس، فعُرف من وقتها باسم دير السلطان. يُلاصق هذا الدير سطح كنيسة القيامة من الجهة الشرقية، ولدير السلطان أهمية خاصة عند الأقباط لأنه طريقهم المباشر للوصول إلى كنيسة القيامة. وقد ادعى الأثيوبيون

(1) المرجع السابق. ص218.

(2) المرجع السابق. ص220.

(3) المرجع السابق. ص225.

(الأحباش) ملكيتهم لهذا الدير بتشـــجيع من البريطانيين أثناء احتلالهم لفلســـطين، وفي منتصـــف ليلة عيد الفصـــح في 20/ 4/ 1970 قام اليهود بتغيير مفاتيح الدير وتســـليمها للأثيوبيين، وعلى الرغم من نيل الكنيســـة القبطية حكـــماً قضائياً من المحكمة الإسرائيلية العليا بملكية الدير للأقباط سنة 1971، إلا أن ســـلطات الاحتلال ترفض تنفيذ القرار. وفي الدير كنيستان كنيسة الملاك وكنيسة الحيوانات الأربعة.[1]

ويذكر أن الجذور التاريخية لمشـــكلة دير الســـلطان تعود للقرن الســـابع عشر عندما بالغ العثمانيون بفرض الضرائب على الطوائف المســـيحية، ممـــا أدى إلى ازدياد حالات الفقر، وهـــذا جعل الأثيوبيون يطردون من أملاكهم ويلجئون إلى الأقباط الذين اســـتضافوهم في «دير الســـلطان»، وقد ظلت الأمور بينهم هادئة حتى عام 1820م وهو العام الذي قرر فيـــه الأقباط إخلاء الدير من الأحباش لترميمه، وفور الانتهاء من أعمال الترميم تم إعادة الأحبـــاش إليه مرة أخرى، إلا أن هذا التصرف جعل الأحباش يتوجســـون من الأقباط ويخشـــون طردهم مرة أخرى، ومن هنا سادت مشاعر من الغضب والكراهية فيما بينهم، فقاموا بسرقـــة مفاتيح الدير بناء على توجيهـــات الإنجليز، إلا أن الأقباط اســـتعادوها مـــرة أخرى بناء على قرار حاكم القدس، وبعد هذا ســـادت فترة من الهدنة بين الأحباش والأقباط في حبرية البابا «كيرلس» الرابع، ولكن بعد إزاحته عادت أعمال الشـــغب بينهم مرةً أُخرى.[2]

وفي كنيســـة القيامة ديرٌ للرهبان الفرنســـيين الذين يخدمون في الكنيسة، وهم ينتسبون إلى القديس فرنسيس الأسيزي الذي جاء إلى القدس سنة ألف ومائتين وتسع عشرة، ووافق

(1) د. محســـن صالح، دراســـات في التراث الثقافي لمدينة القدس، (بيروت: مركز الزيتونة للدراســـات والاستشارات)، ص249.

(2) د. محمد عفيفي، الوجود القبطي في القدس حتى القرن العشرين، المركز الفلســـطيني للإعلام، (13 أيلول 2011)،

http://www.palestine – info.info/arabic/alquds/history/alwojod.htm

البابا أكلمنطس السادس ببراءة بابوية سنة ألف وثلاثمائة واثنين وأربعين على وجود الفرنسيين في الكنيسة على أن يكونوا حراس الأراضي المقدسة باسم العالم الكاثوليكي، وقد قاموا بترميم الكنيسة مرتين أخراهما سنة ألف وسبعمائة وتسع عشرة، وأقاموا فيها بناء جديداً سنة ألف وتسعمائة وسبع وستين.

إلى جانب هذا الدير الكاثوليكي، هناك الأديار الأرثوذكسية وأولها دير الروم الأرثوذكس، أسس بطريك القدس اليوناني جرمانوس أخوية القبر المقدس، بعد الاحتلال العثماني لفلسطين، ويُعد أعضاء هذه الأخوية حراس الأراضي المقدسة باسم العالم الأرثوذكسي.

ويقوم على خدمة الكنيسة وإقامة الصلوات فيها رعايا ثلاث من الطوائف الرئيسة في القدس، وهي: الطائفة الأرثوذكسية، والطائفة الكاثوليكية، والطائفة الأرمنية الأرثوذكسية، أما مفاتيح كنيسة القيامة فتتوارثها أُسرتان مقدسيتان مسلمتان، هما: أُسرة نسيبة وأُسرة جودة، وذلك منذ الفتح العمري للمدينة، وهذا يعبر عن طبيعة التسامح الإسلامي – المسيحي في المدينة.[1]

الستاتيكو قانون عثماني يحافظ على حقوق الطوائف

بتاريخ 2\8\1852م، أصدرت الدولة العثمانية التي كانت تحكم القدس والبلاد العربية، ما يُسمى قانون الوضع الراهن (الستاتيكو)، وهو يقوم على تثبيت حقوق كل طائفة وجماعة دينية كانت موجودة في القدس، دون السماح بإحداث تغيير فيما كان عليه الوضع منذ ذلك التاريخ.[2] وهذا حفظ حقوق الطوائف والجماعات الدينية من مختلف الأديان، وعلى رأس ذلك، الحقوق الطائفية في كنيسة القيامة، وما زال هذا القانون معمولاً به الى حدٍ كبيرٍ حتى اليوم.

(1) د. محسن صالح، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)، ص 248.

(2) الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات، 2012.

– يوجد في كنيسة القيامة ديراً للرهبان الفرنسيسكان (اللاتين) الذين يخدمون في الكنيسة، ويقع الدير شمالاً حيث كانت قديماً الدار البطريركية، وكان الرهبان حتى سنة 1870م يعيشون في ديرٍ مظلم، فتوصل فرنسيس يوسف الأول امبراطور النمسا إلى الحصول على إذنٍ لهم ببناء دير صغير، أُضيفت إليه طبقة جديدة سنة 1967م. وينتسب الرهبان الفرنسيسكان الى القديس فرنسيس الأسيزي (1182 – 1226م)، الذي أنشأ وعاش في أمبريا من أعمال إيطاليا، وكان قد جاء الى القدس سنة 1219م، وبعث الى هناك ببعض رهبانه، وطلب من السلطان الملك الكامل الأيوبي أن يبقوا في الشرق ويزوروا القيامة، فظلوا بعد سقوط مملكة القدس اللاتينية يحرسون الأماكن المقدسة، وفي سنة 1333م سمح لهم السلطان الملك الناصر بسكنى كنيسة القيامة، وفي عام 1342م وافق البابا أكليمنطس السادس، ببراءة بابوية على وجود الفرنسيسيين على أن يكونوا حراس الأراضي المقدسة باسم العالم الكاثوليكي.[1]

– والكنيسة تحوي الدير الكاثوليكي الوحيد، وهناك إلى جانبه الأديار الأرثوذكسية، وأولها دير الروك الأرثوذكس، وبعد فتح الأتراك للقسطنطينية (1453م) أخذ الإكليروس البيزنطي يتردد إلى الأراضي المقدسة، وبعد امتداد السيطرة العثمانية على القدس سنة (1516م) بقليل، عُيّن على القدس بطريرك يوناني يُدعى (جرمانوس 1534 – 1579م)، وهو الذي أسس (أخوية القبر المقدس) التي يعد أعضاؤها حراس الأراضي المقدسة باسم العالم الأرثوذكسي.[2]

– ويوجد شرق ساحة القيامة دير القديس إبراهيم الذي اشتروه سنة 1660م من الأحباش، وعثروا تحته سنة 1690م على كنيسة قديمة تُعرف بكنيسة الرسل.[3]

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق. ص254.

(3) المرجع السابق. ص255.

– وبعد الروم الأرثوذكس يأتي الأرمن الأرثوذكس، ولهم بعض المساكن في كنيسة القيامة، ولكن ديرهم الرسمي يقع في حارة الأرمن حول كنيسة القديس يعقوب الكبير، وهو بناءٌ صليبي يرتقي إلى القرن الثاني عشر الميلادي، وقد بُني نصف ذلك الدير في القرن السابع عشر الميلادي.[1]

– وللأرمن الحصة الثالثة في كنيسة القيامة، ومنها: قسم الرواق الذي يُشرف على القبر المقدس وكنيسة القديسة هيلانة.

– أما الأقباط فلهم ديرهم وكنيستهم الكبرى المعروفان بكنيسة ودير القديس أنطونيوس، حيث يقومان خارج كنيسة القيامة، ولهم معبدٌ صغيرٌ مُلاصق للقبر المقدس بنوه سنة 1808م وفيه يصلون.[2]

– أما الأحباش فيقومون في دير السلطان المجاور على سطح كنيسة القديسة هيلانة.

– والسريان الأرثوذكس يقيمون الصلاة كل أحد في معبدٍ للأرمن، يقوم في حنية القبر المقدس يُدعى بدير القديس مرقس.[3]

المسلمون حراس القيامة

والمسلمون لم يكونوا بمنأى أو بمعزل عن كنيسة القيامة، حيث تولى المسلمون حراسة أبواب الكنيسة، ومسؤولية مفاتيحها، وهناك عائلتان مقدسيتان تقومان بهذه المهمة التاريخية، هما: آل جودة، وآل نسيبة. وقد اختلف المؤرخون في تحديد البداية التاريخية لهذه المسؤولية، فهناك قولٌ يُؤيد آل نسيبة، يرى «أن هذه الوظيفة بدأت منذ فتح عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) للقدس سنة 636م، وأن أول من تسلم مفاتيح الكنيسة كان هو

(1) المرجع السابق. ص255.

(2) المرجع السابق. ص255.

(3) المرجع السابق. ص255.

جدهـــم عبد الله بن امرأة من الخزرج تُدعى (نســـيبة)، وكان لها ولدان، حامد وعبد الله، حيث يرى هؤلاء أن صفرونيوس بطريرك القدس سلم مفاتيح القيامة لعمر بن الخطاب، الذي قام بدوره بدفع المفاتيح الى عبد الله بن نسيبة، لزهده وأمانته، ومنذ ذلك الحين وهم يتوارثون هذه المهمة» [1]، ... ويقول الأستاذ عمر الصالح البرغوثي : «إن آل نسيبة ظلوا أُمناء على أبواب الكنيســـة منذ الفتح العمري حتى الفتح الصليبي، وعند مجيء الصليبيين رحلوا عن القدس مع من رحل عنها من المســـلمين والمســـيحيين الشرقيين الأرثوذكس، فنزلوا قرية بورين من أعمال نابلس وســـكنوا فيها، ولم يعد آل نسيبة إلى القدس بعد الفتح الصلاحي مباشرةً فأمر السلطان صلاح الدين أن تُسلم المفاتيح إلى آل غضية وهم أجداد آل جودة، ولما عاد آل نســـيبة من بورين طالبوا بحقهم، فعز على القاضي آنذاك أن ينقض حكـــماً مضى عليه ردحاً من الزمن، فأمر أن تبقـــى المفاتيح بيد آل غيضة، على أن يتولى آل نســـيبة فتح الأبواب» [2]... وهنـــاك قولٌ آخر يُؤيده آل جودة، يـــرى «أنهم أمناء مفاتيح القيامة منذ عهد صلاح الدين الأيوبي (1187م)، وأن آل نسيبة يقومون بمهمة الفتح منذ ذلك العهد أيضاً»، وهناك رأي آخر يعتقد أن هذه المهمة مناطة بهذه الأسر المســـلمة منذ عهد المماليك. [3]

ومهما يكـــن الأمر فإن مفاتيح كنيســـة القيامة هي منذ قرون طويلة مـــن الزمن في عهدة المســـلمين المقدســـيين، وهم الذين يتولون الإشراف عليها، حيث تقـــوم أُسرة آل جودة بالاحتفاظ بالمفاتيح، في حين تقوم أسرة آل نسيبة بمهمة فتح الكنيسة في مواعيدها المقررة، وتُعتبر هذه التجربة التاريخية نموذجاً على التعاون والتسامح بين المسلمين والمسيحيين في القدس. [4]

(1) المرجع السابق. ص 258.

(2) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، (القدس: مطبعة المعارف، 1999)، ص522.

(3) المرجع السابق. ص522.

(4) المرجع السابق. ص259.

على مقعدٍ خشبي عند مدخل الكنيسة وبالقرب من الباب الخشبي الكبير يجلس وجيه نسيبة مقابل درجات الجلجلة، يقول: «أقوم بفتح باب الكنيسة كل صباح في الخامسة، وأُغلقه في تمام التاسعة مساءً، تخيل بأنني أقوم بهذا التقليد منذ ما ينيف عن ثلاثين عاماً». ويعود بنا وجيه نسيبة إلى الوراء وإلى الأحداث التاريخية التي يحفظها عن ظهر قلب فيقول: «مع بداية الحروب الصليبية عام 1099 هاجرت عائلة نسيبة إلى نابلس «منطقة بورين» وتم الاستيلاء على المفاتيح من قِبَل الغزاة الصليبيين، إلا أنها عادت الى عائلة نسيبة، وتحديداً لفخر الدين بن علاء الدين عندما فتح صلاح الدين الأيوبي القدس».[1]

أدى صدور مرسوم عثماني الى تقاسم عائلة نسيبة وجودة حمل المفاتيح حيث يقول وجيه نسيبة عن ذلك: «في الفترة التركية أُعطيت المفاتيح إلى عائلة «غضي جودة»، كما أُعطيت لهم الصدقات السلطانية، لكنهم لم يُمارسوا الوظيفة مدة عشر سنوات، حتى صدور مرسوم ملكي لتتوارث العائلتين المهنة والمحافظة على مفاتيح الكنيسة وفتحها وإغلاقها وحراستها، وأحتفظ في بيتي بالعديد من الفرمانات الأصلية التي تشهد على حقنا بالاحتفاظ بمفاتيح كنيسة القيامة».[2]

ويذكر وجيه نسيبة أن التعايش الإسلامي – المسيحي ضد محاولات الاحتلال الإسرائيلي فتح بوابات أخرى وانتزاع السلطة بطرق عديدة، ويضيف: «نحن حريصون على حراسة الكنيسة والحفاظ عليها، ونعتز بذلك فتاريخ العرب والمسلمين مليء بصور الإخاء واحترام الديانات، وهو ما يجعل المسلمين يحتفظون بمفتاح الكنيسة وتولي أمانته».[3]

وتُجمع الطوائف المسيحية على إبقاء هذه المهمة للعائلتين المسلمتين، إذ يتم إعادة تسليم

(1) مقابلة مع وجيه نسيبة. الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات 2010.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

المفتاح لهما ثلاث مرات في السنة تتزامن عند الطائفة اللاتينية بـ «خميس الغسل» وعند طائفة الروم بـ«الجمعة الحزينة «والطائفة الأرمنية بـ«سبت النور».

الاعتداءات الإسرائيلية على كنيسة القيامة

قام الإسرائيليون بالسطو على كنيسة القيامة ليلاً، وسرقة المجوهرات الموضوعة على تمثال العذراء الكائن في مكان الجلجلة داخل الكنيسة عام 1968م، وفي عام 1969م قام الإسرائيليون بالسطو على كنيسة القيامة، وسرقة التاج المرصع بالأحجار الكريمة الموضوع على رأس تمثال العذراء مريم في كنيسة الجلجلة، كما قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بمحاولة حرق كنيسة القيامة عندما دخل شخص إسرائيلي وأخذ يحطم القناديل الأثرية على القبر المقدس عام 1971م، ومن الاعتداءات المستمرة ما تُمارسه قوات الاحتلال يوم سبت النور وهو من أقدس الأيام لدى المسيحيين حيث تقوم بتطويق الطرق المؤدية إلى الكنيسة بالحواجز، وتمنع المصلين من التوجه إلى الكنيسة للمشاركة بالاحتفال الديني الكبير (سبت النور) حيث يتم إذلال المؤمنين.[1]

مراحل وعصور، أمم وجيوش مختلفة، حطت رحالها في ساحات القيامة وعلى أبواب كنائسها، لتخط بنور شموعها، وتهليل المبتهلين من مؤمنيها تاريخ عريق ودين سماوي سمح، لا زالت أجراس القيامة تقرع صداها يومياً.

درب الآلام

كيلو متر واحد من المساحة زخر بقدسية وتاريخ كبيرين، درب بين أزقة القدس القديمة عبقت بقدسية مدينة الديانات، وسار بها آلافٌ من الزوار والحجاج على درب المسيح عليه السلام، مبتهلين ومتضرعين بالدعاء، لتنقش على الحجارة صلواتهم، وفي تاريخ القدس آمالهم وأدعيتهم.

(1) مؤمن شبانة، باحث ميداني، الهيئة الإسلامية المسيحية (مقابلة راهب كنيسة القيامة 2011).

طريق الآلام هو طريق لا يتعدى طوله كيلومتراً واحداً، وبحسب المعتقد المسيحي، هي الطريق التي سلكها السيد المسيح – عليه السلام – من المحكمة إلى جبل الجلجلة حيث تم صلبه، وقد سُميت بهذا الاسم نسبةً للآلام التي عاناها المسيح في الطريق. وتبدأ من باب الإسباط وتنتهي في كنيسة القيامة، وتحوي الطريق 14 مرحلة 9 منها في الطريق نفسه، وآخر 5 مراحل داخل كنيسة القيامة، وهو طريقٌ مليء بالكنائس والمزارات.

تبدأ مراحل درب الآلام المعروفة أيضاً بدرب الصليب أو طريق الجلجلة، من حارة باب حطة حيث تقع المدرسة العمرية المعروفة تاريخياً باسم المدرسة الجاولية، وتنتهي في داخل القبر المقدس بكنيسة القيامة، وتنقسم المراحل إلى قسمين: القسم الأول خارج كنيسة القيامة، ويتألف من تسع مراحل، في حين أن المراحل الخمسة المتبقية تقع داخل الكنيسة نفسها.

تُعتبر طريق الآلام مقدسة في نظر المسيحيين في العالم، لأنهم يعتقدون أن هذه الطريق هي التي سلكها السيد المسيح – عليه السلام – والصليب مربوط على ظهره إلى أن بلغ المكان المعد لصلبه وسط جنود الرومان اللذين كانوا يقتادونه.

وترجع الجذور التاريخية لطقوس درب الآلام وفقاً لبعض المؤرخين إلى الفترة الفرنجية التي بدأت بعد احتلال القدس في سنة 1099م، في حين أن مصادر سجلات المحاكم الشرعية في القدس لم تعرج على ذكر طريق الألآم في أي من وثائقها، واكتفت بالإشارة إلى عقبة الظاهرية والتي تُعرف اليوم باسم عقبة الآلام أو عقبة المفتي أو المراحل.

والظاهرية هي زاوية من العصر المملوكي ما زالت قائمة في منتصف هذه العقبة، وقد عادت تسمية الطريق من جديد بدرب الآلام من خلال مشاهدات وكتابات المستشرقين الأوروبيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

وتشهد مدينة القدس بعد ظهر كل يوم جمعة من أيام الصوم عند النصارى طقوساً يُشارك بها سكان المدينة وزوارها والحجاج النصارى القادمين من الخارج، حيث تنظم حراسة

الأراضي المقدسة للآباء الفرنسيسكان مسيرات على درب الآلام يحمل خلالها المشاركون صلبانا خشبية كبيرة تيمناً بالسيد المسيح عليه السلام.

مراحل الآلام

المرحلة الأولى

تبدأ من مقر الوالي تيطس الذي أصدر منه حكم الصلب على السيد المسيح، ويعتقد معظم المؤرخين أن هذا المقر كان يوجد في مكان ما في البقعة التي تقوم عليها الآن مدرسة الروضة ومدرسة راهبات صهيون وما بينهما، وهناك تم تتويج السيد المسيح بإكليل من الشوك.

المرحلة الثانية

ويعتقد النصارى أن الجند قاموا بتحميل الصليب إلى السيد المسيح، وأنه في هذا المكان قام الوالي بمخاطبة اليهود المجتمعين قائلاً لهم Ecce Homo أي هذا هو الرجل، لهذا فقد أُقيم في هذا المكان قوسٌ يُسميه المسيحيون بهذا الاصطلاح Ecce Homo، وهو جزءٌ من العمارة التي تملكها راهبات صهيون.

المرحلة الثالثة

وهي تقع عند الزاوية القائمة عند مفترق الطريقين، طريق الآلام والطريق التي تصل بين الواد وباب العمود، حيث يقوم دير الأرمن الكاثوليك، وهنا يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح – عليه السلام – وقع مغشياً عليه.

المرحلة الرابعة

وهي على بُعد أمتارٍ من المرحلة التي سبقتها، ويعتقد المسيحيون أنه في هذه المرحلة التقى السيد المسيح – عليه السلام – مع أمه مريم البتول.

المرحلة الخامسة

تقع عند الزاوية الكائنة عند ملتقى طريق الوادِ بأول العقبة المعروفة بعقبة المفتي، ويعتقد

المسيحيون أنه في هذه المرحلة شعر السيد المسيح بثقل الصليب، وكاد يسقط على الأرض، فقام سمعان القيرواني وساعده في حمله.

المرحلة السادسة

وفيها قامت المرأة «فيرونيكا» بمسح عرق السيد المسيح، وفي هذا المكان يُوجد منزل القديسة فيرونيكا وقبرها.

المرحلة السابعة

وتقع عند ملتقى درب الآلام بالطريق التي تربط باب خان الزيت بباب العمود، ويعتقد أنه في هذه المرحلة خرج السيد المسيح من المدينة، وسقط مغشياً عليه للمرة الثانية.

المرحلة الثامنة

وتقع في عقبة الخانقاه عند الدير المعروف بدير مار لامبوس للروم الأرثوذكس، وهنا يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح خاطب المرأة التي كانت تسير من خلفه باكية: «لا تبكي عليَّ بل ابكِ على بلدكنَّ – القدس – التي ستؤول إلى خراب».

المرحلة التاسعة

تقع عند دير الأقباط إلى الشرق من كنيسة القيامة، حيث رزح المسيح تحت الصليب من شدة التعب.

المرحلة العاشرة

وهي داخل كنيسة القيامة نفسها وتتضمن تعرية المسيح.

المرحلة الحادية عشرة

وتم فيها وضع المسامير في يدي السيد المسيح على الصليب.

المرحلة الثانية عشرة

وتشمل موت السيد المسيج على الصليب.

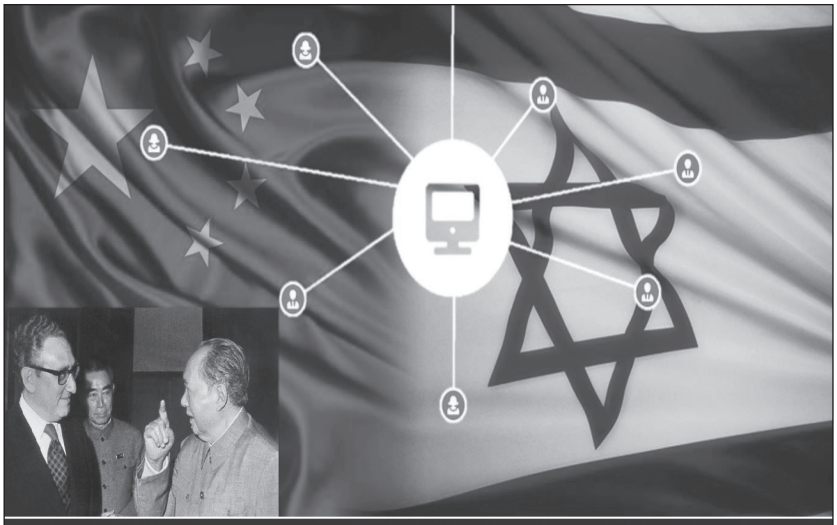
المرحلة الثالثة عشر

وهي إنزال السيد المسيح عن الصليب، ويُرمز إليها بالمغتسل أو حجر التحنيط في كنيسة القيامة، وهناك يقف المؤمنون ويُحاولون تلمس الحجر.

المرحلة الرابعة عشر

وتشمل دفن السيد المسيح وقيامته، ويُرمز لها بالقبر المقدس.

وتُمثل المشاركة في هذه الدرب معنى اجتماعي ديني عميق. فهو رفضٌ للزمن وإعادة إحياء لواقعة حدثت قبل ألفي عام، إيماناً بأن هذا هو الدرب الذي سلكه المسيح، فمثّل إلهاماً لأعداد لا تحصى من البشرية طوال قرون، إذ يأخذ طابعاً خاصاً في عيد الفصح، فيسيرون فيه فُرادى أو مجموعات قبل عيد الفصح وبعده. ومثل باقي أزقة بلدة القدس القديمة وشوارعها، فعلى طول هذا الدرب وضعت سلطات الاحتلال كاميرات مراقبة، تنقل كل ما يحدث إلى غرفة عمليات يُديره احتلالٌ جاثمٌ على قلب المدينة المقدسة.



سفيان محمد جان

الصهيونية الصناعية:

التجسس، الخداع، والتسوية البينيّة

إرث كيسينجر الحديث

«أضرموا النيران في واشنطن»

دار أبعاد للطباعة والنشر

لبنان - بيروت- الجناح

صندوق بريد: 7179 - 113 بيروت – لبنان

00961-71-841086

abaaddar@gmail.com

ورقة تحليل سياسات حول الخيارات الفلسطينية التفاوضية المتعلقة بالقدس

القدس بين التفاوض الممكن والتسوية المستحيلة

د. وليد سالم

معهد جامعة القدس للدراسات والأبحاث، ومدير تحرير مجلة المقدسية الصادرة عن جامعة القدس.

ملخص

تهدف هذه الورقة **أولاً** إلى دراسة الخيارات الفلسطينية الرسمية وغير الرسمية التي أُنتهجت سابقاً للتفاوض حول القدس، واقتراح خياراتٍ مستقبلية بشأنها في ضوء تجربة التفاوض الماضية منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي. **ثانياً**، تُقدم الورقة عرضاً مُكثفاً لما وصل إليه واقع القدس اليوم في ضوء ما ترتب عن حصيلة التفاوض وآثاره على الأرض والمواطنين/ ات المقدسيين / ات، و**ثالثاً**، تُقدم الورقة مُقترحات بدائل وخيارات متعددة تفاوضية وغير تفاوضية، وتقوم بعملية تقييم مكثفة لهذه الخيارات، وتنتهي بتوصيات لصناع القرار في الشأن المقدسي محلياً وفلسطينياً وعربياً ودولياً.

القسم الأول: السياسات الفلسطينية التفاوضية السابقة بشأن القدس

لم تنشأ السياسات الفلسطينية التفاوضية بشأن القدس والقضية الفلسطينية عامةً من حالة فراغ، بل ارتبطت منذ البداية بالمؤثرات الدولية والعربية والإسرائيلية المحيطة، وبتاريخ

الصراع العربي – الإسرائيلي، والفلسطيني – الإسرائيلي ومحاولات تسويتهما، وكان هناك دور مؤثر ومهم لاتفاقات كامب المصرية – الإسرائيلية في أواخر سبعينيات القرن الماضي.

في إطار هذه المؤثرات التي تعززت بعد حرب إكتوبر عام 1973، وما تبعها من اتفاقات فك اشتباك على الجبهتين المصرية والسورية مع «إسرائيل»، انتقلت منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها كياناً معنوياً للشعب الفلسطيني بعد حرب أكتوبر عام 1973 من موقف تحرير كل فلسطين بالكفاح المسلح كأسلوب وحيد، إلى رؤيةٍ جديدةٍ تطرح التحرير على مراحل، باستعمال «كافة أشكال الكفاح وعلى رأسها الكفاح المسلح»، مما فتح الباب للجمع بين الكفاح المسلح وبين أساليب أُخرى مثل: العمل التفاوضي من أجل إقامة «سلطة الشعب الفلسطيني المستقل على أي جزء يتم تحريره»، (www.paljourneys.org) ككيانٍ مادي يُشكل نقطة ارتكاز جغرافية للمنظمة بوصفها كياناً معنوياً نحو الدولة المستقلة باعتبارها حلاً مرحلياً، كما جاء في برنامج النقاط العشر الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني الثاني عشر لعام 1974، ومن هنا بدأت مسيرة ما يُطلق عليه إسم «التسوية السياسية للنزاع «، وترافق هذا التطور في حينه مع اعتراف القمة العربية التي عُقدت في الرباط عام 1974 بمنظمة التحرير الفلسطينية، بوصفها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وذلك تمهيداً لقيام المنظمة بالتعامل مع شؤون فلسطين وفق منظور «القرار الفلسطيني المستقل»، وبدأت آنذاك مسيرة «مؤتمر جنيف» للوصول إلى اتفاقيات سلام بين الدول العربية و«إسرائيل» بإشرافٍ مشترك من قِبَل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، إذ لم تدع منظمة التحرير الفلسطينية للمؤتمر، فقد دارت في الكواليس محاولات لدعوتها، وسعت هي أيضاً لذلك، مما أدى لانشقاق منظمة التحرير إلى «جبهة الرفض» و«جبهة القبول» بعد خروج الأولى منها (الشعيبي، 1979).

أسس الاتجاه العربي – الفلسطيني للتفاوض مع «اسرائيل» في سبعينيات القرن الماضي لطرح قضية القدس كموضوع للتفاوض، وتم ذلك بدايةً من خلال خطاب الرئيس المصري أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي عام 1977، الذي ركز فيه على إنهاء الاحتلال الإسرائيلي

من الأراضي العربية المحتلة عـــام 1967، بما فيها القدس الشرقية (قريع، 2011، ص. 27). وفي 28 كانون ثاني 1980 قدمت مصر إلى «إسرائيل» تصورها «للحكم الذاتي الفلســطيني الكامل» الذي يشـــمل الضفة وغزة والقدس الشرقية. أيّ كل الأراضي الفلسطينية المحتلة عـــام 1967، وذلك كـــما ورد في بند/ 2.أ/ من «نطـــاق عمل الحكومة الذاتية الفلســـطينية «(بانوراما، 1994، ص. 85). وقد رفضت «إسرائيل» الطرح المصري، وجاء ملحق الحكم الذاتي لـ«معاهدة كامب ديفيد» المصرية – الإسرائيلية ليتحدث عن تأجيل موضوع القدس للمرحلة الثانية من المفاوضات، والتي أُطلق عليها إســـم «مفاوضات الحل الدائم» (قريع، 2011، ص.28)، و(بانوراما، 1994، ص.61 – 62). على هذه الخلفية نشـــأت فكرة حل القضية الفلسطينية على مرحلتين: **الأولى** هي فترة حكم ذاتي مدتها خمسة سنوات، **والثانية** هي التوصل إلى «حلٍ دائم»، كما تمت تســـميته حيث تبدأ المفاوضات بشأنه في بداية السنة الثالثة من الحكم الذاتي. بمعنى آخر بدأ التوجه الفلســـطيني إلى التســـوية بطرح حلٍ مرحلي أقرته النقاط العشر للمجلس الوطني الثاني عشر عام 1974 يقضي بإقامة ســـلطة وطنية مستقلة، تُشـــكل قاعدة ارتكازٍ للحل النهائي الذي كان لا زال مطروحاً حتى حينه، على أنه يتمثل في دولة علمانية ديمقراطية تشـــمل كل أراضي فلســـطين من النهر إلى البحر. ولكن هذا الطرح ما لبث أن تحـــول إلى مرحلتين، يُصبح الحل المرحلي مع إنجـــاز التفاوض حولهما حلاً نهائياً يفضي إلى قيام دولة فلســـطين على حدود متفق عليها من الأراضي المحتلة عام 1967، ووفق قرار مجلس الأمن / 242/ ، وتعيش جنباً إلى جنب بســـلام وأمن مـــع دولة «إسرائيل». كما طُرحت في «كامـــب ديفيد» المصرية – الإسرائيلية فكرة «غزة أولاً» (غالي، 1997، ص.62، و144) كحـــلٍ مرحليّ، وعند عدم اتفاق الجانبين المصري والإسرائيلي على موضوع القدس، تم في النهاية كحلٍ وسط كتابة رسالتين منفصلتين موجهتان للرئيس الأمريكي آنذاك جيمي كارتر من كُلٍ من الرئيس المصري أنور الســـادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن، يُوضح كُلٍ منهما وجهة نظر بلاده بشـــأن القدس، وكتب الرئيس كارتر بالمقابل رسالة باسم الحكومـــة الأمريكية، تُؤكد عدم الاعتراف الأمريكي بأيِّ إجـــراءٍ أُحادي الجانب يُؤثر على وضع القدس (غالي، 1997، ص. 154).

طبعت فترة مفاوضات «كامب ديفيد» المصرية – الإسرائيلية واتفاقياتها وطرق التفاوض خلالها وما رافقها من ممارسات عدوانية إسرائيلية لفرض الحقائق على الأرض خلال المفاوضات (مثل: سماح «إسرائيل» بحق اليهود شراء أراضٍ في الضفة عام 1979، وإعلان القدس عاصمة موحدة لـ«إسرائيل» في نهاية تموز 1980، وإعلانها ضم الجولان عام1981، وضربها للمفاعل النووي العراقي في ذات العام، واجتياحها للبنان عام 1982). طبعت هذه المفاوضات كافة مراحل المفاوضات والاتفاقات العربية والفلسطينية – الإسرائيلية اللاحقة.

كما يتبين من سياق المفاوضات التي يجري عرض فحواها بشكلٍ مُوجز في هذه الورقة، إن حكومات حزب العمل الإسرائيلي، قد فهمت من الصيغة الإنجليزية للقرار 242 أنه يحق لـ«إسرائيل» الاحتفاظ بالقدس الشرقية أو بأجزاءٍ منها، وغور الأردن والكتل الاستيطانية الاستعمارية في الضفة والقدس الشرقية أو أجزاءٍ كُبرى منها (حكومة اسحق رابين، ثم شمعون بيرس 1992 – 1996، ثم حكومة إيهود باراك 1999 – 2002) بينما فهم الليكود من ذلك (حكومة اسحق شامير 1986 – 1992، وحكومة نتنياهو 1996 – 1999، ثم كل حكومات الليكود من 2009 – 2021) أن «إسرائيل» طبقت قرار 242 عبر انسحابها من سيناء التي تُمثل 91 بالمئة من الأراضي العربية المحتلة عام 1967، وهو ما يعني أنها ليست ملزمة بالانسحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 التي تعتبرها على العكس على أنها أراضي «يهودا والسامرة» الإسرائيلية (نتنياهو ، 1995، ص. 173).

على غرار «كامب ديفيد» 1978، جاءت رسالة الدعوة الأمريكية الروسية إلى «مؤتمر مدريد» عام 1991، لتشمل محادثات سلام بين «إسرائيل» ولبنان والأردن، تتم في مرحلة واحدة، أما بشأن فلسطين فقد نصت رسالة الدعوة على إنجاز التسوية على مرحلتين، هذا ناهيك على أنها نصت على وفد أردني – فلسطيني مشترك يقطن الفلسطينيون الأعضاء فيه في الضفة وغزة، ولا ينضوي في عضويته أي من فلسطينيي القدس أو الخارج (النص في الموقع الإلكتروني لمجلة الدراسات الفلسطينية). تلّت «مؤتمر مدريد» مفاوضات في

واشنطن طرح فيها الوفد الفلسطيني «مشروع PISGA»(المشروع الفلسطيني للحكومة الذاتية الفلســطينية المؤقتة : 14 كانون ثاني 1992) (بانوراما،1994، ص. 88 – 94)، والذي قدمه الوفد الفلســطيني من الداخل برئاســة حيدر عبد الشــافي وإشراف فيصل الحســيني كرئيس للجنة التوجيهية عــلى تلك المفاوضات مع «إسرائيــل» والتي بدأت جولاتها بعد «مؤتمر مدريد للسلام» الذي عُقد في نهاية تشرين أول من عام 1991. وكان إشراف فيصل الحســيني على المفاوضات يتم بدون مشــاركته مباشرةً فيها كونه مقدسياً، وذلك بسبب التحفظ الإسرائيلي من قِبَل حكومة اســحق شامير الليكودية آنذاك، وهو التحفظ الذي انتهى بعد تحــول الحكومة الإسرائيلية من حزب الليكود إلى حزب العمل عام 1992 حيث قبل حزب العمل بأن يُشــارك فيصل الحســيني مباشرةً في المفاوضات، ولكن لا لكونه مقدســياً، بــل لكونه يملك عنوانــاً آخر في الضفة لبيتــه القائم في عين ســينيا الواقعة في محافظة رام الله. هذا وقد حاول الوفد الفلســطيني لمحادثات واشنطن ربط المرحلتــين الانتقالية والنهائية معاً، من خلال الســعي لتكريس حقائق فلســطينية عــلى الأرض خلال المرحلة الانتقالية، وذلك على شــاكلة طرح أن يتم شــمول القدس ضمن ولاية مجلس الحكومة الذاتية ســابق الذكر خلال المرحلة الانتقالية، وأن يتم تجميد الاستيطان خلال نفس المرحلة حتى لا يتم الاجحاف بنتائج المرحلة النهائية. ولكن هذه المحاولات اصطدمت بصدٍ إسرائيلي لها، مما منع التوصل إلى صيغة مشتركة لجدول أعمال متفق عليه للمفاوضات التي عُقدت منها عــشرة جولات، تمت كلها في « الكوريدور»، حيث رفض الوفد الفلســطيني الدخول من الكوريــدور إلى القاعة إلا بعد الاتفاق على جدول الأعمال، وهو ما لم يتم حتى آخر جولة عُقدت من تلك المفاوضات بسبب الرفض الإسرائيلي (منصور، 1993، والصفحة الإلكترونية لسري نسيبة عضو اللجنة التوجيهية لمفاوضات واشنطن).

رأت منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت تُتابع الوفد الفلسطيني لمفاوضات واشنطن، أن المحادثات «تسير نحو طريق مسدود» (قريع، 2006، ص. 49)، لذا استجابت لفكرة

فتح قناة تفاوضٍ سرية مع «إسرائيل»، وهي ما أصبحت تُعرف لاحقا بـ«قناة أوسلو». اختلفت هذه القناة عن قناة مفاوضات واشنطن بأن الوفد الفلسطيني إليها قد قبل بالفصل الذي بدأ منذ رسالة الدعوة إلى «مؤتمر مدريد» عام 1991 بين مفاوضات المرحلة الانتقالية ومفاوضات المرحلة النهائية، وقبل أن قرار 242 لا ينطبق على المرحلة الانتقالية (عباس 2011، ص. 108 – 110)، ففي هذه القناة أجلت قضايا القدس واللاجئين والمستوطنات والحدود إلى المرحلة النهائية من المفاوضات (عباس، 2011، ص. 127). بناءً على ذلك لم يتم طرح تجميد الاستيطان في المرحلة الانتقالية، كما لم يتم طرح أن تشمل القدس ضمن ولاية السلطة الفلسطينية التي نص اتفاق إعلان المبادئ (اتفاق أوسلو) لعام 1993، واكتفيَّ بأمور جزئية كتعهد شمعون بيرس وزير خارجية «إسرائيل» آنذاك ليوهان هولست وزير الخارجية النرويجي عبر رسالة رسمية بالحفاظ على المؤسسات الفلسطينية في القدس (مجلة الدراسات الفلسطينية، 1993)، ويقول المفاوض الإسرائيلي في «أوسلو» أوري سبير: «أن هذه الرسالة كانت رسالة سرية، كما أن الجانب الإسرائيلي قد وقعها على أساس أنها تعني إبقاء المؤسسات غير المرتبطة بمنظمة التحرير الفلسطينية فقط مفتوحة في القدس» (سبير، 1998، ص. 97). وكذلك التعهد الإسرائيلي بالسماح لفلسطينيي القدس بالمشاركة في الانتخابات الفلسطينية كما جاء في الملحق الأول لاتفاق إعلان المبادئ (اتفاق أوسلو) لعام1993 (بانوراما، 1994، ص. 104)، والذي تُركت تفاصيل الاتفاق عليه إلى «اتفاقية المرحلة الانتقالية» التي وقعت في 28 أيلول 1995 بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي في طابا المصرية، حيث تضمنت تلك الاتفاقية ملحقاً خاصاً عن الانتخابات، تم فيه تفصيل طريقة إجرائها في القدس في مادته السادسة، والتي شملت حق إجراء الحملات الانتخابية في القدس، وذلك بعد الحصول على التراخيص اللازمة من «إسرائيل»، والرقابة الدولية على الانتخابات، واقتراع عددٍ من فلسطينيي القدس من خلال خمسة مراكز بريد تقع داخل القدس هي: مراكز شارع صلاح الدين، وباب الخليل، وشعفاط، وبيت حنينا، وجبل الزيتون (مركز القدس للإعلام والاتصال. 1996، ص. 139 – 142). ولاحقاً تمت إضافة مركز بريد صور باهر كمركزٍ سادس،

وفي عام 1996 صوّت 5327 مقدسي في مراكز البريد، ارتفع إلى 6300 في الانتخابات التشريعية عام 2006، مع إضافة مركز بريد صور باهر. وصوّت بقية المقدسيين في مراكز اقتراع فلسطينية ضمن محافظة القدس، ولكن تقع خارج الحدود البلدية الإسرائيلية للمدينة (الصفحة الإلكترونية للجنة الانتخابات المركزية).

وفي تقييم لما ورد في «اتفاق أوسلو» حول القدس، اعتبرت منظمة التحرير الفلسطينية ذلك إنجازًا، إذ أن تلك كانت أول مرة تقبل فيها «إسرائيل» إدراج موضوع القدس على مائدة المفاوضات، وذلك بعد أن رفضت ذلك في «اتفاقيات كامب ديفيد» مع مصر عام 1978، كما رفضت إدراجها في مفاوضات «مؤتمر جنيف»، كما أن «إسرائيل» كانت قد أعلنت سريان القانون الإسرائيلي على القدس عام 1967، ثم اعتبرتها بقرار من الكنيست عام 1980 على أنها العاصمة الموحدة لدولة «إسرائيل». بناءً على ذلك رأت المنظمة في موافقة «إسرائيل» على إدراج القدس في المفاوضات على أنه تراجعٌ رسمي إسرائيلي عن قرار ضمها إلى «إسرائيل»، وحول ذلك كتب محمود عباس:

«معروف أن القدس قد ضُمت بقرار من الكنيست إلى أرض «إسرائيل»، إلا أن مجرد وضعها على جدول أعمال المرحلة النهائية، فهذا يعني من وجهة النظر الاسرائيلية أنها مسألة مُختلفٌ عليها، وأن قرار الضم إنتهى» (عباس، 2011، ص. 338).

استهلكت المفاوضات السرية التي أوصلت إلى اتفاق إعلان المبادئ (أوسلو) زهاء تسعة أشهر، وهو وقت لا يتجاوز كثيراً شهور مفاوضات واشنطن التي تلت «مؤتمر مدريد»، والتي لم تتوصل إلى اتفاق بسبب الفارق السابق ذكره بين المسارين، وهو الفارق الذي ترتب عنه افتراقهما عند لحظة معينة، ففي أوائل آب من عام 1993 قدم فيصل الحسيني رئيس اللجنة التوجيهية لمفاوضات واشنطن، وصائب عريقات نائب رئيس الوفد المفاوض، وحنان عشراوي الناطقة الرسمية باسم الوفد استقالاتهم من الوفد للقيادة الفلسطينية، وذلك بعد أن وصل إلى علمهم معلومات عن ورقة «إعلان مبادئ» قدمتها منظمة التحرير الفلسطينية إلى وارين كريستوفر وزير الخارجية الأمريكي آنذاك تتضمن

تنازلات عديدة منها ما هو بشأن القدس (لوس أنجلوس تايمز، 1993). ما لبث الثلاثة أن عادوا عن استقالاتهم بعد زيارتهم لتونس حينها، حيث أعلمتهم القيادة بالتوصل إلى «اتفاق أوسلو» مع «إسرائيل» وقاموا بمباركته (عباس، 2011، ص . 315).

كان مفاوضو مسار واشنطن يُصرون على دمج القدس ضمن المرحلة الانتقالية للحكومة الذاتية الفلسطينية، وذلك لخلق وقائعٍ على الأرض يرتكز عليها الوفد الفلسطيني في مفاوضات الحل النهائي مع «إسرائيل». يُشابه ذلك إصرار مصر على استرجاع طابا في سيناء والتي أرادت «إسرائيل» ضمها وهي لا تتجاوز 1090 متر مربع، ولكن مصر أصرت على رفض ذلك ودامت المفاوضات حولها لمدة ثمانية سنوات، انتهت بالتحكيم الدولي الذي حكم بإعادتها للسيادة المصرية في أيلول من عام 1989(الجزيرة، 2021). في المقابل لا يُعرف على وجه التحديد إذا ما كانت هذه التجربة التفاوضية المصرية مع «إسرائيل» بشأن طابا ستؤتي إلى نفس النتائج بشأن القدس، ولكن يُمكن القول ببعض من اليقين أن عمليات الأسرلة والتهويد الجارية على قدمٍ وساقٍ في القدس الشرقية والتي تكثفت خلال فترة ما بعد توقيع «اتفاق أوسلو» قد تشير إلى أنه كان من واجب المفاوض الفلسطيني في أوسلو أن لا يستعجل التوصل إلى اتفاق قبل استكمال المناقشة والاتفاق على ترتيبات انتقالية في القدس تُعزز عدم الإجحاف بنتائج المفاوضات النهائية بشأنها. وفي الواقع فقد تم في مفاوضات أوسلو بحث نقاطٍ لم يتم إدراجها في الاتفاق لاحقاً، وكان من الأفضل إدراجها فيه، لكي تُعزز الوضع الفلسطيني في القدس، ومن هذه القضايا، طرح مسألة تصويت المقدسيين في الانتخابات في المسجد الأقصى وكنيسة القيامة (عباس، 2011، ص.229)، وذلك بدلاً من تصويت غالبيتهم خارج المدينة كما تم في الاتفاق. وطُرحت في المفاوضات أيضاً فكرة مشاركة مُرحليّ عام 1967(النازحين) من القدس وكل الضفة والقطاع في الانتخابات (عباس، 2011، ص. 229). وقد كانت تلك خطوة تصون حق العودة للنازحين بأسرهم لو تم الإصرار عليها وتضمينها في الاتفاق. ويُشير أحمد قريع (أبو علاء) إلى وقائع أخرى تمت محاولة تحقيقها في المحادثات متعددة

الأطراف التي تلت «مؤتمر مدريد» حول قضايا مصادر المياه، والبيئة، وضبط التسلح والأمن الإقليمي، والتنمية الاقتصادية الإقليمية، واللاجئين. حيث قام الوفد الفلسطيني والوفود العربية في تلك المفاوضات بطرح تشكيل مجموعة عملٍ خاصة بالقدس في تلك المحادثات (قريع، 2008، ص. 16 وص. 147)، وربما كان من الممكن أن يكون لهكذا مجموعة لو شُكلت دوراً رافداً للمفاوضات الثنائية في فرض وقائع على أرض القدس تمنع الإجحاف بنتائج المفاوضات النهائية بشأنها. وتم في المحادثات متعددة الأطراف دمج مقدسيين في مجموعاتها كعبد الرحمن أبو عرفة الذي شارك في مجموعة العمل الخاصة بمصادر المياه، ومهدي عبد الهادي الذي شارك في مجموعة ضبط التسلح والأمن الإقليمي، وغيرهما (قريع، 2008، ص. 173 – 175).

حسب «اتفاق أوسلو» كان يُفترض أن تبدأ المفاوضات حول ما أُسمي بـ«الوضع الدائم» بعد مرور ثلاث سنوات على المرحلة الانتقالية، أي في عام 1997، وأن تنتهي هذه المفاوضات في أيار من عام 1999 أيّ بعد خمسة سنوات من الحكم الذاتي الانتقالي. ولكن هذه المفاوضات لم تتم إلا بعد مرور أكثر من سنة على انتهاء المرحلة الانتقالية، وكان ذلك عبر مفاوضات «كامب ديفيد» في تموز من عام 2000 بين الرئيس ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك برعاية الرئيس الأمريكي بيل كلينتون، وتلاها مفاوضات مكملة في طابا المصرية في كانون ثاني من عام 2001، ثم جاءت المفاوضات الثانية حول الوضع الدائم والتي تلت «مؤتمر أنابوليس» عام 2007، حيث تمت في مسارين: **الأول**، بين الرئيس محمود عباس ورئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت، و**الثاني**، بين أحمد قريع (أبو علاء) ووزيرة الخارجية الإسرائيلية آنذاك تسيبي ليفني، وأخيراً جاءت المفاوضات الثالثة حول الوضع الدائم من تموز 2013 وحتى نيسان 2014، والتي سُميت باسم «مبادرة كيري» نسبةً لوزير الخارجية الأمريكي جون كيري الذي توسط في تلك المفاوضات، وصولاً إلى انتقال المفاوضات حول القدس لتصبح أمريكية – إسرائيلية بحتة، ابتداءً من كيري ذاته الذي باشر مفاوضاتٍ منفردةٍ مع «إسرائيل» بشأن القدس وكل قضايا

الحل النهائـــي ابتداءً من تشرين ثاني عام 2013 بدون إعلام الجانب الفلســطيني حولها. وبعد جولات المفاوضات الثلاث السابقة من 2000 – 2014، حول «الحل الدائم» والتي انتهت كلها بالفشل، جاء دونالد ترامب الذي باشر مفاوضات منفردة مع «إسرائيل» منذ بداية عهده مطلع عام 2017، أســفرت عن «صفقة القرن»، أو «خطة الســلام من أجل الازدهــار»، والتي اعترفت بالقدس عاصمة لـ«إسرائيل» ونقل الســفارة الأمريكية من تل أبيب إليها. بين الجولات الرئيســة المذكورة كان هنالــك جولات مفاوضات أُخرى مثل: المحادثات التقريبية وما تلاها من المفاوضات المباشرة التي تمت بوســاطة المبعوث الأمريكي جورج ميتشل عام 2009 – 2010، والمحادثات وفق المبادرة الأردنية التي تمت في مطلع عــام 2012. وبين هذه المبادرات كان هنالك «خطــة خارطة الطريق المبنية على الأداء لحــل دولتين دائم للنزاع الفلســطيني – الإسرائيلي» لعام 2003، والتي كانت أول خطة تطرحُ بوضوحٍ إنشاء دولة فلسطينية مستقلة إلى جانب دولة «إسرائيل» مع نهاية عام 2005. تميزت خطة خارطة الطريق بأنها كانت خطة لمتابعة الطرفين لتنفيذ التزامات محددة تُطلب منهما في المرحلــة الأولى والثانية من الخطة، وذلك من قِبَل اللجنة الرباعية الدولية التي أطلقتها الخطة، والتي ضمت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي وروسيا والأمم المتحدة. هــذا إلى جانب طرحها للتفاوض المباشر حــول وضع القدس وقضايا الحل الدائم في مرحلتها الثالثة التي كان يجب أن تتم في عامي 2004 و 2005(خطة خارطة الطريق، 2003). وفيما يلي يتم اســتعراض مُوجزٍ بشأن المحطات التفاوضية التي ناقشت موضوع القدس باســتفاضة، أي مفاوضات «كامب ديفيــد – طابا» (2000 – 2001)، «مفاوضــات أنابوليــس» (2007 – 2009)، والمفاوضات التي رعاهــا وزير الخارجية الأمريكي جون كيري (2013 – 2014).

خلال مفاوضات «كامب ديفيد» عام 2000، ماطل الإسرائيليون في طرح موضوع القدس حتى الأسبوع الثاني من مفاوضاتها، و«تحدثوا عن سيادة للأحياء خارج السور، وحكم ذاتي للقــرى المحيطة، ونظام خاص للأحياء داخل الســور» (عباس 2001/ 2011، ص. 22).

وأضافوا على ذلك ســيادتهم على ما يُســمى بالحوض المقدس الذي يشمل المسجد الأقصى وجزء من ســلوان وراس العامود (قريع، 2011، ص . 36)، كما اعتبروا سيادتهم على الحي اليهودي أمرًا مفروغاً منه، وطالبوا فوق ذلك بالسيادة على الحي الأرمني من البلدة القديمة للقدس، ثم طالبوا أيضاً بالســيادة على ما تحت الحرم بادعاء وجود آثار هيكل سليمان هناك، كما طالبوا بحق الصلاة في ســاحة الحرم وبناء كنيسٍ صغير فيه. ورفض الجانب الفلسطيني كل ذلــك، ووافق فقط على مقررات لجنة البراق البريطانية لعام 1929 التي اعترفت بملكية الأوقاف الإسلامية لحائط البراق، وأعطت اليهود حق الصلاة في المبكى، لكن دون السيادة عليــه، كما وافق الجانب الفلســطيني أن تكون العاصمتين الفلســطينية في القدس الشرقية والإسرائيلية في القــدس الغربية مفتوحتان على بعضهم (عبــاس 2001/ 2011، ص. 23 – ص 24). وكان الإسرائيليــون قــد طالبوا في مفاوضات عُقدت في اســتوكهولم عاصمة السويد عشــية «مفاوضات كامب ديفيد» بتوسيع القدس، وذلك كي يتسنى إعطاء الجانب الفلســطيني عاصمة في محيطها من جهة، ولكي يتســنى لـ«إسرائيل» أن تضم مستعمرات جفعات زئيف ومعاليه أدوميم وغوش عتصيون إليها، كما طالب الإسرائيليون في مفاوضات اســتوكهولم بـ «طريقاً يربط القدس والبحر الميت وغور الأردن» (قريع، 2011، ص. 34). وخلال «مفاوضات كامب ديفيد» كان الموقف الأمريكي من قضية القدس أقرب للموقف الإسرائيلي، حيث طرحوا مقترحاً يقضي بعقد اتفاق نهائي فلسطيني – إسرائيلي التي تستمر المفاوضات بشــأنها عامين آخرين بعد توقيع الاتفاق، وأن تتواصل السيادة الإسرائيلية على الحرم الشريف على أن تكون هناك حراسة فلسطينية عليه (Custodianship)، وتُنقل سفارة الولايــات المتحدة إلى القدس الغربية، ويُقام في البلدة القديمة من القدس مكتب شــخصي للرئيس ياسر عرفات، مع السماح بحرية الوصول إلى الأماكن المقدسة لكافة الأديان. (قريع، 2011، ص37).

بالمجمل دارت «مفاوضات كامب ديفيد» 2000 فيما يبدو حول تقاســم القدس الشرقية بين الطرفين بحيث تصبح المســتعمرات اليهودية التــي أُقيمت فيها بعد عام 1967 جزءاً

مـــن «إسرائيل»، وتكون الأحياء الفلســـطينية جزءاً من دولة فلســـطين بما في ذلك الحي الأرمنـــي الذي تنازلت «إسرائيل» عنه في النهاية مع اشـــتراط ضمان ترتيبات أمنية دولية لوصول اليهود لحائط المبكى، مع اســـتمرار السيطرة الإسرائيلية، ولكن بدون سيادة على جبل الزيتون وما يُســـمى بمدينة داود، وإمكانية ادعاء الفلســـطينيين بالسيادة على الحرم الشريـــف بدون موافقة على ذلك، وجعل الحفريات وأعـــمال التنقيب مشروطة بالاتفاق بين الطرفين كما ورد في وثيقة ملخص غير رســـمي لم يجرِ التوقيع عليه أُســـميَّ بـ «أُسس الاتفاق الفلســـطيني – الإسرائيلي». وهذا ما تم تلخيصه أيضاً فيما سُمي بمعايير كلينتون (Clinton Parameters). (قريـــع، 2011، ص. 81 – 85). وقد كان الميل الفلســـطيني هو لرفض أُســـس الاتفاق هذه «إلا أن الاعتبارات المختلفة، بما في ذلك الموافقة الرسمية المشروطة على هذه الأفكار، جعلنا نتجه نحو التعامل معها بروح إيجابية، لعل ذلك يُمكننا من تعديل بعـــض ما ورد فيها من معايير مجحفة لنا» (قريع، 2011، ص. 82 – 83). لهذا كان الرئيس يـــاسر عرفات قد أبلغ الرئيس كلينتون خلال آخـــر اجتماع له معه في البيت الأبيض يوم 2/ 1/ 2001 موافقته على أسس الاتفاق المذكور مع بعض التحفظ، وهو ما رفضه الرئيس كلينتون، إذ دعى لقبولها بدون أي تحفظ (قريع، 2011، ص. 82).

في «مفاوضات طابـــا» في مطلع عام 2001، والتي جاءت مكملـــة لـ«مفاوضات كامب ديفيد»، تم حســـب ملخص المبعوث الأوروبي ميغيل موراتينوس لها، طرح مسألة المدينة المفتوحـــة، وطرح الجانب الفلســـطيني أن تكون المدينة المفتوحة شـــاملة للقدس العربية والقدس الشرقية، فيما أراد الإسرائيليون حصر المدينـــة المفتوحة بالبلدة القديمة، مضافاً إليها ما سُـــمي بإســـم «الحوض المقدس»، وفهـــم الجانب الفلســـطيني أن الإسرائيليين مســـتعدين لقبول مناقشة الطلب الفلســـطيني المتعلق بالأملاك الفلســـطينية في القدس الغربيـــة. مع ذلك «قبل الجانبان من حيث المبدأ اقتراح كلينتون بســـيادة فلســـطينية على الأحياء العربية في القدس، وسيادة إسرائيلية على الأحياء اليهودية» ما عدا جبل أبو غنيم ورأس العامود والمستعمرات الواقعة في نطاق ما يُسمى بالقدس الكبرى كمعاليه أدوميم

وجفعات زئيف التي رفض الجانب الفلسطيني أية سيادة إسرائيلية عليها (قريع، 2011، ص. 38). يُلاحظ هنا أنه تم طرح فكرة المدينة المفتوحة الشاملة للقدس الشرقية والغربية معاً، فيما اقتصر النقاش من ناحية عملية على تقسيم القدس الشرقية بين الطرفين، وفي هذا الإطار أُعيد في طابا أيضاً نقاش قضايا سبق أن نُوقشت في «كامب ديفيد» كالسيادة على البلدة القديمة والحرم الشريف، وعلاقة الحائط الغربي بحائط المبكى، وكلها تقع في القدس الشرقية فقط، وإن لم يتم التوصل إلى تفاهمات بشأن هذه القضايا.

عادت القدس إلى المفاوضات بعد «مؤتمر أنابوليس» عام 2007، وخلال هذه المفاوضات طرح الجانب الإسرائيلي نفس مواقفه السابقة حول تقاسم القدس الشرقية بين الجانبين وترتيبات خاصة فيما يسمى بـ «الحوض المقدس». ولكن الجانب الفلسطيني طرح جلاء الاحتلال الكامل عن القدس الشرقية بما في ذلك المستعمرات التي أُقيمت بشكلٍ غير شرعي، والسيادة الفلسطينية الكاملة عليها بما في ذلك الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية، وإبقاء المدينة مفتوحة مع ضمان حرية العبادة لكافة الأديان (عريقات، 2009، ص. 5، وقريع، 2011، ص. 49). وقد تمخض عن هذا الموقف الفلسطيني الأقوى مما طرح في «كامب ديفيد» حول القدس، اتفاق إسرائيلي _ فلسطيني أُبرم في وزارة الخارجية الأمريكية برئاسة الوزيرة كوندليزا رايس يوم الثلاثين من تموز عام 2008، تم من خلاله اعتبار حدود عام 1967 هي قاعدة المفاوضات بما في ذلك القدس الشرقية وغور الأردن والبحر الميت والمناطق الحرام التي تم الاتفاق على تقاسمها مناصفة (عريقات، 2009، ص. 3 – 4). وتوقفت المفاوضات لاحقاً بعد أن شنّت حكومة إيهود أولمرت الإسرائيلية حرباً على غزة في كانون أول 2008. هذا وقد وجدت المواقف الفلسطينية الأوضح التي طرحت في مفاوضات ما بعد «مؤتمر أنابوليس» تعبيراً لها في الورقة غير الرسمية للتفاوض حول القدس التي أصدرتها دائرة شؤون المفاوضات عام 2010، حيث أكدت الورقة على الانسحاب الإسرائيلي الشامل من القدس الشرقية والسيادة الفلسطينية الكاملة عليها مع تعديلاتٍ طفيفةٍ في الحدود متبادلة بالقيمة والمثل، وإبقاء المدينة مفتوحة مع إقامة مجلس

مشـــترك للتنمية، وجعل القدس «عاصمة لدولتين، وتجمع ما بين ثلاث ديانات سماوية» (عريقـــات، 2011، ص.3 من ملحـــق 1). ومن اللافت في الورقة إشـــارتها إلى ترتيبات انتقالية تلي إبرام الاتفاقية النهائية في القدس، وهو ما يســـتوجب التساؤل، حيث ورد في الورقة نصاً: «في أعقاب إبرام التســـوية النهائية، والتي ينبغي أن تشـــمل قضية القدس، يتفق الطرفان كذلك على الترتيبات الانتقالية التي تُحدد شروط تنفيذ الاتفاقية في القدس. ويجب أن تتماشـــى الأحكام الوظيفية والهيكلية المؤسساتية والجدول الزمني المرتبط بهذه الترتيبات مع تلـــك الترتيبات الانتقاليـــة العامة التي يتفق عليهـــا الطرفان» (عريقات، 2011، ملحق 1، ص. 3).

المحطة التفاوضية الأخيرة بخصوص القدس كانت مع مبادرة جون كيري وزير الخارجية الأمريكية السابق بين نهاية تموز 2013 ونيســـان 2014. في تلك المفاوضات كرر الجانب الفلســـطيني مواقفه حول الانســـحاب الإسرائيلي الكامل من القـــدس الشرقية لتصبح عاصمة لدولة فلســـطين وتحت السيادة الفلسطينية الشـــاملة (عريقات 2013، و 2014، ص. 16 وص. 25 تباعاً). واتفق لاحقـــاً على التوصل إلى اتفاقية فيما لم يقدم الأميركيون أي أفكار رســـمية خطية لهذا الاتفاق (عريقات، 2014، ص. 25). في المقابل كان كيري مُنخرطاً في مفاوضات ثنائية مع رئيس الـــوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، حيث رفض نتنياهـــو خلالها أي ذكر للقدس كعاصمة لدولة فلســـطين، وبالتالي لم يتم التوصل إلى أية انطلاقة بهذا الخصوص (رافيـــد، 2014، ص. 16). وبعد ذلك بثلاثة أعوام نقل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب سفارة الولايات المتحدة إلى «إسرائيل» من تل أبيب إلى القدس، ممـــا توّج التحول في الموقف الإسرائيلي الرافض لأية تســـوية في المدينة وهو التحول الذي بدأ عام 2009 بعد تولي بنيامين نتانياهو لرئاســـة الحكومة في «إسرائيل» والذي استمر إلى أوائل عـــام 2021. وتضمنت الوثيقة الأمريكية المعنونة بـ «الســـلام من أجل الازدهار» والمعروفة باســـم «صفقة القرن» بنوداً أخرى بشأن القدس منها: إخراج كفر عقب ومخيم شـــعفاط من القدس، وإقامة عاصمة فلســـطينية فيها تعمل في نطاق السيادة الإسرائيلية

على القدس كلها، بما في ذلك مناطق العاصمة الفلسطينية، كما تضمنت أسماء 13 موقعاً توراتياً في القدس الشرقية، بينت منظمة «عيمق شافيه» الإسرائيلية أنها مواقع مخترعة لا وجود لها (عيمق شافيه، 2020)، وتُوافق الخطة على ضم الكتل الاستيطانية الاستعمارية إلى «إسرائيل» مما يعني موافقتها على مشروع «القدس الكبرى» الذي يشمل الكتل الاستيطانية غوش عتصيون و جبعات زئيف ومعاليه أدوميم ، وتُبقي الخطة على السيطرة الإسرائيلية على الحرم الشريف، وتسميته بـ: الحرم الشريف / جبل الهيكل وتدعو لمنح حق الصلاة فيه لجميع الأديان. وتُعطي الخطة «إسرائيل» حق تنظيم السياحة بما فيها الحجيج العربي والإسلامي إلى القدس عبر منطقة سياحية تُقام في منطقة «عطروت» يفد إليها السياح العرب والمسلمين عن طريق الأردن وبالتنسيق معه. وأخيراً تطرح الخطة تخيير الفلسطينيين المقدسيين بين الحصول على الجنسية الإسرائيلية أو جواز السفر الفلسطيني، أو البقاء على حالهم «كمقيمين دائمين في أرض إسرائيل». (نص الصفقة في صفحة البيت الأبيض الإلكترونية، وتحليل لها في: سالم، 2020). ما عدا ذلك قامت إدارة ترامب بإجراءاتٍ أُخرى ذات صلة بالقدس الشرقية، هي: إغلاق القنصلية الأمريكية في القدس الشرقية، ووقف دعم المستشفيات الفلسطينية في المدينة، وتجميد الدعم لوكالة الغوث الدولية، وإغلاق مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن، وتحديد الأمريكيين المولودين في القدس على أنهم مولودون في «إسرائيل» (سالم 2021).

المبادرات غير الرسمية للتفاوض حول القدس

أما على صعيد المبادرات غير الرسمية، فتلخص الورقة هنا ما تضمنته وثائق «وثيقة عباس – بيلين»، و«وثيقة نسيبة – أيالون»، و«مبادرة جنيف» التي أطلقها ياسر عبد ربه ويوسي بيلين، و«وطن واحد ودولتين» لميرون رابوبورت وعوني المشني.

فيما يتعلق بـ«وثيقة أبو مازن – بيلين»، فقد أعلنت في 15 تشرين أول من عام 1995، وبعكس ما هو رائج، فإن أبو مازن لم يُوافق في الوثيقة على اعتبار أبوديس عاصمة لدولة فلسطين، كما لم يكن هناك اتفاق أدى لتحول الوثيقة إلى نصٍ معتمدٍ رسمياً (بيلين، 1998،

ص. 13). وتضمنت الوثيقة توسيع حدود القدس لتشمل أبو ديس والعيزرية والرام والزعيم ومعاليه أدوميم وجفعات زئيف و جفعون، مع تسمية المواقع الفلسطينية منها كـ «أقسام إدارية فلسطينية» واليهودية منها كـ «أقسام إدارية إسرائيلية»، على أن تكون القدس الشرقية عاصمة لدولة فلسطين، والقدس الغربية عاصمة لـ«إسرائيل»، وتكون المدينة مفتوحة مع ضمان حرية العبادة، وينشأ مجلسان بلديان يُظللهما مجلس بلدي مشترك (قريع، 2011، ص. 41 – 43). وطرح بيلين خلال مناقشات إعداد الوثيقة أن تكون أبو ديس هي القدس التي تُقام فيها عاصمة لفلسطين، وأن يُقام برلمان فلسطيني فيها، ويُصبح المقدسيون الفلسطينيون مواطنين فلسطينيين، وذلك مع بقاء القدس الشرقية منطقة مختلفاً عليهاً، (بيلين، 1998، ص. 15). وهو ما يختلف عما طرحه قريع أعلاه، بأن الوثيقة أقرت بالسيادة الفلسطينية على القدس الشرقية.

من جهةٍ أُخرى فقد نصت «وثيقة سري نسيبة وعامي أيالون» لعام 2002، بشأن القدس على ما يلي:

«القدس ستكون مدينة مفتوحة، وعاصمة لدولتين، الحرية الدينية وحرية الوصول الكاملة إلى الأماكن المقدسة تكون مضمونة للجميع. لا يكون لأيّ طرف سيادة على الأماكن المقدسة. دولة فلسطين تُوصف كوصيّة/ حارسة (Guardian) على الحرم الشريف لصالح المسلمين. و«إسرائيل» تُوصف وصيّة على الجدار الغربي لصالح الشعب اليهودي. يجري الحفاظ على الوضع الراهن في موضوع الأماكن المسيحية المقدسة. لا تجري حفريات داخل الأماكن المقدسة أو في نطاقها» (قريع، 2011، ص. 44، والصفحة الإلكترونية لسري نسيبة).

أما «مبادرة جنيف» لعام 2003 بين يوسي بيلين زعيم حزب ميرتس آنذاك، وياسر عبد ربه وزير الإعلام الفلسطيني في حينه، فهي تتضمن تفصيلاتٍ، تشمل إقامة مجلس ديني مشترك للمدينة، يُشارك به عشرة من كل طرفٍ وممثل لليونسكو، وتواجد قوات متعددة الجنسيات في الحرم الشريف الذي سمته الوثيقة «الحرم الشريف/ جبل الهيكل»، وتخطيط معماري مشترك للقدس الشرقية، يشمل أماكن السكن والطرق المشتركة والأخرى

المنفصلة، وتدابير الأمن وطرق الدخول والخروج من البلدة القديمة من القدس (مبادرة جنيف، 2010، ص. 49 – 81). وقد ورد في ملخص «وثيقة جنيف»:

«يعترف الطرفـــان بالأهمية العالمية والتاريخيـــة والدينية والروحيـــة والثقافية لمدينة القدس وبقدســـية هذه المدينة للديانات اليهودية والمســـيحية والإســـلامية، ويُقيمان هيئة من ممثلي الديانات الســـماوية الثلاث، وتعمل كهيئة استشـــارية لدى الطرفين في مسائل تتعلق بأهمية المدينـــة دينياً، وتنهض بالحوار بـــين الأديان» (مبادرة جنيـــف، 2010، ص. 7)، ثم يُضيف التلخيص أنه ســـتقام عاصمة فلســـطينية في القدس الشرقية، وإسرائيلية في القدس الغربية، ويتـــم إقامة حدود بين طرفيّ القـــدس، مع إيجاد ترتيباتٍ خاصة بالمقابر في شـــطريّ المدينة. وبالنســـبة للبلدة القديمة تكون كلها تحت السيادة الفلســـطينية بما في ذلك الحرم الشريف، ولكن مع اســـتثناء الحي اليهودي وحائط المبكى اللذين ســـيكونان تحت السيادة الإسرائيلية، وتكون البلدة القديمة مفتوحة لحرية التنقل داخلهـــا بحرية (مبادرة جنيف، 2010، ص: 7). بالإجمـــال تطرح «وثيقة جنيف» تقســـيم المدينة بين الطرفين وإقامة حـــدود بينهما، وبالتالي فهي ليســـت مدينة مفتوحة، مع استثناء البلدة القديمة التي تكون مفتوحة للجميع داخلها، ولكن لا يحق لأي شـــخص الانتقال منها إلى عاصمة الطرف الآخر بدون تأشـــيرة، ومنح الإسرائيليون أيضاً السيطرة على مقبرة جبل الزيتون (قريع، 2011، ص. 46).

وقد نصت مبادرة «دولتان، وطن واحد» بشأن القدس على أن «القدس ستكون عاصمة لدولتين، وأن المقدسيين الفلسطينيين سيصبحون مواطنين فلسطينيين، واليهود سيكونون مواطنين إسرائيليين، وسيكون هنالك حكم بلدي يدار من كليهما. وأن الأماكن المقدسة ستدار من قِبَل ممثلين من جميع الأديان وبمشاركة المجتمع الدولي» (alandforall.org).

تقترح ثلاث من المبادرات غير الرســـمية أعلاه أن تكـــون القدس مدينة مفتوحة، ما عدا «وثيقة جنيف» التي طرحت مدينة مقســـمة مع التشارك في البلدة القديمة. كما أن مبادرة «وطن واحـــد ودولتان» تطرح أن تكون الدولتـــان ككل مفتوحتان على بعضهما البعض وليس القدس فقط.

القسم الثاني: واقع القدس وآثار السياسات التفاوضية

هدفت السياسات الفلسطينية التفاوضية إلى الوصول إلى حلٍ نهائيٍ بشأن كافة القضايا، بما فيها القدس مع حلول أيار 1999، وذلك كما نصت عليه الاتفاقيات التفاوضية. من هنا يقوم هذا القسم بعرضٍ موجزٍ للآثار التي ترتبت عن عدم التوصل إلى هذا الحل حتى اليوم، وما خلفته من مشكلات وروافع في الوقت ذاته.

ورد في بند 4 من المادة الخامسة من إعلان المبادئ الفلسطيني – الإسرائيلي ما يلي:

«4. يتفق الطرفان على أن لا تُجحف أو تحل اتفاقيات المرحلة الانتقالية بنتيجة مفاوضات الوضع الدائم»(في بانوراما، 1994، ص. 101).

من الجانب الفلسطيني فُهم هذا البند على أنه يعني أن لا يتم فرض وقائع وإرساء حقائق جديدة على الأرض خلال المرحلة الانتقالية تؤدي إلى الإجحاف ضد مُطالبات الجانب الفلسطيني خلال مفاوضات «الحل الدائم». ولكن من جهتها، سعت «إسرائيل» لجعل تأجيل بحث موضوع القدس إلى المرحلة النهائية مبرراً لتهويد وأسرلة المدينة خلال المرحلة الانتقالية، إذ أقرت الحكومة الإسرائيلية في يوم 14/ 10/ 1993 مشروع ما أُسميَّ بـ «القدس الكبرى»، وذلك قبل أن يجف الحبر عن «اتفاق إعلان المبادئ» الذي وقع يوم 13/ 9/ 1993. وتضمن المشروع تطوير الكتل الاستيطانية الاستعمارية الكبرى المحيطة بالقدس معاليه أدوميم وجفعات زئيف وغوش عتصيون، وربطها بالمدينة من خلال طرق سريعة وأنفاق ومرافق اقتصادية. (سالم، 2010، ص. 114). وفي نفس العام تم إعداد المسودة الأولى لمشروع حاضرة القدس الكبرى (Metropolitan Jerusalem)، الذي أُقر من الحكومة الإسرائيلية عام 1998 بعد أن أعده بشكله النهائي طاقم مكون من سبعة مدراء عامين من الوزارات الإسرائيلية، ووفق هذا المشروع ستمتد حاضرة «القدس الكبرى» حتى مشارف أريحا والبحر الميت من الشرق، ومداخل الخليل من الجنوب، وسهل شيلو على الطريق إلى نابلس من الشمال، بما يشمل 440 كم مربع (سالم،

2010، ص. 123 – 124). ووفق هذا المخطط سـيتم إيجاد ترابط كامل بين مستعمرات تجمع غوش عتصيون من جهة، وتوسيع مستعمرة هار حوما (جبل أبو غنيم) وفروعها، وإنشـاء مسـتعمرة جفعات همتوس قرب بيت صفافا، ومسـتعمرة جديدة على أراضي الولجة، وحديقة سـياحية توراتية في منطقة المخرور في بيت جالا، وسيؤدي ذلك كله إلى تطويق بيت لحم من جميع الجهات بالمسـتعمرات وخلق أغلبية سكانية يهودية في محيطها (موقع منظمة عير عميم). من جهة الشـمال تتضمن المخططات تطويق رام الله من جميع الجهات بمستعمرات متواصلة تشمل ربط مستعمرات آدم وبسجوت وكوخاف يائير من جهة معاً، ثم مع سـهل مستعمرة شيلو مروراً بمسـتعمرتيّ بيت إيل وعوفرا على الطريق نحو نابلس، وتوسـيع جبعات زئيف وجبهون ومحيطهما من جهـة أخرى، وربطهما مع موديعين، مما سـيؤدي ذلك بدوره إلى خلق أغلبيـة يهودية في محيط مدينة رام الله. وأخيراً فيما يتعلق بتطويق أريحا وخلق أغلبية يهودية حواليها، فإن مخططات إنشاء مستعمرة E1، وتوسيع مستعمرة معاليه أدوميم ومستعمراتها الفرعية مثل: ميشور أدوميم بحيث تترابط مع المسـتعمرات المقامة في الطريـق إلى البحر الميت مع تلك المقامـة على أراضي الغور، سيؤدي إلى ذلك التطويق وخلق تلك الأغلبية.

يرتبط ما تقدم بواقع أن «إسرائيل» تعمل على ثلاثة «أقداس» مختلفة الحدود في الوقت ذاته وبشكلٍ متوازٍ:

القدس الأولى، هي ما يُطلق عليه «القدس الموحدة» التي تم إعلان سريان قانون الدولة وقضاؤها وإدارتها عليها عام 1967، واعلانها «عاصمة موحدة لدولة إسرائيل» بقرار من الكنيسـت عام 1980 (حلبي، 2000، ص.100 – 104). هذه «القدس الموحدة» التي تشمل من الشرق 72 كم مربع، هي القدس الشرقية المتوسعة 12 مرة على حساب الضفة»، حيث لم تتعدَ القـدس الشرقية الـ 6 كم مربع قبل عام 1967، لا زالت حتى اليوم تتمتع بأغلبية فلسطينية تتجاوز 340 ألفاً بأرقام عام 2018، مقارنة بـ 926 , 281 يهودي في نفس العام (القواسـمي، 2020). ولكن «إسرائيل» تسـعى جاهدة لتغيير

هـذا الواقع عبر المشـاريع لتهويد سـلوان بكافـة أحيائها، وطرد عائلات الشـيخ جراح، والقيام بمشـاريع لتغيير المشـهد في المدينة ليصبح إسرائيلياً عبر تنفيذٍ قسري للمخططات الهادفة لاقتسام الحرم الشريف، وإعادة إنشاء مملكة داود في المنطقة المسماة بـ «الحوض المقدس»، والتي تشـمل البلدة القديمة وسلوان وجزء من رأس العامود (قريـع، 2011، ص. 36)، والمقبرة اليهودية في جبل الزيتون، وكذلك عبر اختراع 13 موقـع توراتي في المدينـة لم يكن لها أي وجود تاريخي تم تضمينهـا في «صفقة القرن» كما بينت «منظمة عيمق شافيه» اليسـارية الإسرائيلية (عيمق شافيه، 2020)، وإعادة تسمية باب العامود باسـم (معلومات هدار وهداس) وهما مجندتان إسرائيليتان قُتِلتا هناك في عامـي 2016 و 2017، و«مشروع التلفريك» مـن جبل الزيتون نحو حائط المبكـى، و«مشروع ربط منطقة حائط المبكى بتـل أبيب» من خلال خط قطار سريع، و«مشاريع منطقة المركز» (أبوعرفة، 2021) ، ومحطة المواصلات الجديدة لكل مناطق حاضرة «القدس الكبرى» التي سيتم إنشـاؤها في حي المصرارة (سالم، 2010، ص. 124).

القدس الثانية، هي تلك المسـماة بـ «القدس الكبرى» التي تشـمل ما سُـمي بـ «القدس الموحدة» أعلاه مضافاً إليها الكتل الاستيطانية الكبرى سابقة الذكر المحيطة بالقدس، والتي يجري توسـيعها على قدمٍ وساق، وفي المقابل يجري التخطيط لإخراج كفر عقب ومخيم شعفاط ومحيطه من القدس عبر الجدار، مما يترتب عنه إخراج حوالي 120 إلى 140 ألف فلسطيني من القدس الشرقية، وبالتالي تعديل الأغلبية السكانية في القدس الشرقية لصالح اليهود (سالم، 2020، ص. 53).

القـدس الثالثة، الجاري العمل عليها على قدمٍ وسـاقٍ أيضـاً، هي حاضرة «القدس الكـبرى» الجاري توسـيعها منذ أقرت الحكومـة مشروعها عـام 1998، ومؤخراً أُضيف له مشروعٌ آخر اسـمه «مشروع 5800» لعـام 2050 طرحه أصحاب الأعمال الإسرائيليـين (موقع مـشروع 5800: www.jerusalem5800.com)، ويشـمل

المشروع زيادة السكان المستوطنين اليهود في منطقة حاضرة «القدس الكبرى» إلى خمسة ملايين حتى عام 2050، وأن يصل عدد السياح إليها إلى 12 مليون سنوياً، وذلك عبر إنشاء مشاريع «هاي تيك» وصناعة وتجارة تستقطب الجاليات اليهودية في العالم وتُحول مركز العيش والسكن في «إسرائيل» من منطقة تل أبيب وغوش دان إلى حاضرة «القدس الكبرى»، ويتضمن المشروع إقامة مطار ضخم في منطقة البقيعة قرب أريحا، وتوسيع حدود البلدية لتشمل منطقة حاضرة «القدس الكبرى» بأكملها. (التفكجي 2021، ص. 29 – ص. 31).

يُلاحظ أن مشاريع «الأقداس الثلاث» تتضمن استخدام القدس المتوسعة باضطرادٍ كمدخلٍ لضم أراضٍ أوسع فأوسع من الضفة الغربية إلى «إسرائيل»، ولجعل القدس المتوسعة مدخلاً لمنع التواصل الجغرافي بين المحافظات الفلسطينية من الشمال والجنوب والشرق، وقطع تواصل فلسطين مع الأردن، وتطويق رام الله وبيت لحم وأريحا وخلق أغلبية ديمغرافية يهودية حواليها، أُسوةً بمحافظة سلفيت التي تم خلق تلك الأغلبية اليهودية فيها منذ سنوات. وفي ظل وضعٍ كهذا، بات الفرق بين القدس وبين المنطقة / ج/ من الضفة التي تُمثل ثلثي مساحتها، لا يتعدى واقع أن المقدسيين يحملون هوية الإقامة الزرقاء، أما في ممارسات الاحتلال الشاملة للترحيل ومصادرة وهدم البيوت واعتداءات المستعمرين وتغيير المشهد والفضاء فالكل سواء.

تتلخص السياسات الإسرائيلية الأحادية في القدس بتهويد الأرض والمكان والإقليم والمشهد والفضاء، وأسرلة المؤسسات عبر فرض المؤسسات الإسرائيلية على المدينة وطرد وإغلاق المؤسسات الفلسطينية القائمة فيها، واقتلاع وتهجير المقدسيين عبر هدم البيوت وسحب هويات 14500 مقدسي (تايمز أوف إسرائيل، 2017). وعزل الباقين في المدينة في جيوبٍ، تُحيط بها المستعمرات من جميع الجهات، وإنكار هويتهم الوطنية عبر اعتبارهم «مواطنين أردنيين مقيمين في أرض إسرائيل» (سالم، 2018)، ولاحقاً كمقيمين غير مصنفي الهوية، وتبديد مجتمعاتهم المحلية وتمزيقها، وكبح نشوء اقتصاد متكامل

لهـــم، ومنع ارتباط هذا الاقتصاد بالاقتصاد الفلســـطيني. في إطـــار ذلك تآكل أيضاً حق المقدســـيين في التصويت في الانتخابات الفلسطينية، حيث تراجعت الحكومة الإسرائيلية عن ترتيبات أوسلو لهذه الانتخابات في المدينة، ورفضت إجراء الانتخابات الفلسطينية في المدينة وفق تلك الإجراءات في الأعوام من 2019 وحتى 2021. أي تشهد القدس ثلاثية استيطان اســـتعماري إحلالي، مقترن بممارســـات تمييز أبارتهايدية (أي قائمة على الفصل العنصري)، ضد الشـــعب الأصلي، يدعم هاتين الحالتين نظام احتلال عســـكري – أمني يحمي المستوطنين اليهود ويقتل ويقمع الفلسطينيين (غانم، 2018).

مع ذلك لا زال الصراع على القدس مســـتمراً، حيث لا زالت هناك أولاً غالبية فلسطينية في القدس كما ورد ســـابقاً، كما أن التوازن الســـكاني في حدود محافظة القدس الفلسطينية لا زال لصالح الجانب الفلســـطيني، حيث كان يعيـــش في المحافظة حتى نهاية عام 2018 حوالي 497606 فلسطيني، مقابل 313 ألف مستعمر، تزيد إلى 397 ألف مستعمر في حال ضم كتلة غوش عتصيون للتعداد المذكور (القواســـمي، 2021). وتضم محافظة القدس بحدودها الفلسطينية 50 موقعاً: 21 منها تقع في / قدس 1/ الخاضعة للسيادة الإسرائيلية المفروضة، و29 تقع في / قدس 2/ الخاضعة للســـلطة المدنية الفلسطينية والسلطة الأمنية الإسرائيلية في حال كونها مصنفة كمنطقة / ب/ حســـب «اتفاق أوســـلو2» لعام 1996، أو الخاضعة للســـلطة المدنية والأمنية الإسرائيلية إذا كانت مصنفة كمنطقة حســـب نفس الاتفاق.

ثانياً: ليست المخططات الإسرائيلية للأقداس الثلاث حتمية النجاح، فهي تُواجه المشاكل المترتبة عن حاصل الصراع بين المســـاعي الفلسطينية لفرض سيطرة شعبية من أسفل على المدينة عبر دعم مؤسســـات المجتمع المدني والمحلي والمستشفيات وطرح موضوع القدس في كل المحافـــل العربية والدولية وغير ذلك، وبين تلـــك المخططات الإسرائيلية الجارية بكثافة والتي تشـــمل عدا عما تقدم، تفكيك وحدة وتواصل المجتمعات المحلية المقدسية وفلســـطينييها الباقين فيها عبر فصلها عن بعضها البعض بمستوطنات استعمارية، وحتى

تشـــظية كل مجتمع محلي إلى أجزاء عبر زرع البؤر الاستيطانية داخله (حالة البلدة القديمة وجبل المكبر – الشـــيخ سعد وبيت صفافا من القدس مثلاً)، وما يترتب عن كل ذلك من مسائل سياســـية وقانونية وذات علاقة بالسلم الأهلي ودور الشرطة الإسرائيلية في تعزيز النزاعات المجتمعية ومنع إنفاذ القانون الفلسطيني على القدس كما بيّن الكاتب في دراسة لمؤسسة آكت عام 2018(سالم، 2018).

ثالثاً: ليست المخططات الإسرائيلية للقدس حتمية النفاذ أيضاً، وذلك بسبب المشكلة الديمغرافية في «إسرائيل»، سيما تراجع نسبة هجرة يهود العالم إليها، ولعل الحل البديل الذي ابتكرته «إسرائيل» لذلك في السنوات الأخيرة، قد تمثل بطرح مشروع المستوطنين ليوأف غالنت وزير الإســـكان الإسرائيلي الســـابق بنقل 340 ألـــف يهودي من منطقة غوش دان إلى مستعمرات الضـــفة لحـــل مشكلة ضـــائقة الســـكن في منطقة غوش دان (www.alquds – city.com 2017). ولكن هذا الحل لن يرفع عدد ســـكان منطقة حاضرة «القدس الكبرى» إلى ما يُمثل أغلبية يهودية حاسمة على المدى القريب.

ورابعاً: هنالك حالة عدم اليقين المرتبطة بالمشاكل المترتبة عن التكيّف العربي والدولي مع فرض «إسرائيل» لســـيطرتها على القدس بما يشمل من جهة رفض تحويل الضم الزاحف (De Facto Annexation) إلـــى ضـــم قـــانوني حـــسب القانـــون الإسرائيـلي (De Jure Annexation)، ولكن الاكتفاء بالمقابل بالبيانات التي تُدين التوسع الاستيطاني دون فعـــلٍ لتغييره والاكتفاء بدعوة الطرفين لحل القضية تفاوضياً، بدلاً من إنفاذ القانون الـــدولي وقرارات الشرعية الدولية وهو ما تفعله أوروبا، أو التطبيع العربي مع «إسرائيل» والدخول إلى القدس من البوابة الإسرائيلية، أو تقديم الدعم لقضايا إنســـانية وإغاثية في القدس بهدف الابتعاد عن الاصطدام بالسيادة الإسرائيلية على المدينة.

خامساً: الموقف الأمريكي باعتباره العامل الأكثر تأثيراً في مسيرة التسوية التفاوضية كونه الراعي الأســـاسي لها، وكونه من يُساند الموقف الإسرائيلي بشـــأن عاصمة موحدة لها في القدس وصولاً إلى نقل الســـفارة الأمريكية من تل أبيـــب إلى القدس عام 2017. وكونه

في المقابل، القوة التي أوقفت الدعم لوكالة الغوث الدولية وساندت موقف «إسرائيل» لإخراجها أي الوكالة من القدس خلال فترة حكم الرئيس دونالد ترامب، وأوقفت الدعم الأمريكي لأية مشاريع فلسطينية في المدينة. ولم تتغير هذه الممارسات الأمريكية في عهد إدارة جو بايدن اللاحقة، ما عدا وعدها بإعادة الدعم لوكالة الغوث، وبإعادة فتح القنصلية الأمريكية في القدس الشرقية دون تنفيذ حتى ساعة إعداد هذا النص.

عموماً فإن الموقف العربي والدولي لا زال يغض النظر عن الضم الزاحف، ولكنه يقف ضد أي إعلان رسمي للضم بما في ذلك ضم أجزاءٍ جديدةٍ من الضفة إلى القدس رسمياً، ولكن يبقى بعد ذلك قدرة الفلسطينيين على الكفاح وتجنيد شعوب العالم إلى جانبهم هو العامل الحاسم الذي قد يمنع حتمية استكمال تنفيذ المخططات الإسرائيلية في القدس وخارجها. السؤال هو كيف؟ وما هي الخطط والخيارات الفلسطينية التفاوضية وغير التفاوضية بهذا الخصوص؟.

القسم الثالث: البدائل المقترحة والخيارات

يتبين من عرض الخيارات التفاوضية العربية والفلسطينية بشأن القدس منذ زيارة السادات لـ«إسرائيل» عام 1977، أن كل هذه الخيارات قد قُوبلت برفضٍ إسرائيلي لأيّ شمول القدس في ترتيبات المرحلة الانتقالية من أجل منع الإجحاف بنتائج مفاوضات المرحلة النهائية بشأنها. كما أنه حينما تمت مفاوضات المرحلة النهائية بشأن القدس منذ عام 2000 وحتى عام 2014 فقط طرحت «إسرائيل» مطالب تُبقي على سيادتها على المستعمرات التي أقامتها في القدس الشرقية، وتقاسم القدس الشرقية وبلدتها القديمة وحرمها الشريف مع الجانب الفلسطيني، مما جعل من الاستحالة التوصل إلى تسوية بشأن القدس. فقد كان التفاوض بشأنها ممكناً، ولا زال كذلك من وجهة النظر الإسرائيلية، ولكن التسوية بشأنها كانت ولا زالت مستحيلة، طالما عُقدت وفق المعايير والأسس السابقة. يعني ذلك أن المعايير والأسس السابقة بحاجة إلى تغيير قبل أي تفاوض جديد، إذ بدون هذا التغيير لن تكون أي مفاوضات قادمة أكثر من إضاعة للوقت، وإطالة لأمد الوقت المستقطع

الممنوح لـ«إسرائيل» من أجل اســتكمال تهويد المدينة، فيــما تُمارس التفاوض مع الجانب الفلســطيني بوصفه لعبة علاقات عامة تهدف للتغطية عما تُمارسه من تهويد على الأرض، وكأن كل شيء على ما يرام.

إيجاد معادلات جديدة تُغير المعايير والأســس التفاوضية، مــن المقترح العمل على ثلاثة خيارات فلسطينية تصلح سواء فيما تم التوجه إلى حل دولة واحدة على كامل تراب أرض فلســطين التاريخية أو حل دولتين على أساس اقتســام تلك الأرض. **أول**، هذه الخيارات هو خيار لفعل الشــعب الفلسطيني في كل أرجاء الوطن والمنافي والجاليات الفلسطينية في العــالم. و**ثانيها**، يتعلق بالتوجه للعالم العربي والعالم، و**الثالث**، يتعلق بخيار تفاوضي مبني على أُسسٍ جديدةٍ، كما أنه يتم فقط بعد استنفاذ العمل على الخيارين الأول والثاني من أجل خلق معايير وأسس جديدة للمفاوضات بشأن القدس.

في **الخيار الأول** الموجه للشعب الفلسطيني في الوطن والخارج، فإنه في ضوء فشل العملية التفاوضية في التوصل إلى حل ســياسي بشأن القدس، ومن أجل التحرر والاستقلال من خلال عملية تفاوضية مبنية على أُسس جديدة، أو بدونها فإن البديل هو العمل على تثبيت الوجود الفلســطيني في المدينة وبناء السيادة الشعبية من أســفل فيها في مواجهة السيادة الإسرائيلية الفوقية، وذلك على شكل تعزيز اعتماد المجتمعات المحلية المقدسية على ذاتها، وبناء رأســمالها البشري والاجتماعي والاقتصادي والوطني والثقافي، وحماية وجودها في المدينة في مواجهة عمليات الاقتلاع والترحيل، وبدعمٍ من كافة أجزاء الشعب الفلسطيني في كافة أماكن تواجده.

لقد انطلقت سياســات وبرامج تثبيــت الوجود في القدس في ســبعينيات القرن الماضي حيث نقلت اللجنة الأردنية الفلسطينية المشــتركة حينذاك الدعم للقدس وفلسطين من المجال الإغاثي إلى دعم الصمود، وقد فشــلت تلك التجربة لأنها ركزت على مشــاريع خدمية واستهلاكية ولم تدعم بناء مرافق إنتاجية مستدامة (سالم، 1984). وفي الثمانينيات أطلق الفلسطينيون المقدسيون مبادرات ذاتية لتثبيت الوجود الفلسطيني في المدينة وتنمية

اســتقلال هذا الوجود عن الاحتلال واعتماده على الذات بدءاً مــن خطة «هيئة القدس الوطنية» التي طرحها القائد الراحل فيصل الحســيني في 1/ 11/ 1993(حلبي، 2000)، مروراً بالخطط القطاعية التي بدءها بيت الشرق عام 2003، ثم انتقلت إلى وحدة القدس في مكتب الرئاســة ابتداءً من عام 2009 وحتى اليوم، وخطط التنمية المكانية التي طورها برنامج الأمم المتحدة للمســتوطنات البشرية بالتعاون مع وزارة الحكم المحلي، والخطط العنقودية للقدس التي طورتها وزارة شؤون القدس الفلسطينية وخطط محافظة القدس، والخطط المبنية على المجتمع المحلي التي يقوم بتطويرها معهد جامعة القدس للدراســات والأبحــاث، وأخيراً الخطــط المتعلقة بإعادة بناء أمانة القدس وفــق أفضل صيغة تمثيلية وديمقراطيــة كما نصت عليه قــرارات دورة المجلس الوطني ودورتــا المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية التي انعقدت عام 2018 (سالم، 2021، قيد النشر).

تراوحت خطط تثبيت الوجود بين خيار التنمية القطاعية، وخيار تنمية الفئات كالشباب والنســاء، وخيار التنمية المحلية الذي يشملها كما يشــمل قطاعاتها وفئاتها. ومن المقترح تحقيــق التكامل بين هذه الخيارات من خلال تنمية المجتمعــات المحلية، أي التركيز على المقومات التنموية الضرورية لبناء استقلال المجتمعات المحلية المقدسية ومجتمعاتها المدنية وفئاتها ســيما الشباب والنساء وتعزيز اعتمادها على ذاتها، مدعومة من أمانة القدس يجري تشــكيلها بمشاركتها، وتقوم بالتشبيك والتوأمة مع عواصم ومدن عالمية وعربية أخرى. ومدعومة أيضاً من مختلف مرجعيات القدس القائمة فلسطينياً، والتي تعيد تنظيم وتنسيق أعمالها مع بعضها البعض لتحقيق التكامل المطلوب (سالم 2021، قيد النشر).

بناءً على ما تقدم تُوصي الورقة:

الخيار الأول: العمل على تثبيت الوجود الوطني الفلسطيني في القدس وتعزيز السيادة الشعبية في المدينة من خلال فعل متضافر بين المجتمعات المحلية المقدسية ومؤسساتها مســنود من المرجعيات الفلســطينية للقدس والقيادة الفلســطينية وعموم الشعب الفلســطيني في الوطن والخارج، ومن الجامعة العربية والــدول العربية ذات العلاقة

المباشرة بالقدس، سيما الأردن ومصر والمغرب ودول الخليج، ومن منظمة التعاون الإسلامي، وبعض دولها الفاعلة في القدس مثل: تركيا، ودول العالم والأمم المتحدة. وتقوم كل الجاليات الفلسطينية في العالم بالتوحد معاً لإنجازه من خلال كفاحات ذات أوجه ست: سياسية ودبلوماسية، قانونية، اقتصادية وتنموية، كفاحية ميدانية، إعلامية، ومعرفية.

الخيار الثاني، الذي تطرح هذه الورقة إتمامه قبل القيام بأي تفاوض جديد بشأن القدس يتعلق بالتوجه إلى العرب والعالم من أجل إبطال مفعول السياسات الإسرائيلية الممارسة في إطار «الاقداس الثلاثة»، كما تم تفصيله في القسم الثاني، وإبطال السياسات الأمريكية بشأن القدس، سيما السياسات التي أرساها الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب ولم تغيرها إدارة بايدن الحالية والموصوفة أيضاً أعلاه، فاستمرار هذه السياسات لا يُعطي مجالاً سوى لسيادة سياسة الإملاءات على طاولة المفاوضات في حال عقدها، فيما هذه السياسات قائمة. يترتب على ذلك تغيير هذه السياسات قبل الانطلاق نحو أي تفاوضٍ جديد، وذلك من خلال جهدٍ فلسطيني عربي إسلامي منسق ومُوحد بهذا الاتجاه.

الخيار الثالث، يتعلق بمفاوضات على أُسسٍ تم إرساء بعضها سابقاً، وأُخرى جديدة والثبات عليها، وعدم الإسراع في عقد الاتفاقيات سعياً لقطف بعض الثمار الجزئية، حتى لو طالت المفاوضات عقوداً. ومن هذه الأُسس اعتبار أن القدس الخاضعة للتفاوض هي القدس الشرقية والقدس الغربية كليهما، بما يشمل البحث في حقوق وأملاك اللاجئين الفلسطينيين في القدس الغربية وإعادتها والتعويض عن عقود استخدامها. واعتبار القدس المتفاوض عليها ضمن ملف القدس هو بمساحتها كما كانت عليه عام 1967، أي 6 كم مربع، والباقي يتم التفاوض حوله كضفة غربية، ورفض بقاء أي مستوطنات في القدس الشرقية، مع إعادة حصر الحي اليهودي في البلدة القديمة بـ 7 دونمات كما كان عليه الحال قبل عام 1948 وليس 140 دونم،

وهي المساحة التي أُقيم عليها بعد عام 1967، وإيجاد ترتيبات خاصة لليهود الذين يُقيمون فيه ضمن السيادة الفلسطينية، وإعادة بناء حي الشرف الذي هُدم من أجل إقامة الحي اليهودي بعد عام 1967، وإعادة من هُجروا منه إلى مخيم شعفاط إليه، ورفض مفهوم قدس الأقداس والحوض المقدس والسيادة الإسرائيلية على الحرم الشريف أو مشاركة «إسرائيل فيها»، وحصر حائط المبكى بـ 58 متراً من الـ 485 متر التي هي كامل مساحة الحائط الغربي (حائط البراق)، وذلك كما قررت لجنة البراق الملكية البريطانية عام 1929، حيث أعطت اليهود حق الصلاة في حائط المبكى فقط، مع منعهم من إقامة مرافق ثابتة في المكان، حيث اعتبرت الحائط الغربي كله بما فيه حائط المبكى ملكاً حصرياً للمسلمين. إضافة لذلك المطالبة بحق المسلمين والمسيحيين في زيارة الأماكن الإسلامية والمسيحية المقدسة في طبريا والناصرة وسيدنا علي قرب نتانيا وغيرها، أُسوة بمنح اليهود حرية العبادة في حائط المبكى، ورفض أية حفريات إسرائيلية تحت الأقصى، وإبقاء المقبرة اليهودية في جبل الزيتون والجامعة العبرية في جبل المشارف ومستشفى هداسا المجاور لها تحت السيادة الفلسطينية، مع وضع ترتيبات انتقال وحركة اليهود من وإلى هذه الأماكن كما كان عليه الحال أثناء فترة الإدارة الأردنية من 1948 – 1967. على أن تكون القدس الشرقية عاصمة لدولة فلسطين، وتُزال منها كافة المستوطنات الاستعمارية التي أُقيمت بعد عام 1967، وإعادة أراضيها لفلسطينييها الأصليين مع تعويضهم عن السنوات التي أقام اليهود عليها، مع إبقاء الحدود مفتوحة للتنقل بين القدس الشرقية والقدس الغربية لضمان حرية العبادة من جهة، وضمان وصول المقدسيين إلى أملاكهم في القدس الغربية من جهةٍ أُخرى. ويكون من حق لاجئي القدس عام 1948، ونازحي العام 1967، وفاقدي هويتها ومبعديها العودة إليها. وسيكون أساسياً أن يتفق الطرفان على تفسيرٍ لقرار مجلس الأمن 242 على أنه يعني الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي المحتلة عام 1967، وليس من «أراضٍ محتلة»، بدون هكذا اتفاق ستبقى «إسرائيل» تُصر على ضم القدس الشرقية أو أجزاء منها إليها.

ليست أمريكا ولا أوروبا جاهزة لدعم الخيار الثاني بشكلٍ كامل، ولكن تفعيل الخيار الأول هو الكفيل بتغيير المواقف، مما قد يتيح المجال للتحرر أو الانتقال إلى التحرر عبر المفاوضات على أسسٍ جديدة (الخيار الثالث) يخلقها فعل الخيارين الأول والثاني. ولن يكون ممكناً قبول مفاوضات بإشراف أمريكي منفرد، أو في ظل تمسك الإدارة الأمريكية بقرارات إدارة ترامب المجحفة بحق القدس وفلسطين، ولن يكون ممكناً القبول بالعودة للتفاوض على كل شيء من جديد بدون الأخذ بعين الاعتبار النقاط التي تم الاتفاق عليها، والتي باتت ربما تتطلب مؤتمراً دولياً كامل الصلاحيات لتحديد خطة وميكانيزمات تنفيذها بدلاً من إعادة التفاوض عليها، وكذلك التوجه للتحكيم الدولي كما فعلت مصر في قضية طابا، بدلاً من الموقف الأمريكي – الأوروبي الذي يرهن كل شيء بتحقيق الاتفاق التفاوضي بين الطرفين، مما يعني رهن حق الاستقلال الفلسطيني بالفيتو الإسرائيلي عليه، ويُؤدي بالتالي إلى استحالة تحقيق حل.

إلى حين تحقيق تلك الخيارات هنالك أمور انتقالية تتطلب التحقيق مثل: مشاركة المقدسيين في الانتخابات الفلسطينية في الأقصى وكنيسة القيامة، وكما تبين أعلاه فإن ذلك قد تم طرحه في أُوسلو. وكذلك مشاركة نازحيّ القدس عام 1967 في الانتخابات الفلسطينية، وهو أمرٌ طُرح أيضاً في مفاوضات أُوسلو كما يظهر أعلاه، وشمول بلدية القدس (أمانة القدس) في أيّ انتخابات بلدية فلسطينية، وضمان حق المقدسيين بالمشاركة في الانتخابات للمجلس الوطني الفلسطيني، وإعادة نازحيّ القدس وكل الفلسطينيين المُرّحلين عام 1967، ومُعالجة قضايا المبعدين وفاقدي الهويات والبدون، ووقف خضوع إقامة المقدسيين الفلسطينيين في مدينتهم لقانون الجوازات الإسرائيلي الصادر عام 1952، أي قبل 15 عاماً من احتلال «إسرائيل» لهم عام 1967، وإلغاء كل التقييدات والشروط المفروضة على حق إقامة المقدسيين في مدينتهم وكأنهم غرباء وطارئين فيها، حسب فحوى ذلك القانون الذي يعتبر الإسرائيليين على أنهم أصحاب البلاد الأصليون الذين عادوا لفلسطين والقدس بعد ألفيّ عام من الشتات في العالم، وإلغاء قوانين جمع الشمل الظالمة

التي تحرم المقدسيين من حق الإقامة في المدينة، وتغيير قوانين التنظيم والبناء المجحفة، ووقف هدم البيوت المبنية بدون ترخيص، وإلغاء الغرامات المفروضة عليها، وإعادة البيوت والأراضي المصادرة أو المباعة وفق وثائق مزورة أو مطعونٌ فيها، وإعادة فتح بيت الشرق والمؤسسات الفلسطينية في القدس، ووقف وتجميد الاستيطان ووقف تنفيذ مخططات جديدة له في كل الأقداس الثلاث والترحيل في المدينة ومنها، ووقف اقتحامات الأقصى والحفريات في أسفله وتحت حارات سلوان وغيرها، وإلغاء الخطط لتقسيم الأقصى مكانياً وزمانياً، والالتزام بقرارات لجنة البراق عام 1929 بالنسبة للصلاة في حائط المبكى، ووقف عمليات تسمية الحارات المقدسية وأبواب القدس بأسماء عبرية، وكل عمليات تغيير المكان والأقليم والفضاء والمشهد، وإزالة التقسيمات لمناطق / ب و ج/ ضمن / قدس 2/ ، وفتح القدس أمام المسلمين والمسيحيين الفلسطينيين للصلاة والتسوق والاستشفاء فيها بدون قيود. وكذلك منح المقدسيين حرية الحركة والسفر إلى كافة مناطق غزة والضفة، وإلغاء الإغلاق المحكم المفروض على القدس من جميع الجهات، والذي بدأ في آذار 1993 واستمر حتى اليوم، وتشغيل مطارها بإدارة فلسطينية للسفر منها وإليها نحو العالم.

المراجع

– بانوراما (المركز الفلسطيني لتعميم المعلومات البديلة) (1994). من الحكم الذاتي إلى الحكومة الذاتية: وفق التسوية عبر كامب ديفيد – القدس.

– أبو عرفه، خليل (شـــتاء، 2021). «حول المخطط الهيكلي الجزئي المقـــترح لمدينة القدس» ملاحظات أولية». مجلة المقدسية: العدد التاسع ، ص. 39 – 47.

– بيلين، يوسي (1998). عملية الســـلام: أوسلو، وثيقة أبي مازن – بيلين، ووثيقة بيلين – ايتان. نابلس: مركز البحوث والدراسات الفلسطينية.

– الجزيرة (20/ 5/ 2021). «طابا.. كيلو متر واحد أخذ مصر و«إسرائيل» للتحكيم الدولي».

www.aljazeera.net

– حلبي، أســـامة (2000). بلدية القدس العربية (الطبعة الثانية) – القدس: باسيا، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية.

– «رسالة الدعوة السوفيتية – الأمريكية إلى مؤتمر مدريد (18/ 10/ 1991).

www.paljourneys.org

– «رســـالة وزير خارجية «إسرائيل» شـــمعون بيرس لوزير خارجية النرويج يوهان هولســـت». مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد 12، عدد 48، خريف 2001.

– ســـالم، وليد (1/ 9/ 1984). «مقدمات أولية لدراسة مشاريع اللجنة المشتركة». القدس: مجلة العهد، ص.6 – ص.8.

– ســـالم، وليد (2010). «القدس: بين السياســـات الإلحاقية الإسرائيلية والرد الفلسطيني المعاكس» – منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة شؤون القدس. القدس حاضر ومستقبل – القدس. ص. 109 – 139.

– ســـالم، وليد (شـــباط 2018). المواطنة والســـلم الأهلي في القدس الشرقية. القدس: آكت للدراسات والوسائل البديلة لحل النزاعات.

– سالم، وليد (شتاء 2020). «القدس في «صفقة القرن»: تحليل وبدائل» – مجلة المقدسية، العدد الخامس، ص.49 – ص.59.

– سالم، وليد، ورداد، ســـامر (2021: قيد النشر). خطة اســـتراتيجية مبنية على المجتمع المحلي لمحافظة القدس (المرحلة الأولى). القدس: جامعة القدس – معهد القدس للدراسات والأبحاث.

– سـبير، أوري (1998). المسـيرة: حكاية أوسـلو من الألـف إلى الياء – عـمان – دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية.

– الشعيبي، عيسى (1979). الكيانية الفلسـطينية: الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي، 1947 – – 1977 بيروت – مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية.

– عباس، محمود (2011). طريق أوسلو (الطبعة الثانية) – رام الله –دار بيلسان.

– عباس، محمود 2011(2001). المسـيرة السياسـية في الشرق الأوسـط. الطبعة الثانية. رام الله –دار بيلسان.

– عريقات، صائب (كانون أول، 2009). تقرير خاص: الموقف السياسي على ضوء التطورات مع الإدارة الأمريكية والحكومة الإسرائيلية واستمرار انقلاب حماس: التوصيات والخيارات (دراسة رقم 1) – رام الله – منظمة التحرير الفلسطينية، السلطة الوطنية الفلسطينية: دائرة شؤون المفاوضات.

– عريقات، صائب (أيلول 2013). لماذا الموافقة على استئناف مفاوضات الوضع النهائي؟ (دراسة رقم 14). رام الله – منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة شؤون المفاوضات.

– عريقات، صائب (أيلول 2013 – آذار 2014). كيف نتعامل مع الطروحات الأمريكية (دراسـة رقم 15). رام الله – منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة شؤون المفاوضات.

– عريقـات، صائب (آذار – تشرين أول 2014). اليوم التالي: ماذا بعد ؟ (دراسـة رقم 16). رام الله – منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة شؤون المفاوضات.

– غـالي، بطرس، بطـرس (1997). طريق مصر إلى القدس: قصة الصراع من أجل السـلام في الشرق الأوسط – القاهرة –مركز الأهرام للترجمة والنشر.

– غانم، هنيدة وأخرون (2018). «إسرائيل» والأبارتهايد. رام الله – مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية.

– قريع، أحمد (2011). السـلام المعلق (4): القدس أولاً، مداخلات في الـصراع والتجربة التفاوضية حول المدينة المقدسة – بدون دار نشر.

– قريع، أحمد (تشرين ثاني 2008). المفاوضات متعددة الأطراف لعملية السلام، بدايات ملتبسة ونهايات مؤجلة – بيروت – مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

– قريع، أحمد (شـباط، 2006). الرواية الفلسطينية الكاملة للمفاوضات من أوسلو إلى خارطة الطريق (1: مفاوضات أوسلو 1993) – بيروت – مؤسسة الدراسات الفلسطينية .

- لجنة الانتخابات المركزية - فلسطين.

www.elections.ps

- التفكجي، خليل (حزيران 2021). «مشروع الاســتيطان في القدس 5800 لعام 2050». مجلة المجلس الوطني الفلسطيني، السنة السادسة والعشرون، عدد 65. ص. 29 - 31.

- القدس ســيتي (8/ 6/ 2017). «خطط لبناء 67 ألف وحدة اســتيطانية في الضفــة الغربية» .www alquds - city.com

- القواسمي، فراس (2021). المشاريع الاستيطانية الصهيونية في محافظة القدس - استنبول - مركز رؤيه.

- مبادرة جنيف (2010). ملخص مبادرة جنيف وملاحقها - رام الله.

- مركز القدس للإعلام والاتصال (1996). الاتفاقية الإسرائيلية - الفلســطينية المرحلية حول الضفة الغربية وقطاع غزة واشــنطن 28 أيلول 1995. و: وثيقة إعلان المبادئ (أوسلو) حول ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية واشنطن، 13 أيلول - 1993القدس.

- منصور، كميل (ربيع 1993). «نظرة عامة إلى مفاوضات الســلام الفلســطينية - الإسرائيلية وتقويم لها» - مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد 4، عدد 14. ص. 17.

- الموقع الإلكتروني للدكتور سري نسيبة. www.sarinusseibeh.com

- «ورقة غير رســمية بشــأن القدس» (حزيران 2010). عريقات، صائب (تشرين ثاني 2010 - نيسان 2011). الوضع السياسي على ضوء اســتمرار وقف المفاوضات ونجاح الخيارات الفلسطينية. (دراسة رقم 5و 6) - رام الله - منظمة التحرير الفلسطينية، السلطة الوطنية الفلسطينية، دائرة شؤون المفاوضات، ملحق رقم 1.

- نتنياهو، بنيامين (1995). مكان تحت الشــمس - عمان - دار الجليل للنشر والدراســات والأبحاث الفلسطينية.

English Resources

- Emek, Shaveh (2020). «The Santification of the Antiquity Sites in the Jerusalem Section of the Peace for Prosperity Plan «. www.emekshaveh.org

- www.ir.Amim.org.Il

- Los Angeles Times (9 / 8 / 1993). «Palestinian Negotiators Quit, Protest PLO Plan». www.latimes.com

– «Jerusalem 2050 plan». www.jerusalem5800.com

– Two States, One Homeland. www.alandforall.org

– Ravid, Barak. «Point of Departure?» (July, 2014). In Haaretz Special Magazine for the Conference on Peace.

– «Road Map for Peace in the Middle East: Israeli /Palestinian Reciprocal Actions» (July,16,2003).

http: / /2001 – 2009.state.gov

– The White House (281 / / 2020). «Peace for Prosperity: A Vision to Improve the Lives of the Palestinian and the Israeli Peoples». www.whitehouse.gov

– Times of Israel (222017 /3 /). «Dramatic Ruling Paving Way for Thousands of Jerusalemites to Regain Residency Rights».

الواقع والممكن في حماية التعليم في القدس نحو سياسات تربوية وطنية مستدامة

تحسين يقين

توطئة:

ما زالت اليونسكو كمنظمة أممية سنوياً تتحدث عن انتهاكات دولة الاحتلال للتعليم في مدينة القدس، وهي التي التزمت بإبقاء الحال بالقدس، للمرحلة النهائية من ما سُمّي بمفاوضات الحل النهائي. ولعل الانتهاكات في مجال التعليم مرتبطة بشكلٍ وثيقٍ بانتهاكات الاحتلال أصلاً للمدينة. وبالرغم من هذه الإجراءات، فما زال العامل الذاتي: الوطني والقومي والديني والثقافي، يُقاوم من أجل البقاء. في هذا الوقت، فإن جميع الشركاء الوطنيين، والدوليين، معنيون بالتعاون في هذا المجال الحيوي والإنساني. إضافةً لذلك، فإن الجهد الأهلي والشعبي سيكون لربما العامل الأقوى؛ فجزءٌ من هذه الدراسة يعتمد على لقاءات تربويين وأهالي.

في هذا المقال البحثي سنتناول:

- **السياسة الإسرائيلية تجاه الضفة والقدس تحديداً منذ عام 1967.**

- **سياق تاريخي حول التربية والتعليم.**
- **واقع التعليم في القدس.**
- **أثر اختلاف النظم التعليمية على الهوية الفلسطينية في القدس.**
- **السياسات الممكنة في التربية على الهوية.**
- **نحو سياسات تربوية وطنية مستدامة.**

أولاً: السياسة الإسرائيلية تجاه الضفة والقدس تحديداً منذ عام 1967

ونحن بصـــدد التربية والتعليم والثقافـــة في القدس، ينبغي علينا التعرف على الســـياق التاريخي للقدس في ظل العامل الكولينيالي.

«في عـــام 1967، تباين الفكر الإسرائيـــلي تجاه أراضي الضفة وغـــزة، فمن الإسرائيليين مـــن اعتبر احتلال هـــذه الأرض تحريراً لأرض «إسرائيل» وبالتـــالي فهي أصبحت ملكاً لهم يتصرفون بها كيفما شـــاءوا، ومنهم من نظر ببعض زوايـــا النظرة القانونية الدولية بأن هـــذه أرض محتلة، ورغم ذلـــك فإن أصحاب هذه النظرة لم يمنعوا أنفســـهم من التفكير بالاســـتيلاء على أراضٍ كبيرة منها، ولولا وجود السكان الأصليين لما حصل هذا التباين، ولاعتبروها محررة».[1]

«منذ الأيام الأولى للاحتلال الإسرائيلي طُرح موقفان إداريان في التركيبة المناسبة للحكم العســـكري، وهل يفضل قيادة موحدة تهتم بالمسائل الأمنية العسكرية والمدنية، أو فصل هذين المجالين إلى قيادتين مختلفتين: الأولى للمسائل المدنية والثانية تهتم بالقضايا العسكرية الأمنية»، والتفكير الإشكالي في هذه الإدارة يدل على أن التردد يعود «إلى النظرة بعيدة المدى حـــول الوضع النهائي الذي يربط الأرض المحتلة بـ«إسرائيل» من نواحٍ معينة، وبالأردن من نواحٍ أُخرى. لذلك فقد شكلت إدارة للمناطق (حسب المصطلحات الإسرائيلية) في الوقت الذي ربطت أقســـام هذه الإدارة بالوزارات الحكومية في القدس بواسطة ضابط إسرائيلي كان جزءاً لا يتجزأ من الإدارة المدنية الإسرائيلية».[2]

وقبل حرب حزيران عام 1967م بست سنوات، نشر المدعي العسكري الرئيس كتاب توجيه بعنوان «صلاحيات الجيش في منطقة محتلة»، وتضمن الكتاب نصوص ميثاق جنيف ودراسة المشاكل المختلفة المطلوب من الجيش مواجهتها في المناطق المحتلة[3] (كانوا شبه متأكدين بإحراز نصر 67 على العرب)، وبدراسة تلك التوجهات نستنتج أن الإسرائيليين رغم أطماعهم الاستيطانية في الأرض المحتلة قبل 67 وبعدها، لم يكونوا ينوون بأية حالة من الحالات ضم الأرض المحتلة، والسبب الرئيس هم السكان وحرص «إسرائيل» على نقاء الدولة العبرية.

وقد اعتمدت «إسرائيل» مبدأين وجها سياسة السلطات المحتلة (القادمة)، أيّ في اعتبار ما سوف يكون باعتبار هذا الكلام كان في عام 1961م، وهما من وجهة نظر قانونية:

- تخضع المنطقة المحتلة للقانونين الدولي والعسكري، وذلك على عكس منطقة «إسرائيل» الخاضعة للقانون الإسرائيلي.
- صلاحية السلطات العسكرية مستمدة من الأوامر الصادرة عن القائد العسكري بعد تشكيل السلطات العسكرية.[4]

فماذا يعني الخضوع للقانونين الدولي والعسكري؟، إن ذلك يعني بدرجة ما، تفكير «إسرائيل» بالانسحاب من أجزاءٍ من الأراضي (إن شئت صفها بالأراضي المأهولة بالسكان) كما يعني توظيف العامل العسكري (عامل القوة والحكم) في خدمة الاستيطان وتهويد القدس.

تعاملت «إسرائيل» مع القدس تعاملها مع بقية الأرض المحتلة، من حيث فرض الأمر الواقع، ومن حيث السيطرة عليها، كما مالت إلى منح الحكم الذاتي الموسع للسكان الفلسطينيين في الضفة وغزة، لأنها أرادت سيطرة كاملة على المدينة المقدسة مع إعطاء الأحياء العربية ما يُشبه الإدارة الذاتية والبلدية ليس عندها مانع بربط تلك الأحياء بمناطق الحكم الذاتي (الدولة مستقبلاً). وقد عملت حكومات «إسرائيل» طويلاً

لفرض هذا الأمـــر الواقع وما زالت، بمعنى آخر أن «إسرائيل» تتحدث عن نِســـبٍ من الضفة الغربية تصل إلى 92 %، لكنها لا تتحدث عن نســـبة 1 % بالنسبة للقدس. (تغير ذلك نسبياً بعد «كامب ديفيد2»، ثم تغير أكثر باتجاه ضم القدس في السنوات الأخيرة مع سيطرة اليمين والمستوطنين على الحكومات المتعاقبة).

ويبدو أن هذا التغيّر كان سياســـة إسرائيلية، حيث يذكر شـــلومو غازيت في كتابه حول السياســـية الإسرائيلية في الضفة الغربيـــة وقطاع غزة مـــن 1967 – 1997م أن حكومة الوحـــدة الوطنية في «إسرائيل» التي شُـــكلت قبل حرب 1967م بعـــدة أيام، كان عندها اتفاقٌ على حالة واحدة هي «خلـــق وجود يهودي مكثف في القدس الشرقية التي ضُمت إلى «إسرائيل»، ولعدم علمهم بموعد المفاوضات السياســـية عملوا بسرعة من أجل بناء أحياءٍ يهودية قبل طرح مشاريع دولية تُؤدي إلى تقسيم المدينة مرة أخرى».[5]

ثانياً: سياق تاريخي حول التربية والتعليم

يأتي تشـــتت النظام التربوي والتعليمي في القدس، في ســـياق حالة من التشـــتت العامة لشـــعبنا تبعاً لأماكن وجوده ولجوئه؛ حيث يُطبق على الطلبة الفلسطينيين نظم التعليم في أماكن تواجده، وباســـتثناء السيادة التعليمية في الضفة الغربية، عدا القدس، وقطاع غزة، فإن الطلبة يتعرضون لنظمٍ غير فلســـطينية، خصوصـــاً الطلبة اللاجئين، في حين تتحكم السلطات الإسرائيلية بالتربية والتعليم داخل فلسطين المحتلة منذ عام 1948.

من هذا المنطلق، يُمكننا قراءة التعليم في القدس، والأخطار التي تتهدده؛ حيث تسعى سلطات الاحتلال من خلال ما يُســـمى بـ«بلدية القدس» إلى فرض ولايتها ومناهجها وفلسفتها، بل والتخطيط التربوي باتجاه خلق مخرجات تربوية تستجيب لسوق العمل الإسرائيلي.

وبالرغم من أهمية تعدد المرجعيات التربوية لأي شـــعب، في إحداث تنوع فكري وثقافي، إلا أن ذلك لا ينطبق على الحالة المقدســـية بشـــكلٍ خاص، وفلسطين بشكل عام؛ بسبب الانتقاص من الهوية الوطنية، التي تُشكّل أحد حدود وفضاءات التعليم.

وهـذا يقودنا تاريخياً إلى الحالـة الطبيعية للتنوع الثقافي العـام في القدس كمكانٍ تعددي حضارياً ودينياً، حيث وجدت على مدار التاريخ مدارس تشـابهت واختلفت كفسيفساء تعليمية وثقافية، لكن اختلافها منحها حيوية وتعددية أدت إلى حراكٍ فكري، حيث لم تقم أية جهة بمحاولة فرض مناهج معينة، بل تركت ذلك لاختيارات المدارس والمنتسبين لها.

في حالة القدس المحتلـة، فإن تعرض ثلاثة أرباع المدينة للاحتـلال عام 1948، قد دفع بسـلطات الاحتلال إلى نفي الوجود الفلسـطيني في النظام التربوي الذي كان سائداً من قبل، والاقتصار على الوجود اليهودي – الإسرائيلي، انسجاماً مع حالة نفي الفلسطينيين خارج حيزهم الخاص، من خلال التهجير المنظم، فيما بقيَّ هامش محدود (للوجود العربي) لفلسـطينيي عام 1948، باعتبارهم أقلية قومية، لا شـعب فلسـطيني. علماً أن السياسة التربوية الكولينيالية الإنجليزية في فلسطين المحتلة قبل عام 1948، كان يتم التحكم فيها من قِبَل المسؤولين التربويين اليهود بشكلٍ لافتٍ، وقد كانت ممهدة لهذه السيطرة.

أما وقوع القدس بشكلٍ خاصٍ والضفة الغربية وقطاع غزة تحت الاحتلال الإسرائيلي عام 1967، فقد كانت له تجلّياتٌ أُخرى، اختلفت عن حالة فلسـطيني عام 1948، وفيما بعد صار لواقع التعليم المقدسي أحـوالٌ خاصةٌ، لا تقف عند اختلاف المرجعيات، بل تنحى نحو الأسرلة، والتي صارت تأخذ مداها في العقد الأخير.

إن التفكير المهني والوطني في فلسـفة التعليم العام، يعنـي أن الهدف هو الاطمئنان على تعرّض جميع الطلبة لمناهج وطنية واحدة، تجمعهم على الهوية والثقافة، باعتبارهم مواطنين مستقبليين، يتطلب عيشهم وجود عقد ثقافي فكري يجمعهم.

ففي الحالة المقدسـية، فإن هدف الاحتلال هو تسريع حالة التشظي الفكري، والاغتراب في الزمـان والمكان، حين يتم نفي حدود الإنسـان/ المواطن مكانياً وزمانياً؛ حيث تكون التربية على المـكان وطنياً والتربية على الزمان ضمانات ثابتة وإسـتراتيجية في التربية على الهوية الوطنية.

ونعني بالاغتراب المكاني بشكلٍ دقيق أن يعيش الطفل/ الفتى في مكان لا يعرفه، فيصبح غريباً عنه، كونه أصبح ليس من بنية فكر ونفسية الإنسان، ولا من سلوكه. أما الاغتراب الزمني فهو عيشه خارج المجتمع، كأن يكون عيشه على هامش المجتمع، مما يدفعه للبحث عن أزمنة أخرى ماضوية للجوء إليها.

وأكثر ما تتجلى فلسفة التعليم في المناهج المطبقة، ممثلة بشكلٍ أساسي بالكتب المدرسية، إضافة للعناصر الأخرى.

بالرغم من إيجابية التنوع والتعدد، إلا أنها لا تنطبق على الحالة المقدسية، فقد استتبع تعدد المرجعيات السياسية في القدس وجود أنواعٍ من المناهج، تتجه نحو التناقض مما يُسهم في إبعاد الناس عن بعضهم.

فيما يخص المنهاج الوطني فقد أصبح محدوداً في المدارس التي تتبع وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، ممثلة بمدارس الأوقاف ومدارس الأونروا، والمدارس الخاصة، ثم تم تفريغه من البعد الوطني في مدارس ما يُسمى ببلدية الاحتلال، فصار كتاباً محرّفاً عن الكتاب الأصلي. في حين تم إقرار وتطبيق المناهج الإسرائيلية التي تتضمن كتب المدنيات التي ترسخ المواطنة الإسرائيلية، على عدد من المدارس. (حوالي 2000 طالب)، ضمن 5 مدارس، في شعب منتقاة، يعمل الإسرائيليون اليوم على توسيعها[6]. أي أن هناك مسارين في عدد من المدارس، الأول وهو الذي كان سائداً مع تعديل في المناهج، والثاني، وهو الذي يتقدم الطلبة في آخره لشهادة ما يُسمى بالبجروت. ومثال تواجد هذا النظام مدرسة ابن خلدون. إضافة إلى أن المسار التعليمي الإسرائيلي يقوم بعملية تطبيع ذكية، بتنظيم تجوالات وزياراتٍ لمتاحف إسرائيلية وحدائق توراتية وحضور مباريات رياضية لفرق إسرائيلية. معروف أن 50 % من طلبة القدس هم خارج النظام الوطني الفلسطيني. لذلك فإن العمل هو على نصف الطلبة.

ثالثا: واقع التعليم في القدس

في إطار اهتمام المؤسسة الفلسطينية للتمكين والتنمية المحلية – REFORM بتعزيز الهوية الفلسطينية للمواطن الفلسطيني في القدس، وإعادة بناء الجسور بين المقدسيين ومحيطهم

الثقافي والاجتماعي، والوقوف عند المعيقات التي تحول دون تحقيق هذا الهدف، والضغط لإيجاد نظم مســتجيبة لحاجاتهم، وإعادة تعزيز الموروث الثقافي والاجتماعي الفلسطيني، وتعزيز شراكة الشباب والمرأة في الحياة السياســية الفلسطينية خاصة في القدس، وإعادة إحياء الهوية الفلسطينية الجامعة؛ فقد نفذت المؤسسة الفلسطينية للتمكين والتنمية المحلية – REFORM عدد من لقاءات الطاولة المستديرة بعنوان: «واقع التعليم في القدس وأثره على الهوية الفلسطينية»، بمشاركة عدد من ممثلين تابعين لمديرية التربية والتعليم في محافظة القدس، ومجلس اتحاد أولياء الأمور، والائتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في القدس، وعدد من الناشطين المجتمعيين، والمثقفين المقدسيين وعدد من المدارس العاملة في القدس، منها: مدرســة ذكور القدس، ومدرسة الرام الثانوية للبنين، ومدرسة الإيمان الثانوية.

ويــأتي هذا الجهد في إطــار البحث في واقع التعليــم في مدينة القدس وأثــره على الهوية الفلســطينية، وتطوير تصور للحلول الممكنة باتجاه تطوير النظام التعليمي، سعياً لمناهضة عزلة مدينة القدس، وتعزيز التناغم المجتمعي داخلها.[7]

وبمشاركة الباحث وإدارته لندوتين، فقد تم تشخيص الواقع، واقتراح سياسات لمناهضة الخطط الإسرائيلية، حيث تُشكل البنود الأربعة التالية فكر التربويين/ ات المقدسيين/ ات أنفسهم، أي أنه بحثٌ على القاعدة كيف ترى الحال والحلول.

الحال: يُعاني الواقع التربوي والتعليمي في القدس من حالة تشــتت عام، حيث يطبق على الطلبة الفلسطينيين في مدينة القدس عدد من الأنظمة التعليمية ذات مرجعيات مختلفة.

لقد ســيطرت «إسرائيل» على المدارس الحكومية، باعتبار أن الحكومات، ومنها حكومة الاحتلال، تــرث بعضها، في حين تركت المدارس الخاصة ومــدارس وكالة الغوث على حالهــا، أما بقية المدارس، ونعني بها مدارس الأوقــاف الأردنية، فقد عاملتها «إسرائيل» بشكل مختلف، بسبب إدارة الحكومة الأردنية للأوقاف وما تبعها من مدارس، وقد ترسّخ الحال بعد اتفاقية الســلام بين المملكة الأردنية الهاشمية و«إسرائيل»، التي تبعت «اتفاقية

أوســـلو»، حيث ساهم التفاهم الفلســـطيني – الأردني في إدارة تلك المدارس من خلال وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية.

وعليه؛ فان الواقع التربوي والتعليمي في القدس يأخذ شـــكلاً معقداً من حيث التبعية، والمنهاج التربوي والتعليمي، والبنى التحتية، وهو يُعاني من عدة جوانب تربوية منها:

- محدودية البرامج اللامنهجية

تُعتـــبر البرامج التربوية والتعليمية اللامنهجية جزءاً أصيلاً في العملية التربوية الكلية، إلا أن محدودية الموارد المالية وغياب إســـتراتيجية تعليميـــة تكاملية، وتعدد أصحاب الولايـــة على العمليـــة التعليمية يجعل مـــدارس القدس تفتقر للأنشـــطة اللامنهجية والتعليم المساند.

- محدودية المساحات التفاعلية بين الطلبة المقدسيين

في ظل اســـتلاب الحيّز العام، وتجـــاوز التضييق على الفضاءات الخاصـــة إلى الفضاءات التعليمية، فإن فُرص تعرف الطلاب المقدسيين على بعضهم البعض، والتفاعل الإيجابي في أُطرٍ منظمةٍ، تُصبح محدودة، حيث أن ضيق المســـاحات فيزيقياً يُؤدي إلى الضيق الفكري. ينطبق ذلـــك داخل الصفوف المكتظة، وداخل ســـاحات الملاعـــب والمرافق. وبدلاً من التفاعـــل الذي ينعكس إيجاباً على العملية التربوية، فـــإن الحيّز العام الضيق يخلق التدافع والتنافر.

- تغييب قدرات الطلبة ومهاراتهم

من الطبيعي وجود تفاوت في قدرات الطلبـــة، الذي يُؤثر على علاقته بالمجتمع، ومن ثم بعد تخرجه على الانضمام إما لسوق العمل وإما لمتابعة التعليم العالي، لكن من غير الطبيعي كما في الحالة المقدســـية، أن تحدد نوعية المدارس التي يلتحق بها الطلبة مصيرهم، لا لذنب ســـوى كونهم مقدسيين يتم السطو على انسجامهم بهدف اغترابهم؛ ففي ظل ذلك تصبح نوعية المدارس ومرجعياتها هي المؤثر على فرص تطور الخريجين، ومســـتوى دخولهم، لا

الطاقــات والقدرات والمهارات؛ مما يؤدي إلى خلخلة الانســجام الاجتماعي وصولاً إلى تكوين مجتمع طبقي.

محدودية النهوض التربوي العام

تعدد جهات الإشراف والنظم التعليمية ينعكس ســلباً عــلى توحيد الجهود ويعيق تبني إســتراتيجية موحدة حكيمة وواضحة المعالم تنهض بقطاع التربيــة والتعليم في القدس المحتلة. (الجدول الإحصائي من دراسة أعدتها وزارة التربية والتعليم عام 2012).

توزيع الطلبة على الجهات المشرفة المتعددة في المدينة المقدسة[8]

الجهة المشرفة	عدد المدارس	عدد الطلبة	نسبة الطلبة	عدد الشعب
الأوقاف	38	12338	15,24	480
المدارس الخاصة	66	22438	27,71	888
المعارف والبلدية	50	38785	47,90	1240
مــدارس معــترف فيها (شبه حكومية)	13	4714	5,82	174
الوكالة	8	2697	3,33	98
المجموع	**175**	**80972**	**100**	**2880**

- الآثار النفسية المترتبة لتردي البنى التحتية

إن لــتردي البنى التحتية وعــدم ملاءمتها للشروط الصحية داخــل القدس وعدم توفر الباحات المناســبة، والغرف الصفية المكتظة، ومحدودية المرافق، كالمختبرات، والمكتبات، أثراً نفســياً كبيراً على الطلاب ينعكس بشكلٍ مباشرٍ في قدرتهم على التحصيل. من ناحية اجتماعيــة، فإن لذلك أثراً في تكريس الطبقية بين المكونــات المجتمعية المختلفة، وتعميق للتباين بين الطلاب على أساس القدرات المالية للأسر.

- عدم القدرة على رصد ظاهرة التسرب

تُعتبر ظاهرة تسرب الطلبة من المدارس من أكبر المشاكل التي يُواجهها القطاع التعليمي، وتزداد قضية التسرب المدرسي وتداعياتها الاجتماعية تعقيداً في القدس؛ فتعدد المرجعيات والسلطات التربوية في المدينة المقدسة (إسرائيلية، حكومية فلسطينية، خاصة، ووكالة غوث إضافة إلى الشركات الخاصة)، والوضع السياسي والأمني في المدينة وسعي بلدية الاحتلال لأسرلة الأجهزة الخدماتية بما فيها المدارس، كلها تُشكل عوامل إضافية ضاغطة تُؤثر في نسب التسرب من ناحية، ومحدودية الوقاية منها ومعالجتها من الناحية الأخرى.

ومن ناحية أخرى فإن القدرة على التحقق من نسب التسرب والحصول على معلومات دقيقة بهذا الشأن تزداد صعوبة تبعاً لتعدد الجهات الإشرافية على النظم التعليمية، كما يصعب بذلك تحديد دوافع تلك الظاهرة وبالتالي استحالة معالجتها. ورغم ذلك فإن الدراسات التقديرية تُشير إلى وجود نسبٍ مرتفعة من التسرب، حيث أشارت دراسة أجراها ملتقى الفكر العربي عام 2012 أن نسبة التسرب من المدارس في المدينة المقدسة بلغت 29 %، وهنا تجدر الإشارة إلى ماهية إدماج هذه الأعداد في المجتمع، وآليات مكافحة التسرب، في ظل غياب تشخيصٍ دقيقٍ عن دوافع هذه الظاهرة، وارتباطات هذا التسرب وانعكاسه على الهوية الفلسطينية الجامعة، حيث يعتقد معظم الباحثين في هذا الشأن أن التسرب يحدث في غالبه نتيجة لسوء الأوضاع الاقتصادية، ورغبة من الطلاب في تحسين مدخولات عائلاتهم، وبالتالي انضمام البعض إلى سوق العمل الإسرائيلي.

- محدودية فرص التعليم المهني وخاصةً للفتيات

كان لاختلاف النظم التعليمية في القدس أثر كبير على ندرة التخصصات المهنية وانحسارها لفئة محددة، حيث تتوافر للطلبة الإسرائيليين فرص التعليم المهني وكل ما يلزم من مدارس وتجهيزات فنية، بينما يعاني الطلبة الفلسطينيون في القدس من عدم توافر

ذلك، إذ عملت سلطات الاحتلال على تجميد أي تطوير على المدارس وإدخال التعليم المهني لها، وبالتالي يتحول الطلبة العرب المهنيون إلى عمال غير مهرة مصيرهم سوق العمل الإسرائيلي، كما يجدر الإشارة الى عدم توفر جو آمن للتعليم المهني أدى إلى عدم اتجاه الفتيات بشكلٍ خاصٍ إلى هذا القطاع، علماً بأن مصلحة المجتمع تكمن بالتوجه إلى التعليم المهني لضروريات التنمية المجتمعية الشاملة.

- اختلاف التعليمات والعطل المدرسية

يؤدي اختلاف التعليمات في أيام العطل وأيام الدراسة وساعتها إلى حدوث إرباكٍ عند الأسر الفلسطينية، حيث يتم تعطيل مدارس البلدية والمعارف الإسرائيلية في الأعياد اليهودية، مما يربك الأهالي خاصةً الأسر التي يدرس أبناؤها في مدارس تتبع لجهات إشرافية مختلفة.

عدا عن اختلاف سن القبول خاصة بين البلدية ومدارس المديرية والمدارس الخاصة، حيث أن سن القبول في الصف الأول مختلف من مدرسة إلى أخرى.[9]

الجهة المشرفة	سن القبول
مدارس مديرية التربية والتعليم	02, 07 من سنة القبول (2003)
المدارس الخاصة	04, 14 من سنة القبول (2003)
مدارس البلدية والمعارف الإسرائيلية	12, 25 من السنة السابقة مباشرة لسنة القبول
مدارس وكالة الغوث	01, 31 من سنة القبول (2003)

رابعاً: أثر اختلاف النظم التعليمية على الهوية الفلسطينية في القدس

التربية على الهوية الوطنية:

ونقصد بها تربوياً وحقوقياً ووطنياً وقومياً وإنسانياً، هي تعليم الطلبة ضمن سياقهم المكاني والثقافي والحضاري، من حيث الانتماء الثقافي والديني والتاريخي واللغوي والسكاني والمكاني (الحيز الفيزيقي)، من منطلق حقهم في التعلم ضمن سياقهم حتى لا

يغتربوا عنه. فليس المقصود هو التربية على الشعار السياسي ولا التربية الفئوية. فالذي نهدف إليه هو التأصيل الوطني والقومي والإسلامي –المسيحي من خلال التربية على المكان والزمان، وليس تسييس المدارس.

الموروث الثقافي: كل ما له علاقة بتراث الشعب الفلسطيني عبر الحقب التاريخية المختلفة، والتي صارت جزءاً من التكوين النفسي والاجتماعي والوطني والثقافي للفلسطينيين. وهو الجزء الأكثر تمييزاً للهوية الوطنية.

هوية فلسطينية جامعة: نقصد بها ما أجمع عليه الفلسطينيون من مكونات الهوية، ومنها الإجماع على التعددية والتنوع الثقافي والديني. وهو ما يجمع الفلسطينيين ويميزهم عن غيرهم من الشعوب، وهي هوية وطنية داخل الهوية القومية. ولا يعني بها إقصاء عناصر الهوية الأخرى.

بعد هذا التعريفات، يمكن تلخيص أثر اختلاف النظم التعليمية على الهوية الفلسطينية في القدس في المحاور التالية:

أسرلة التعليم في القدس

تسعى السلطات الإسرائيلية إلى جر البساط من تحت أرجل الفلسطينيين حكومة ومعارف في المجال التربوي، كمقدمة لحراك سياسي غير وطني، عبر تفريغ الطلبة وطنياً واجتماعياً وحكومياً، ودمجهم خارج مجتمعهم، ولكن بشكلٍ هامشي يتم توظيف السكان من أجل تحقيق الغايات التنموية الإسرائيلية، وخلق مخرجات تُلبي حاجة سوق العمل الإسرائيلية، حيث يتم تشجيع التعليم المهني والتقني – الصناعي، أكثر من التخصصات الأكاديمية، لضمان نفي الفلسطينيين المقدسيين تحديداً عن تاريخهم، وطمس وعيهم القومي الذي يمكن أن ينشأ ويتطور من خلال التعليم العالي خصوصاً في العلوم الإنسانية.

لذلك لا بد من فهم السياق الحياتي للطفل/ ة المقدسي والذي يتمثل في: عمل الكبار في

«إسرائيل»، وتحكم الإسرائيليين في حركة الناس، والتفوق التكنولوجي، الفضاء البصري المنسجم مع الخطاب الكولينيالي، وأوضاع المدارس الصعبة، حيث تُؤثر هذه العوامل على شخصية المتعلم سلبياً في مجال الانتماء.

كما أسلفنا، على الرغم من أهمية تنوع النظم التعليمية، وما يخلقه ذلك التنوع من تنوع ثقافي وفكري، إلا أن ذلك – لا ينطبق على الحالة المقدسية بشكلٍ خاصٍ، وفلسطين بشكلٍ عامٍ؛ حيث تضارب الفلســفات الكامنة وراء ذلك التنوع، ووجود الاحتلال ومساعيه لإفراغ النظم التعليمية من إطارها الوطني الفلسطيني – ينعكس بشكلٍ مباشر على واقع العلاقة بين المكونات الفلسطينية المختلفة، والتناغم الاجتماعي، والقيم الجامعة.

هذا وقد هدفت ســلطة الاحتلال في هــذا التوجه إلى طمس الهوية الفلســطينية وإفراغ الجيل الناشئ من الهوية الوطنية، حيث عملت سلطة الاحتلال على إقرار وتطبيق المناهج الإسرائيليــة التي تتضمن كتب المدنيات التي تُرســخ المواطنــة الإسرائيلية على عددٍ من المدارس، والبالغ عدد طلبتها حوالي، (2000 طالب)، ضمن خمس مدارس منتقاة، يعمل الإسرائيليون اليوم على تعميم تلك التجربة.

بالإضافة إلى مسعاها على مدار عقود طويلة إلى تشويه وتحريف المنهاج الفلسطيني، وحذف كل مــا يتعلق بالإطار الوطني منه، وفرض نظام تعليمــي إسرائيلي في المدارس التي قامت بتأسيسها، والتي تعُرف بمدارس البلدية والمعارف الإسرائيلية، ما يتهدد الهوية الفلسطينية الجامعة، ويُنذر بتقسيم المجتمع الفلسطيني إلى طبقاتٍ متضاربة الوعي الوطني.

إلغاء مباحث وفصول ذات ارتباط بالتربية الوطنية

عدم الالتــزام في المنهاج من قِبَل المعارف والبلدية، ســواء بحذف مباحث مثل: التربيــة الوطنيــة والمدنية أو حذف فصول دراســية، يؤدي ذلــك إلى الإخلال بالأهداف العامة للتربية الوطنية الفلسطينية.

اغتراب الطلبة

إن توسيع الفجوات القائمة بين الطلبة المنضوين لأنظمة تعليمية مختلفة، بل ومتناقضة أحياناً، يُعزز من فرص الاغتراب المجتمعي، وغياب جمعية الهوية.

عدم المشاركة في الفعاليات الوطنية لبعض المدارس

إن لتعدد النظم التعليمية في القدس أثرٌ كبيرٌ على التقويم الوطني في كثيرٍ من المدارس، ما اضطر بعض هذه المدارس إلى انتهاج سياسات وإجراءات مختلفة تصل بعضها إلى إلغاء الفعاليات الوطنية ومنع الطلاب من إحيائها، وهذا يتركز جلياً في مدارس البلدية والمعارف، حيث تقوم بمنع الطلاب من المشاركة الفعلية في أنشطة فلسطينية موحدة لأبناء المدينة سواء كانت رياضية أو ثقافية، أو فنية أو فلكلورية أو تطوعية، مما يُعقد موضوع الانتماء الوطني، ويضع عبئاً على الأهل – الذي ليس الكل بمقدوره – باتجاه العمل مع أطفالهم لتعويض ذلك.

خامساً: السياسات الممكنة في التربية على الهوية

التعليم ضمان حماية تراثنا ومقدساتنا وتاريخنا:

ولأجل أن تقوم التربية كوسيلة مهمة في التربية على الثقافة والتراث، فقد ظهرت مقترحات لسياسات ممكنة للعمل الوطني من خلال ورش العمل التي عُقدت تحت عنوان «واقع التعليم في مدينة القدس وأثره على الهوية الفلسطينية» بمبادرة المؤسسة الفلسطينية للتمكين والتنمية المحلية– REFORM، والتي كانت مخرجاتها على النحو التالي، حيث تمحورت في:

- **دور المعلمين/ ات**: رصد وجود القدس وفلسطين في كتب التعليم العام، وعمل دليل مساعد للمعلمين في توعية الطلبة في كل ما له علاقة بالقدس بشكلٍ خاص وفلسطين بشكلٍ عام، خصوصاً في ظل قيام سلطات الاحتلال بفلترة كتبنا من البعد

الوطني. ويجدر الانتباه هنا إلى إشكالية الدور الوطني للمعلمين المقدسيين خصوصاً في مدارس المعارف وتخوفهم من الفصل على الخلفية الوطنية من قِبَل السلطات الإسرائيلية.

- إن تطوير المناهج الفلسطينية، وبالتالي مدارس القدس سيجذب الطلبة نحوها.

- **تحويل المدارس الأهلية إلى مراكز ونوادٍ مجتمعية** يرتادها طلبة المدارس والطلبة من المجتمع المجاور.

- **الإعلام**: عمل اسكتشات مسرحية، تُقدم ضمن المسرح الجوال.

- **استخدام دور العبادة في التنوير الثقافي**

- **تزويد الأهالي بنشرات توعوية**، منها ما له علاقة بالحد من الانتساب لنظام البجروت.

- استغلال إيجابي لمواقع التواصل الاجتماعي في التربية الوطنية.

- استغلال برامج منظمات **المجتمع المدني** باتجاهات لها علاقة بالأولويات الوطنية في القدس، والتأكيد على التربية على الموروث الثقافي جنباً إلى جنب مع قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان وغيرها.

- تطوير تجوال الطلبة في المدينة والمحافظة.

- **تشجيع أولياء الأمور** على تثقيف الأطفال، واصطحابهم إلى الأماكن التاريخية والدينية والطبيعية، وعدم الاقتصار على المسجد الأقصى، كي تكون القدس والمحافظة والوطن بشكلٍ عام مكاناً ملموساً لهم. كما يُمكن استغلال القانون الذي يمنح أولياء الأمور فيما يخص (مدارس المعارف) باختيار 25 % المادة التعليمية، والتي يُمكن إدخال الجوانب الحضارية الخاصة بالقدس.

- العمل الوطني تربوياً بين الطلبة ممثلين بمجالس الطلبة، والمعلمين، وأولياء الأمور.

- استهداف طلبة مدارس المعارف في التوعية الوطنية.

والجامع بين تلك الاقتراحات هو استجابتها نحو حاجات الطلبة، بالتأكيد على حساسيتها لهذه الفئة العمرية.

سادساً: نحو سياسات تربوية وطنية مستدامة

إن انعكاس تشتت النظم التعليمية على الهوية الفلسطينية الجامعة في مدينة القدس، يُشكل خطراً كبيراً في ظل الممارسات الإسرائيلية الهادفة إلى أسرلة المدينة بكل مكوناتها، سيما الثقافية، وعليه فقد خلص المشاركون إلى أهمية تطوير برامج تعليمية تكميلية (لا منهجية) قادرة على توفير مساحات تفاعلية، للطلبة المقدسيين، وتحسين واقع انخراطهم في نشاطاتٍ تُعزز الهوية الفلسطينية على أسس مختلفة وعليه؛ فإن وزارة التربية والتعليم، سيما دوائر النشاطات التربوية مطالبة بتعظيم جهدها لتصميم برامج تعليمية لا منهجية تُعلي واقع التواصل بين الطلبة المقدسيين وتُساعد على تمتين الأُطر التفاعلية فيما بينهم من جهة، وبينهم وبين عائلاتهم من جهة أُخرى، وتُركز هذه الورقة على عدة برامج لجهة تحقيق ذلك الغرض التي خلص المشاركون/ ات إليها لتطوير سياسات عامة قادرة على التعامل مع الواقع التعليمي في القدس، وتجسير الفجوات المجتمعية –القائمة بين مختلف المكونات المجتمعية، وتمتين الهوية الفلسطينية الجامعة، ومن هذه البرامج:

- قيام **وحدة القدس** في وزارة التربية والتعليم بتنسيقٍ فعالٍ في مجال ربط مديرية القدس بوحدات القدس في الوزارات والمؤسسات، باتجاه تقديم خدمات للمعلمين والطلبة، في كافة المدارس التي يُمكن العمل فيها بشكلٍ رسمي وغير رسمي.

- تطوير **مركز الإشراف** ورفده بالخبراء للوصول إلى المدارس، بما فيها المدارس

الخاصة، من منظور أن معالجة الضعف في التحصيل المدرسي يصب في التربية على الهوية، علماً أن طلبة القدس يأتون في ذيل نتائج الاختبارات الوطنية.

– **الميزانيات والتمويل**: مضاعفة موازنة مدارس القدس 5 أضعاف، للنهوض فيها من جميع النواحي. ودعم العجز في المدارس الخاصة للتخفيف من الاعتماد على التمويل الإسرائيلي. (الحديث يدور عن 30 مليون دولار أمريكي، تُمول فيها «إسرائيل» مدارس القدس) علماً أن بعض المدارس تتلقى دعماً من أكثر من جهة، بسبب الجشع.

– في ظل الخطر المُحدق بالطلبة المقدسيين، هناك ضرورة للتنسيق مع الهيئات الدولية، ومؤسسات حقوق الإنسان، لجهة رصد وتوثيق الانتهاكات الإسرائيلية التي تُرتكب بحق المدارس.

• التكامل مع مؤسسات المجتمع المدني الفلسطيني الفاعلة في القدس لجهة تصميم برامج تكميلية قادرة تجسير التعليم بين المدارس المختلفة.

• إشراك مؤسسات القطاع الخاص الفلسطيني في تعزيز دعم صمود المدارس الفلسطينية وحمايتها من الأسرلة.

– التكامل مع مؤسسات الحق في اللعب لجهة تصميم نشاطات تفاعلية قادرة على إدماج أولياء الأمور.

– تطوير مركز الإشراف ورفده بالخبراء للوصول إلى المدارس، لمعالجة مشكلة التسرب وتدني التحصيل العلمي، حيث بلغت نسبة الطلاب المتسربين من المدارس حسب إحصائية ملتقى الفكر العربي لعام 2012 (29 %) وذلك ضمن خطط ممنهجة من قِبَل الاحتلال والتي تهدف إلى تفريغ المدارس من الطلاب، وتقليل مستوى الثقافة والمعرفة لدى الشباب، مما أثر ذلك على التحصيل المدرسي لدى الطلاب.[10]

– تنظيم مسابقات وفعاليات ثقافية دورية في المدينة المقدسة.

• التكامل مع وزارة الثقافة لإسناد المسارح، والفنون، سيما المتنقلة منها وربطها في العملية التعليمية.

• تأسيس وقفية فلسطينية لدعم التعليم في القدس، والعمل على تأسيس مجلس استشاري يضم ممثلين عن القطاع الخاص، والقطاع الأهلي، والمؤسسة الرسمية لإدارة تلك الوقفية، وضمان ديمومتها.

• مضاعفة موازنة مدارس القدس ودعم العجز في المدارس الخاصة للتخفيف من الاعتماد على التمويل الإسرائيلي.

• تطوير البنى التحتية للمدارس في مدينة القدس، وإشراك الأهل في المنظومة التربوية والتعليمية.

• تحويل المدارس الأهلية إلى مراكز ونوادٍ مجتمعية يرتادها طلبة المدارس والطلبة من المجتمع المجاور بعد الدوام المدرسي، انسجاماً مع سياسة الوزارة المعلنة مُؤخراً، والتي صادق عليها مجلس الوزراء، باختيار يوم السبت لمثل هذه النشاطات.

• تشجيع الاستثمار في رياض الأطفال حيث أنشأت بلدية الاحتلال من (4 – 6) رياض أطفال في القدس والمتخرجون منها يتم نقلهم مباشرة إلى مدارس المعارف الإسرائيلية وهذا من شأنه التأثير على تنشئتهم الوطنية. لذلك ينبغي إنشاء رياض أطفال تابعة لوزارة التربية والتعليم في القدس وربطها بالمدارس الحكومية الفلسطينية وذلك لتنشئة الأطفال بقيم وطنية فلسطينية.

• ضرورة إقامة نوادٍ صيفية وشتوية تُشرف عليها مديرية التربية والتعليم بالتكامل مع المؤسسات الأهلية، والرسمية العاملة في القدس، حتى لا يلجأ الطلبة لنوادي دائرة معارف الاحتلال.

• ربط مديرية القدس بالمديريات القريبة في رام الله والبيرة وبيت لحم، من خلال

نشاطات مشتركة، ترفع الحصار عن الطلبة والمعلمين المقدسيين وتُعزز تواصل المقدسيين في محيطهم الثقافي والاجتماعي، وتُؤسس لمناهضة عزلة المدينة المقدسة.

• الإعلام المجتمعي من خلال تشجيع العمل على عروض مسرحية من قِبَل الطلبة تُناقش الوضع التعليمي والتربوي في القدس، تُقدم ضمن المسرح الجوال.

• تزويد الأهالي بنشرات توعوية، منها ما له علاقة بالحد من الانتساب لنظام البجروت.

• تطوير تجوال الطلبة في المدينة والمحافظة، والمحافظات الأخرى.

• تطوير دور مجالس الطلبة بعيداً عن التسييس.

الأطر الإجرائية

– دعوة وزير التربية والتعليم العالي لتشكيل مجلس ممثل للمؤسسات والوزارات ذات العلاقة بالقدس، تشكل الوزارة سكرتارية لهذا المجلس، من أجل تنسيق الجهود في العمل التربوي داخل القدس، برعاية كُلٍ من دائرة القدس في اللجنة التنفيذية، والمؤتمر الوطني للقدس.

– زيادة موازنات وحدات القدس في الوزارات والمؤسسات، من أجل تمكينها القيام بأنشطة تتعلق بالقدس تربوياً ووطنياً.

– تأكيد الشراكة الوطنية بين مديرية القدس والمؤسسات الأهلية.

– تعظيم واقع التنسيق بين وزارة التربية والتعليم ومؤدي الخدمات الرسمية من الوزارات والهيئات المختلفة. حيث رأى المجتمعون ضرورة قيام **وحدة القدس** في وزارة التربية والتعليم بتعظيم عملية التنسيق لجهة إشراك كافة مؤدي الخدمات الرسميين في تسهيل العملية التعليمية في مدينة القدس.

لقد مرّ أربع سنوات، على قرارا اليونسكو فيما يخص انتهاكات الاحتلال للتعليم، والقدس، ولعل هناك تقاطعٌ ظاهرٌ بينهما، حيث أن التعليم في القدس قد تمت الإشارة له في القرارين أيضاً. كذلك تزامن ذلك مع صدور كتاب الجهاز المركزي للإحصاء الخاص بالمدينة المقدسة، بما حمل من معطيات ومؤشرات، طلب على ضوئها السيد الرئيس متابعتها والاستجابة لها.

وسنتعرض هنا لجزئية التعليم في القدس بند 8، الذي «طلب من «إسرائيل»، القوة المحتلة، وقف كل أنشطتها الاستيطانية ووقف عملية بناء الجدار، والكف عن كل التدابير الأخرى التي ترمي إلى تغيير طابع الأرض الفلسطينية المحتلة ووضعها القانوني وتركيبتها السكانية، ومنها التدابير المتخذة داخل القدس الشرقية وحولها، والتي تعود بأضرار تتضمن على سبيل المثال عدم قدرة التلاميذ الفلسطينيين على التمتع بحقهم في التعليم على أكمل وجه»، وبند 9، الذي «يُلاحظ بقلقٍ شديد الرقابة التي تمارسها «إسرائيل» على المناهج الدراسية الفلسطينية المعتمدة في المدارس والجامعات في القدس الشرقية؛ ويحث السلطات الإسرائيلية على وقف هذه الرقابة فورا». [11]

خاتمة

وعليه يجب العمل على توحيد الجهود الرسمية وغير الرسمية للنهوض بواقع التعليم في مدينة القدس لما يُعانيه من تحدياتٍ أدت إلى تشظي الهوية الفلسطينية الجامعة وانعكست على العلاقة بين المكونات المجتمعية المختلفة، وإعادة إحياء الهوية الفلسطينية الجامعة والتأكيد على لُحمة أبناء الوطن الواحد، والحفاظ على الموروث الثقافي والاجتماعي كونه جزءٌ أصيلٌ من الهوية الفلسطينية.

بالنسبة للقدس، فإنه وفق «اتفاقية أوسلو»، قد تركت للحلول النهائية، بدون أن تُغير دولة الاحتلال أي شيء فيها، وهذا ما تنكرت له، لذلك فإن مخاطبة «إسرائيل» من قِبَلنا، إنما هي مخاطبة دولية، ودلالة ذلك قرار اليونسكو الأخير، وما قبله، بشرط ألا نمنح

«إسرائيل» أية مبررات تزيد من عنادهـــا، كأن نتحدث عما يناقض إيماننا بأن القدس هي أرض الديانات.

لعلنـــا هنا نعـــود إلى ما ابتدأنا به، حيـــث يصعب تفكيك الأمور عـــن بعضها، فالحق في التعليم هو حق آخـــر في التحرر وإنهاء الاحتلال وحق تقريـــر المصير، حيث أن التفكير الجدي والجاد في الحرب القانونية سيكون لصالحنا، شرط عدم التخريب على هذا الاتجاه العقلاني، وقطع أي طريق لأي مبرر للاحتلال للبقاء.

هوامش ومراجع

1،2،3،4،5 – كتاب الطعم في المصيدة: «السياسية الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة من 1967 – 1997م» لشلومو جازيت.

6 – الرقم الإحصائي من مديرية تربية القدس 2019.

7 – لقاءات الطاولة المستديرة بعنوان: «واقع التعليم في القدس وأثره على الهوية الفلسطينية، تنفيذ المؤسسة الفلسطينية للتمكين والتنمية المحلية – REFORM –2015.

8،9 – الرقم الإحصائي من مديرية تربية القدس 2019.

10 – إحصائية ملتقى الفكر العربي لعام 2012.

11- قرار اليونسكو في تشرين الأول 2016 – باريس بشأن القدس والانتهاكات الإسرائيلية للتعليم.

ماهر الشريف في دراسته
«المثقف الفلسطيني ورهانات الحداثة (1908 - 1948)»:
يتنقل بين الحكمين: العثماني البريطاني - الصهيوني وصولاً إلى النكبة وإقامة الدولة العبرية

قراءة: عزيز العصا

معهد القدس للدراسات ولأبحاث/ جامعة القدس

الدكتور ماهر الشّريف؛ أكاديمي ومؤرخ فلسطيني، ولد عام (1950م)؛ أيّ في أجواء النكبة، وهي في ذروة سعيرها، وكان واحدًا من أبناء شعبنا الذين كُتب عليهم التهجير من الوطن عنوةً، والحكم عليهم أن يمضوا حياتهم وهم يتلظّون خارج الوطن البعيد المنال القريب جغرافيّاً.

صدر للمؤرخ «**ماهر الشريف**» العديد من المؤلفات الخاصة بالقضية الفلسطينية في مختلف المجالات؛ الفكر السياسي، والاقتصادي والاجتماعي، وفي الفكر الإسلامي، وفي العلاقة بين الشيوعية والقومية، وغير ذلك من المجالات[1]. وأمّا الإنتاج الفكري الذي نحن بصدده للمؤرخ «**الشريف**» فهو: دراسته «**المثقف الفلسطيني ورهانات الحداثة (1948 – 1908)**»، الصادرة عام (2020) عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية برام الله، في كتاب

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية. يُنظر الرابط (شوهد في 13/ 12/ 2020):

https://www.palestine – studies.org/ar/taxonomy/term/1726

يقع في (326) صفحة من القطع الكبير، توزعت عليها عشرة فصول.



قبل أن تلج في النص يبادئك الكتاب – الدراسة بغلاف ذي سمات تُنبئ عن مستوى الثقافة التي أنت مقبلٌ على مطالعتها ومتابعتها؛ إذ أن لصورة الغلاف التي ضمتها مايا شامي دلالاتٍ تُشير إلى مثقفيّ القرن العشرين، وللمرأة حضورٌ لافتٌ بينهم، يتقدمهم غسان كنفاني بصورته الشهيرة وهو قابضٌ على قلمه ومطرق ينهل من فكره النيّر ليحيله على الورق قصةً أو روايةً أو غير ذلك من الأجناس الأدبية.

يُقدم «**الشريف**» لكتابه هذا بما يُشبه خريطة طريق تُريح القارئ؛ حين يكشف له عن الغامض من مصطلحات العنوان ومفاهيميه[1]: **فالحداثة**، إما أن تكون «**جوّانيّة**»؛ وهي مشروع فكري يقوم على العلمية – العقلانية والإنسانية، ويشتمل على العديد من القيم، كالحرية، والوطنية، والديمقراطية... إلخ. وهناك «**الحداثة البرّانية**»، وتعني الأنقياد وراء مظاهر الحضارية الغربية على حساب الحداثة الجوّانية، التي تُشكل جوهر المجتمع. **والمثقف**؛ هو ذاك الشخص الذي حصّل قدرًا من التعليم وحمل رسالة في الحياة، بحيث

(1) يُنظر الكتاب، ص: 2.

يُوظـف المشروع الفكري الحديث في التصدي للمشـكلات التي يُواجهها شـعبه. وأما **الرهانـات**؛ فتعني التحديات التي واجهها المثقف الفلسـطيني، والتي يُمكن أن يفلح في التصدي لها.

كما يضـع «**الشريف**» القارئ في صورة الفرضيـة التي تقوم عليها الدراسـة القائلة بأن «**فلسـطين عرفت مشروعًا فكرياً حداثيًّـا قادمًا من الغرب**». وكذلك السـؤال الرئيس للدراسة: **ما هي ملامح المشروع الفكري الحداثي (الفلسطيني)**، أو لنقل: ما هي رهانات الحداثة التي واجهها المثقف الفلسـطيني خلال فترة الدراسة (1908 – 1948). ويبلغنا الشريف عن المصادر الأولية الرئيسـة لدراسته هذه وهي: الدوريات (صحف ومجلات في فترة الدراسـة)، ويوميات ومذكرات عدد من مثقفي فترة الدراسة، كما أحاط الباحث بمصادر أضاءت له واقع التعليم، وكتب الأعلام والسـيرة، وتلك التي عالجت إشكالية النهضة والحداثة في فلسطين[1].

بقراءة متمعنة لهذا الكتاب، وجدتُني أمام دراسـة قيّمـة ذات مفاصل محدّدة، التزم فيها الباحث بصُلب الموضوع دون أن يشـتت القارئ في حوارات جانبية تبتعد به عن الهدف من الدراسـة. وكما ورد في مقدمة الكتاب، فإن هذه الدراسـة عبارة عن عشرة فصول، توزعت على أربعة رهانات رئيسـة، وهي: رهان **الثقافة والمجتمع** (تجمع الفصول الثلاثة الأولى)، ورهان تنازع البقاء (تشـمل الفصلين الرابع والخامس)، ورهان **الهوية** (يشمل الفصول: السادس والسابع الثامن)، وأخيرًا رهان **بلوغ الحداثة** (يشمل الفصلين التاسع والعاشر). وسـنقوم، فيما يأتي، بتتبع هذه الرهانات (التحديات) بالترتيب؛ لنسـبر غور منهجية المثقف الفلسطيني وأدواته المختلفة، سواء في مواجهتها أو مسايرتها:

أولًا: رهان الثقافة والمجتمع: يُناقش هذا الرهان ثلاثة مواضيع، هي: المثقف الحديث، من حيث تكوينه وسماته ودوره المجتمعي؛ ومفهوم الحداثة وسبل بلوغها، وينهي بموضوع

(1) يُنظر الكتاب، ص: 3 – 4.

الصحافة كوسيلة للتعبير عن الأفكار الحديثة وأداة تكوين الرأي العام.

يصف الشريف مثقفيّ فترة الدراسة بأنهم قد نشأوا في أجواء تحولات السلطة العثمانية في القرن التاسع عشر الناجمة عن العوامل الآتية: العلاقة بأوروبا، والحملة المصرية على بلاد الشام، وسياسة التنظيمات العثمانية الإصلاحية. وقد شهدت فترة الدراسة انفصال حقل التعليم الحديث عن حقل التعليم الديني، علمًا بأن التعليم لدى الطوائف المسيحية كان قد تطور من خلال الإرساليات التبشيرية التي أنشأت المدارس الحديثة (ص: 9).

في القرن التاسع عشر أنشئت وزارة المعارف العثمانية سنة 1857، ثم صدر قانون المعارف العثماني سنة 1869م (التعليم إلزامي بين 7 و11 عامًا للبنين، وبين 6 و10 للبنات). وبقيَّ هذا القانون حتى عام 1933. كما شهد القرن التاسع عشر دخول المطابع في فلسطين من خلال الأديرة (منذ عام 1847)، فوصل عددها إلى (11) مطبعة قبل عام 1908 (ص: 13). بهذا يكون التعليم قديراً بالانتشار، ببطء، فأنتج المثقف العلمي والثقافي والتنويريين، ونشأ تيار الإصلاح الديني (ص15).

كما نشطت الترجمة عن التركية والفرنسية والإنجليزية، وشكلت الترجمة تيارًا راسخًا في إطار حركة الثقافة العربية الحديثة (ص: 17 – 18)، وظهر المثقفون في حقول: (التعليم والصحافة، والمهن بخاصة المحاماة) (ص: 18)، وتميز المثقف الفلسطيني في حقل الصحافة (ص: 20)، كما سترى لاحقًا.

يرى «**الشريف**» أن المثقف الفلسطيني، بصورة عامة، كان مثقفًا عقلانيًّا وعلمانيّاً، اتسم بنزعة إنسانية؛ بعيدًا عن التعصب واللجوء إلى القوة» (ص: 23). إذ نرى إن السكاكيني «استغرب انقياد البشر إلى غرائزهم الوحشية ولجوئهم إلى القوة (لحد الإبادة الجماعية في حل مشكلاتهم، كما في القنبلة الذرية) (ص: 27).

وبشأن تصوّر المثقف الفلسطيني لدوره في المجتمع، انطلق «**الشريف**» من التمييز بين «المثقف» والمتعلم؛ وبين «المثقف الملتزم»، و«حامل الشهادة الجامعية» معتبرًا أن الثقافة لا

تقتصر على معنى العلم والتعليم، بل تتناول أيضًا معنى صقل النفس، وتدريب الجسد، بالإضافة إلى تدريب العقل (ص: 28). ولم يفت المثقفين الإشارة إلى أنه «لا يُمكن لثقافة أن تنمو، إذا لم تكن في جوٍ من الحرية وفي محيطٍ خالٍ من القيود والأغلال» (ص:30).

وعليه، فقد «شارك المثقف الفلسطيني في تأسيس الجمعيات والروابط، والأندية والأحزاب أو انضوى في إطارها. وقد انقسمت هذه الأطر إلى: أدبية ثقافية، واجتماعية إنمائية، وسياسة قومية أو وطنية» (ص:32). وفي هذه الحالة «لم يسلم المثقف الفلسطيني من قمع السلطات الحاكمة، سواء أكانت تركية أم بريطانية» (ص: 36).

لقد خاض المثقف الفلسطيني في مفهوم الحداثة، وناقش المصطلحات الخاصة بها، فكان أكثرها شيوعًا: **المدنية** ومشتقاتها بأصولها المادية والمعنوية، و**التقدم**، و**الرّقيّ**؛ ومقابل ذلك استخدم مصطلحيّ **التأخير** و**الانحطاط** وحذر المثقفون من التحديث البرّاني على حساب الحداثة الجوّانية (ص43).

وفي تشخيص أسباب تأخر الشرقيين والعرب، عزا المثقفون الفلسطينيون ذلك إلى:

1) تأخر أوضاع الدولة العثمانية عن أوضاع الدول الأوروبية. 2) تأخر الأفكار في الشرق والنزعة الاتكالية التي يتميز بها الشرقيون؛ إذ لا مبادرات وهناك مراهنات على الحكومات لتفعل كل شيء. 3) تأخر أوضاع المرأة الشرقية. 4) غياب الفنون بأنواعها، أو ضعف حضورها في المجتمع (ص: 45 - 47).

وحول العلاقة مع الغرب تبنى المثقف الفلسطيني مفهوم «**دوران الحضارة**»؛ إذ رأى أن التفاعل الحضاري قد رافق الإنسانية عبر مراحل تطورها؛ فالعرب لم يتوانوا عن الاقتباس ممن سبقهم في التمدّن، والغرب تفاعلوا مع المدنيات التي سبقتهم، ومنها مدنية العرب (ص: 49 - 50).

وعليه، فقد شدّد المثقف الفلسطيني على أن يكون الاقتباس عن الآخر مشروطًا، وقائمًا على قاعدة التمييز بين النافع والضار (ص: 52)؛ فظهرت دعوة الاقتباس عن الغرب في

جوانب: الحكومة الرشيدة أو العاقلة التي تقضي على بذور الفساد والشقاق بين الحكومة والأمة (ص: 53). ولم يتوان المثقف الفلسطيني عن فضح الوجه البشع للغرب، متمثلًا في الظاهرة الاستعمارية (ص: 57)، ورافق ذلك إعجاب المثقفين الفلسطينيين بنضال أمم الشرق ضد الاستعمار الغربي، ونجاح بعضها؛ كما في اليابان والصين وتركيا (ص: 58)، وتحذير أبناء شعبهم من تقليد الغرب تقليدًا أعمى والتخلي عن خصائصهم القومية (ص: 63). وبشأن المرأة (الفلسطينية) وجدت (نجوى قعوار) أنها تتوزع إلى فئتين: فئة أخذت اللون السطحي من المدنية الغربية، وفئة قابعة في عقر دارها ملأ رأسها الخرافات (ص: 64). وفي هذا الإطار ظهرت دعوة واضحة لتعزيز الوحدة الثقافية بين العرب، باعتبارها مقدَّمة على الوحدة السياسية أو ممهدة لها (ص: 65).

وفي ذلك كلّه كانت الصحافة وسيلة المثقف الفلسطيني الرئيسة للتعبير عن أفكاره وترويجها بين صفوف جمهور القرّاء، وتحريضهم على الوقوف في وجه الأخطار التي تتعرض لها فلسطين (ص: 71). وقد حملت الصحافة العربية في فلسطين رسالة تمدينية وتنويرية، وطنية وقومية، ذات مضامين سياسية واجتماعية وأخلاقية (ص: 71)، علماً بأنها دبَّت في جسم البلاد العربية بينما السواد الأعظم من أهلها أُميون (ص: 78). ففي أعقاب صدور الدستور العثماني كانت « الكرمل» أول جريدة صدرت في فلسطين، وكانت

ولكي تحمل الصحافة رسالتها بشرف، اعتبر المثقف الفلسطيني أن «من واجبها أن تُعنى كل العناية فيما تقدمه إلى قرّائها وأن تتقي الله فيهم، دون أن تنزل عند رغائب الجمهور وشهواته في كل حين، بل تسمو بهذا الجمهور وترتفع به في أكثر الأحيان (ص: 77)؛ إذ أن الصحف «مدارس متنقلة في البلدان تحمل إليها نور العلم وهدى المعرفة وروعة البيان» (ص: 78).

وتوجه المثقف الفلسطيني، الذي مارس الصحافة، إلى الشبيبة الفلسطينية المتعلمة، داعيًا إياها إلى القيام بـ «**ثورة فكرية**» تتصدى للفئة الاجتماعية التي «كانت في الزمن الماضي، ولا تزال في هذا الزمن، هي الحائلة دون نهوض الأمة وتقدمها، والتي امتصت دماء الأمة

في السابق عن طريق الاستبداد، وهي اليوم تمتصها عن طريق الوطنية (ص: 79).

وفي ظـــل الانتـــداب البريطاني، المتحالـــف مع الحركـــة الصهيونية، لم تســـلم الصحافة والصحفيين من التضييق، مثل إغلاق صحيفة (الجامعة الإســـلامية) لصاحبها ســـليمان ناجي الفاروقي عن الصدور ثلاثة أسابيع عام 1930م (ص: 82).

لم تنجُ الصحافة الفلسطينية من بعض الأمراض والعيوب، بعضها يرجع لمن يحررونها أو يكتبـــون فيها، وبعضها يرجع للمغالاة في إرضاء أهواء الجمهور ومســـايرة ميولهم وإشـــباع رغباتهم، وبعضها يعود إلى القيود التي تغِل الصحافة والقوانين/ التي تجعل صاحب الجريدة من سخط أولي الأمر شاهدًا يتقلب، ومن خشية الرقيب خائفًا يترقّب (ص: 83). كما كان هناك شـــكل من المهارات بـــين الصحف والصحفيين، مما دفع إلى الدعوة إلى قدســـية وطنية الصحافـــة، والاقتداء بالغرب الـــذي يمتلك صحافة راقية تُناضل وتُدافع في ســـبيل إعلاء شأن (بلدانها)، وبث الدعوة لآرائه ونظرياته، والدفاع عن شعوبه (الغرب) ودوله (ص: 89).

وهناك من لفت إلى أن «**الصحافة (الفلسطينية) أحسنت في تشخيص الداء، لكنها عجزت عن وصف العـــلاج**»، وكان الحديث عن محاربة الحركة الصهيونية بالمقالات التي تنشرها الصحف، ولم يعد لها قيمة (ص: 85).

ثانيًا: رهان «تنازع البقاء»: يُناقش هذا الرهان دور المثقف الفلسطيني في كل من: التصدي للصهيونية والتحذير من مخاطر مشروعها، ومواجهة الاستعمار البريطاني.

من المعلوم أن يوســـف ضياء الخالدي كان قد تنبّه للخطر الصهيوني خلال الربع الأخير من القرن التاســـع عشر حتى وفاته (سنة 1906م) وحمل لواء محاربتها والتحذير منها. إلا أن «**الشريف**» يرى بأن «**المثقف الفلسطيني اكتشـــف ماهيّة الصهيونية وأهدافها منذ عام 1908**» (ص: 95)، وذلـــك عندما قام نجيب نصار (الكرمل) بنشر عدة مقالات مبينًا أن الصهيونية تشعل أفكار عموم اليهود وقلوبهم في أقطار العالم كله، وأنها أجرت مفاوضات

مع حكومات بريطانيا، وروسيا، وإيطاليا وأمريكا، ومع السلطان عبد الحميد. وبعد أن أكد معارضته لهذه الحركة، انتقد نصار اليهود العثمانيين الذين جعلوا من أنفسهم آلة بيد المستعمرين؛ فيعيرون أسماءهم لمشتري الأراضي» (ص: 96).

كما أن محمد روحي الخالدي أكمل مشوار عمه (يوسف ضياء)، من خلال **مخطوطة عن الصهيونية، التي يرى بأنها ظهرت بتأثير عاملين**: أحدهما «**اضطهاد اليهود**، وثانيهما «**نمو الشعور القومي فيهم**»، الذي ولّد في اليهود «شوقًا للاتحاد القومي والحياة المشتركة وإعادة مجد «إسرائيل» القديم الذي أطنبت بذكره كتبهم الدينية» (ص: 98).

وبشأن مخاطر الصهيونية على الدولة العثمانية ارتأى نجيب نصّار أن (الاتحاديين) الأتراك الذي أزاحوا السلطان عبد الحميد عن الحكم، وقعوا تحت تأثير الصهيونيين الذين أخذوا يتلاعبون بقلوب الاتحاديين، ويغرسون في صدورهم النفرة والكره للعرب (ص: 101)، وأعاد نصار ذلك إلى فئة في جمعية الاتحاد والترقّي من يهود سالونيك والدونما، تتمتع بالنفوذ على الحكومة وعلى المطبوعات لمساعدة الصهيونيين على نَوال فلسطين (ص: 102). كما أدرك نصار العلاقة بين الصهيونية وأوروبا الاستعمارية (ص: 103).

وبعد الحرب العالمية الأولى و«وعد بلفور»، أصبحت الحركة الصهيونية الشغل الشاغل لمثقفي فلسطين. إذ تبين لهم أن لليهود نفوذًا كبيرًا ووسائط عديدة للتأثير على رجال السياسية، في حين أن ليس للعرب من يهتم بمصالحهم ويُعنى بالدفاع عن حقوقهم، ثم هم يرون من الجهة الأخرى أن الحكومات الأوروبية وحكومة الولايات المتحدة يعطفون على الصهيونيين، ويعدونهم بتحقيق آمالهم (ص: 107).

ونبّه نجيب نصار إلى أن الصهيونيين «أخذوا جانبًا وافراً من أراضي البلاد، وقبضوا على زمام عدة صناعات، ويزاحموننا في زراعة البرتقال وتجارته، وبعد أن تساءل «ونحن ماذا عملنا لنحافظ على كياننا؟ أي حركة اقتصادية قمنا بها لنحيا؟ دعا مواطنيه إلى أن يعملوا ويجدوا؛ كي يفوزوا على خصومهم (ص: 108).

منذ الانتداب، وقف المثقف الفلســطيني ضد التســاهل مع المطالب الصهيونية، ورفض اتفاق فيصل/ وايزمن ســنة 1918 (ص: 108). كما نبه بعض المثقفين الفلســطينيين إلى التأكيد على الاختلاف على أرض فلسطين مع اليهود لأسباب سياسية وليست دينية كما في هبّة البراق، التي هي حقوقية وليست دينية (ص: 111).

أما المثقف الفلسطيني اليساري فدعا إلى «فصل السكان اليهود عن الصهيونية وإظهارها على حقيقتهــا؛ حركةً لا تُمثل مصالح اليهود في فلســطين، وهذا سيســاعده على جذب الســكان اليهود إلى نضالنا الوطني في ســبيل الاســتقلال، حيث ينعمــون في ظل نظامٍ ديمقراطي يُؤمن لهم مستقبلهم ويُخلصهم من استغلال الصهيونية الاحتلالية والاستعمار (ص: 122 – 123). وعندما تأسست عصبة التحرير الوطني لم تذهب إلى أبعد من مطالبة الحركة الوطنية الفلســطينية بأن «تتوجه إلى اليهود وتُطالبهم بتأييد نضال الشعب العربي الاستقلالي ضد الاســتعمار وأعوانه»، وأن «تُعلن دائمًا سياستها الديمقراطية تجاه اليهود، فتؤمن لهم حقوقهم وواجباتهم» (ص: 124).

أما بخصوص بريطانيا، فقد أدرك المثقف الفلسطيني، منذ العشرينيات، أن بواعث إصدار «وعد بلفور» متعــددة، منها: رغبة بريطانيا في المحافظة على طرق المواصلات، والحيلولة دون تمام الوحدة العربية، وسعيها للحصول على تأييد يهود العالم (ص: 130). وكان هناك بعض المراهنات على أن تُعيد بريطانيا حســاباتها في العلاقة مع الصهيونية؛ إذ أنه في وسع فلسطين أن تكون حلقة اتصال اقتصادية فيما بين المصانع البريطانية وأسواق الشرق العربي بمعناه الواســع، وفي وسعها أن تكون رسول سياسة سلمية بين بريطانيا والجزيرة» (ص: 133). إلا أنه **بمرور الزمن ثبت (للفلســطينيين) أن بريطانيا هي الأصل والصهيونية هي الفرع** (ص: 138)؛ فانبرى معظم المثقفين الفلســطينيين إلى فضح السياسات الاستعمارية البريطانية وانحيازها إلى الصهيونية (ص: 139)، وفضح الدعاية الاستعمارية التي تدّعي أنها حملت الرخاء والازدهار إلى فلسطين، والتنديد بالسياسة القمعية التي تبنتها سلطات الانتداب (ص: 141 – 142). وبعد الحرب العالميــة الثانية أعلن وزير خارجية بريطانيا

أنه من حق اليهود أن يكون لهم دولة في فلسطين، فتنبّه المثقفون اليساريون من خطورة التعاون مع بريطانيا، التي واصلت سياستها الاستعمارية المؤيدة للمشروع الصهيوني في فلسطين (ص: 151).

نستنتج من هذا كله أن موقف المثقفين الفلسطينيين من بريطانيا كان مرتبكاً وباهتًا مقارنة مع موقفهم من الحركة الصهيونية. علمًا بأن هناك ما يُشير إلى أن المثقفين من حمّل السلاح وقاتل الإنجليز حتى استشهد.

ثالثًا: رهان الهويّة: يتناول هذا الرهان ثلاثة مواضيع رئيسة، هي: الوطن والوطنية في وعي المثقف الفلسطيني، والموقف من الظاهرة الدينية، ووعي العروبة.

فقد فَتَحَ المثقف الفلسطيني، خلال فترة الدراسة، عينيه على مفاهيم «الوطن» و«الوطنية»، و«الوحدة الوطنية» كمفاهيم حديثة قادمة من جيل روّاد النهضة العربية في القرن التاسع عشر، وقد جاءوا بها من خلال احتكاكهم بالأفكار الأوروبية الحديثة، فقبل الحرب العالمية الأولى كان «وعي الوحدة العثمانية متأصل في النفوس، وأن فلسطين هي بمثابة القلب من سورية والجزيرة العربية (ص: 157). أما فلسطين بالذات فقد ابتلى «العرب العثمانيون» فيها بالجمعية الصهيونية التي أثارت حربًا اقتصادية سلمية، وصعّدت دعوة لإنقاذ فلسطين من خطر الاستعمار الصهيوني (ص: 158).

بعد انهيار السلطة العثمانية نادى المثقفون الفلسطينيون بضرورة وحدة الأمة في نطاق الجامعة أو الوحدة العربية، ورفعوا شعار «**فلسطين للفلسطينيين**»، بل للجامعة العربية هذه، وأن هذه الجامعة هي واسطة للفلسطينيين الرئيسة لدفع خطر الحركة الصهيونية، بصفته أكبر خطر على البلاد؛ بحيث يشترك العرب قاطبة في مقاومتها (ص: 160). ثم ظهر مفهوم الوطنية العلمانية، الذي أجمع عليه الفلسطينيون، بغض النظر عن اختلافاتهم الدينية والطائفية (ص: 162). وعبّر المثقف الفلسطيني عن حبّه الشديد لوطنه، الذي لم يرَ له مثيلاً، ولم يجد له بديلًا (ص: 163). وبقيَّ ينادي طوال العهد البريطاني إلى تعزيز الوحدة الوطنية بين صفوف الشعب الفلسطيني وقياداته ويُحذر من

مخاطر الانقسام والتفرقة (ص: 164).

أما الخلافات العائلية والحزبية داخل صفوف الحركة الوطنية بين المجلسيين والمعارضة، فقــد أثارت اســتهجان المثقفين الفلســطينيين الذين أجمعوا عــلى ضرورة أن يضطلع «الأكفياء المخلصون»، البعيدون عن هذه الخلافات، بدورٍ بارزٍ في قيادة الحركة الوطنية (ص: 169). وهناك من انتقد الحاج أمين الحســين لتوجهه نحو «**حصر الوطنية في نفسه وفي أسرتــه من بعده**»، واتهمه بأنه يحدث «**بدعة في النظم الاجتماعية**» هي أقرب إلى النظام الملكيّ (ص: 170). وكان هناك شبه إجماع بين الصحافة على أن من مثلوا دور الزعامة: «أبعد ما يكــون من الإخلاص والوطنية، وأنهم لم يكونوا يســعون إلا وراء مصالحهم الشــخصية ومنافعهم العامة، وأن أكثرهم يحوجه العلم والحنكة والسياســة والحكمة والاقتدار والإخلاص، وأن بلاء فلسطين جاء على يدهم» (ص: 171).

في حــين أن المثقفين، المتحزبــين لعائلاتهم، حاولــوا إرجاع الخلافات بــين الزعامات الفلسطينية، وخصوصًا بين عائلة الحسيني، من جهة، وعائلة النشاشيبي، من جهة ثانية، لا إلى «المصالح الفرديــة والعائلية»، وإنما إلى «المبادئ القومية» (ص: 173). إلا أن هناك قائدًا نال إجماع المثقفين وهو «موســى كاظم الحسيني»ـ عندما رأى المثقفون الفلسطينيون فيــه «المثل الأعــلى في الوطنية والإخلاص والنزاهــة، وكان أبًا للجميــع على اختلاف الأحزاب» (ص: 174).

وظهرت دعوات إلى تشــكيل هيئة أكثر صلاحًا وأكمل تنظيماً، وأن يشرع في تأليف كتلة وطنية، أو عصبة وطنية، تتمثل فيها معاني رغبات الأمة، وينتظم فيها أصلب رجال الأمة عوداً وأنقاهم وطنية، ســواء من رجال اللجنة التنفيذية المشــهود بوطنيتهم أم من رجال الأحزاب والهيئات الأخرى من على شــاكلتهم وغرارهــم؛ بحيث يحل نفوذ هذه الكتلة أو العصبة محل نفوذ «اللجنة التنفيذيــة» الرخوة، وتنقذ البلاد «من تمثيل ليس له وجود، وهو موجود، ولا يكون فيها مثار «للزعامات الشخصية»، وتقضي «على الفردية الطامحة، والأنانية الجامحة» (ص: 178).

وبعد ثورة 1936 قام عدد من المثقفين والنقابيين اليساريين، في شباط 1944م، بتأسيس «**عصبة التحرر الوطني في فلسطين**»، وخرجوا بخطاب يساري من نوع جديد انطوى على مضمون حداثيّ، ربط النضال من أجل الاستقلال والحرية بالنضال في سبيل بناء مجتمع صالح تسوده العدالة الاجتماعية والديمقراطية الاقتصادية (ص: 78 – 179).

لقد شارك المثقفون الفلسطينيون سعيهم في مقاومة الاحتلال البريطاني والمشروع الصهيوني بأشكاله كافة، كما عرضوا كمثقفين صورًا لأشكال المقاومة وأشادوا بها ووثقوا لها، وتفاخروا بها (ص: 183)، وابتدأ ذلك منذ أواخر الحكم العثماني، كما فعل محمد روحي الخالدي. وعندما دخل الإنجليز في 9/ 12/ 1917 نبّه جوهرية إلى أن هذا الاحتلال اللعين كان نقمة وليس نعمة على وطننا العزيز، ومنذ مطلع العشرينيات سعى المثقف الفلسطيني إلى إضفاء الطابع القومي وليس الديني على الصدامات مع اليهود (ص: 184). كما أجمعوا على مضامين الحركة المسلحة التي أطلقها الشيخ عز الدين القسام، وأشادوا بدلالات استشهاده في تشرين الثاني/ نوفمبر 1935، فرأى صليبا عريضة رئيس تحرير صحيفة «الكفاح» الناطقة بلسان مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني، في مناسبة مرور أربعين يومًا على استشهاده، أن «القسام ضرب أمثولة للكثيرين من بديع القول القاعدين عن جميل الفعل» (ص: 186).

كما رصد المثقفون الفلسطينيون أحداث الإضراب العام الذي انطلق في 19 نيسان/ أبريل 1936 من مدينة يافا، ثم امتد إلى بقية أرجاء فلسطين، وأشادوا بالمشاركة الواسعة لجميع فئات الشعب فيه وفي الثورة التي أعقبت انطلاقه. ورأى السكاكيني أن هذه الثورة ضعضعت القوة المعنوية في صفوف اليهود، وردّت الحركة الصهيونية سنين عديدة إلى الوراء. وأما «**الزعماء المحليين، فأصبحوا مقودين؛ يسير الشعب فيسيرون خلفه**» (ص: 187).

بشأن الدين، تصدى المثقفون الفلسطينيون لتوظيف الدين واستغلاله لخدمة مآرب سياسية، وحاربوا ظاهرة التعصب والتفرقة الدينية والطائفية (ص: 195). وأبرز

مثقفون فلسطينيون آخرون مآثر الإسلام والدور التاريخي التقدمي الذي أداه بينه. فركز نجيب نصار صاحب «الكرمل» على «الأخـــلاق العظيمة» التي تمتع بها النبي محمد صلى الله عليه وســـلم، وهي الأخلاق التـــي «تُبنى عليها الجامعات وتُؤســـس الممالك، والتي تزهـــو بها العلوم وتزهر المدنيات، داعيًا طـــلاب الوجاهة والزعامة من العرب، في عصر القوميات، إلى أن يدرسوا «أخلاق محمد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه درسًا دقيقًا ويتشـــبهوا بهم» (ص: 199 – 200). كما تصدى المثقف الفلســـطيني لمحاولات توظيف نشاط البعثات التبشـــيرية والإرســـاليات في زرع بذور التفرقة بين أبناء الوطن الواحد، ووقف ضد «المؤتمرات التبشـــيرية» (المسيحية)، التي نُظمت في مدينة القدس خلال عقد العشرينيات (ص: 203).

وبشـــأن العلمانية، فإن المثقف الفلسطيني اســـتوعب مضامينها، ودعا مواطنيه إلى العمل للقومية العربية، من منطلق أنها وحّدت المســـلمين والمســـيحيين في فلســـطين حتى قاتلا «الحركة الصهيونية» معًا (ص: 209). وطالب المثقف الفلســـطيني، الداعي إلى العلمانية، بضرورة أن يستعاض عن جميع الجمعيات الإسلامية- المسيحية، التي قامت في فلسطين لتعبر عن الحركة الوطنيـــة، «بجمعيات وطنية ذات إدارة عامـــة يكون مركزها القدس، تُشرف على جميـــع الجمعيات في البلاد» (ص: 210). ولدى تعريف المثقف الفلســـطيني مضامين العلمانية، أشـــار إلى وحدانية الله بالنســـبة إلى جميع الأديان، وأكد أن العلاقة بين الإنسان وربه هي علاقة روحية لا شأن لها بالمعاملات الزمنية (ص: 211).

كما انطلقت دعوات المســـلمين والمســـيحيين في العالم للتضامن مع نضال الفلســـطينيين، وفي عام 1930 دعا نجيب نصار إلى عقد مؤتمر إســـلامي عام في القدس، لوضع أســـاسي «للجامعة الإسلامية» (ص: 215)، ووجه دعوة المسلمين لحماية المسجد الأقصى، ودعوة مماثلة للمسيحيين معتبرًا أن «**نصيب المسيحيين من إنقاذ فلسطين، وهي بلد المسيح، أعظم كثيرًا من نصيب المسلمين**» (ص: 214).

وبشـــأن العروبة، فقد كان من سمات المثقفين الفلسطينيين الرئيسية إيمانهم بالعروبة، وبأن

فلسطين لا يمكن أن تنعزل عن شقيقاتها العربيات، وإدراكهم أن «**الخطر الصهيوني لا يتهدد فلسطين وحدها**»، بل يتهدد كذلك الدول العربية الأخرى فدعوا إلى الوحدة العربية، وحذروا من مخاطر التجزئة. وأهابوا بالدول العربية أن تتضامن مع نضال الفلسطينيين. وعشية انتهاء الحرب العالمية الثانية وغداتها، اكتسبت العروبة معنى جديدًا على أيدي المثقفين اليساريين الذين صاروا يُميزون ما بين الحكام العرب والشعوب العربية- ويدعون أبناء شعبهم إلى توحيد نضالهم مع نضال هذه الشعوب ضد الاستعمار والمتواطئين معه من الحكام العرب (ص: 221).

وتبنى المثقفون الفلسطينيون فكرة الوحدة الاقتصادية العربية، والدعوة إلى تحقيق الوحدة الثقافية بين العرب (ص: 225). وقد تصاعدت الدعوات إلى التضامن والوحدة العربيين عقب هبّة البراق التي اندلعت في آب 1929م (ص: 226)، وتجددت هذه الدعوات بقوة بعد اندلاع الثورة الكبرى في 1936م وما بعدها، موجهين النقد إلى ملوك العرب وأمرائهم الذين دعوا عرب فلسطين إلى وقف الإضراب والثورة (ص: 229).

في عام 1944، انطلقت مشاورات لتأسيس جامعة الدول العربية، وفي **22/ 3/ 1945 أُسست الجامعة في القاهرة، بمباركة بريطانية، من سبع دول** (مصر، ولبنان، وشرق الأردن، وسوريا/ والعراق، والسعودية واليمن)، اُستثنيت فلسطين من عضويتها (ص: 232). وعقب ذلك رأى مخلص عمرو أن «وعد بلفور» هو السبب الأول والأخير في حرمان فلسطين من الانضمام إلى الجامعة (ص: 236). وفي عام 1946 اتُّهمت جامعة الدول العربية بأنها «إسم بلا مسمّى أو أنها فرع ومكتب لشيء آخر هو غير صالح الشعوب العربية (ص: 237). وأن الاستعمار أراد لهذه الجامعة أن تكون «أداة عاطلة، وإن كانت فعّالة، فيجب أن تعمل تحت نفوذه وبوحي منه» (ص: 239).

رابعًا: رهان بلوغ الحداثة: يشمل هذا الرهان موضوعين رئيسيين، هما: التربية والتعليم كوسيلتين لولوج الحداثة وكسب صراع تنازع البقاء، ويُناقش علاقة المثقف (الفلسطيني) بالوطنية العملية، ودوره في تنظيم الشعب وتعبئة طاقاته وموارده.

ففي شـــأن التربيـــة والتعليم رأى المثقف أنهما أهم وســـيلتين لتمكـــين مجتمعه من ولوج الحداثة، وتمكينه مـــن مواجهة الصهيونية في صراع «تنازع البقـــاء» بالعلم، داعيًا أمته أن تتدرّج بالعلم، لتأمن على نفســـها من الاضمحلال أمام تيار العالم الجارف. ورأى خليل طوطـــح بضرورة أن «**تعم التربية كل فرد من أفراد الأمـــة، ذكورًا وإناثًا، فتكون كالخمير الذي يخمرّ كل ذرة من الدقيق**» (ص: 243).

وكان السكاكيني يرى في «**المدارس مصانع الرجال وأداة تنبيه الشعور الوطني**» (ص: 244)، ويطمح إلى أن يظهر «**معلمون وطنيون يُعالجون العاطفة الوطنية**» (ص: 245). وذكّر أحمد ســـامح الخالدي بأن أهم عامل حفظ التربية والتعليم في أوروبا هو احترام الموروث القديم للعلم والمعرفة (ص: 247). ومن اللافت أن أحمد سامح الخالدي قد استغرب موقف أبناء المدن المتزمتين الذيـــن يعتبرون أن العلم من لوازم المدن دون الريـــف، فأعار اهتماما كبيرًا لنشر المدارس في القرى (ص: 250). كما أن المثقف الفلسطيني الحداثي اهتم بتعليم النساء، ووجّهت ســـاذج نصار الدعوة إلى إنشاء المدارس للبنات في القرى وفي المدن (ص: 251). وبشأن التعليم العالي، شـــعر المثقف الفلسطيني منذ مطلع العشرينيات (قبل إنشاء الجامعة العبرية) بالحاجة إلى قيام جامعة علمية كبرى في فلسطين (ص: 252).

وفي ذلك كلـــه انتقد المثقف الفلســـطيني تقصير دائرة المعارف المســـؤولة عن التعليم في فلســـطين، وظهرت دعوة لاعتماد الشعب على نفسه في ميدان التعليم، وعدم الرهان على دور الحكومة (البريطانية) (ص: 257 - 258). وفي صيف 1929 اســـتغرب نجيب نصار أن المدارس الطائفية في فلســـطين تضم نحـــو (19) ألف طالب من العرب، بينما المدارس الحكومية لا تضم سوى (25) ألفاً فقط (ص: 259).

أما اللغة العربية، فقد أبرز المثقف الفلســـطيني مكانتها بقوة في التعليم، وفي ســـنة 1911 اســـتغرب النشاشيبي كيف يقوم بعض العرب بازدراء لغتهم وهجرها، وذكّر النشاشيبي بأن اللغة العربية «**من أبلغ لغات الكرة الأرضية، ومن أفصح اللهجات التي حرّك الإنسان بها لسانه**» (ص: 262).

وبشـــأن تنظيم الشعب، أدرك المثقف الفلســـطيني أن التنظيم الصحيح القائم على أُسسٍ متينةٍ هـــو سر النجاح عند الأمم المتقدمة، وأن تنظيم الشـــعب وتعبئـــة طاقاته وموارده بخاصة الشباب والطلاب، هي إحدى وسائل خوض معركة «تنازع البقاء» التي فُرضت عليه، وهناك من لفت إلى أن قوة الصهيونية مستندة إلى «التنظيم المحكم» (ص: 271).

وفي هذا الجانب ظهرت دعوة إلى تعبئة طاقات النســـاء وتمكينهـــنَّ من الاضطلاع بدور مجتمعي مهم (ص: 274)، خاصةً دورها في تنشيط الاقتصاد الوطني، الذي يُواجه منافسةً شـــديدةً من الاقتصاد الصهيوني (ص: 276). وفي 26/ 10/ 1929 نُظم في القدس المؤتمر النســـائي العربي الأول، قالت فيه ســـاذج نصار: «**بعد جهاد (21) عامًا ونيّف في مقاومة الصهيونية وخدمة العروبة، صرنا بهذه الحركة النســـائية، ونأمـــل القيام بحركات جدية لإنقاذ فلســـطين ونهضة العرب**» (ص: 277). وقد برز دور المرأة بجلاء خلال تظاهرات وإضرابات 1933، خصوصاً في القدس ويافا (ص: 278).

وبشـــأن تعبئة الطاقات الاقتصادية، ارتأى المثقف الفلســـطيني، ضرورة جعلها تتم على قاعدة العمل المنتج والاكتفاء الذاتي، مشيرين إلى أهمية الاقتصاد في معركة «تنازع البقاء»، ونبّـــه نجيب نصار، منذ أواخـــر العهد العثماني، إلى أهمية الاقتـــداء بالصهيونيين في شراء الأراضي وفتح بيوت التجارة والتعليم، ودعا الفلسطينيين إلى عدم ترك أموالهم تسرب في جيوب المســـتعمرين الذين ينازعوننا البقاء (ص: 281)، وبعد الانتداب دعا نصار نفسه إلى «وطنية عملية»، تنفخ في الأمة روحًا جديدة نشـــيطة ناهضة تنفر من الأقوال وتعشق الأعمال وتنبذ الفساد (ص: 282)، وأنشأ نصار في عام 1921م جمعية النهضة الاقتصادية في فلسطين لترقية الزراعة باعتبارها «أساس ثروة البلاد»، كما هدفت إلى منافسة الاقتصاد الصهيوني (ص: 283 – 284).

كما أولى المثقف الفلسطيني اهتمامًا بقضية الأرض وحمايتها والحؤول دون انتقالها إلى أيدي المستوطنين اليهود، ففي عام 1909 تصدت صحيفة الكرمل لمشروع بيع أراضي السلطان العثماني المُنقلَب عليه في فلســـطين للمنظمات الصهيونيـــة (ص: 286)، وتصدى نجيب

نصار إلى عائلتي سرسرق وتويني وشركاهما، الذين قاموا بيع أكثر من نصف أراضي مرج ابن عامر للصهيونيين (ص: 287).

وفي هذا الإطار لم تسلم الحركة الوطنية وقياداتها من النقد، فمن وجهة نظر المثقفين، كانت بحاجة إلى إضفاء طابعٍ منظمٍ على نشـــاطات الحركة وقياداتها، بعد أن تعلموا قوة التنظيم التي تســـتند إليها المنظمة الصهيونية. وارتأوا أنه لا يُمكـــن أن يتحقق النجاح في معركة «تنازع البقاء» ما دامت قيادة الحركة الوطنية الفلســـطينية تفتقـــد التنظيم الذي يُؤمن لها نجيـــب جميع طاقاتها في هذه المعركة (ص: 291). وتصاعـــدت الدعوة إلى تنظيم الحركة الوطنية وقيادتها وتعزيز الوحدة داخل صفوفها عشـــية وقوع النكبة (ص: 292). وانتقد نجيب نصار القتل الســـياسي كوسيلة «لمعالجة بعض القضايا الوطنية، مثل: بيع الأراضي والســـمسرة عليها؛ باعتبار أن هذا الأسلوب» لا يردع خارجًا عن غيّه، بل يشيع الفوضى والفساد في الصفوف المتراصّة، ويفتح ثغرات يتسرب منها المستعمر» (ص: 294).

كلمتنا،

هكذا، نكون قد أمضينا عشرات الســـاعات مع هذا السفر العلمي – البحثي – التوثيقي المتقـــن، بين تصفّح وقراءة فعّالة، وكتابة – يصحبهـــا مراجعة للكتاب، وقد تم ذلك كلّه بلا كلل أو ملل؛ وذلك لتعطّشنا الشـــديد للدراسات التي تسبر غور الفترة قيد الدراسة في حياة الشـــعب الفلسطيني، التي انتهت بالويل والثبور والوبال على شعبٍ أمضى آلاف الســـنين على أرضه، بلا انقطاع، وواجه احتلالات مختلفة لم تفت في عضده ولا في هويته النابعة من تراب وطنه... إلى أن جاء الزلزال القادم من الغرب عبر المحيطات، والمحمول على دبابات الغرب وطائراته وبوارجه، فاقتلع الشعب الأصلي، وأحدث محاولات «محو» لحضارته ووجوده التاريخي، وأنشـــأ مكانه كيانًا غريبًا أســـماه «إسرائيل»؛ ليشكل رأس حربته الاستعمارية في المنطقة.

بالعودة إلى الدراسة، أرى أنها علّقت الجرس لمنهجية بحثيَّة سوف تترك أثرها في الباحثين من الأجيال القادمة، فقد غطّت مساحات واسعة من الكفاح السلمي للشعب الفلسطيني،

الذي قاده –أو مارس – مثقفوه بهمّة وطنية عالية، وبعزيمة لا تلين، لا تقل في أثرها كثيرًا عن أثر البندقية التي حملها الثائر الذي تمترس خلف سلاحه، فقاتل وقُتل. فكان المثقف – الثائر، الذي أمسك بالقلم وقاتل بالكلمة الحرّة الجريئة توجهات المستعمرين البريطانيين، والحركة الصهيونية المنضوية تحت عباءته، ففضح هذا التحالف الهادف إلى السيطرة على فلسطين؛ بشراء أراضيها والسيطرة على اقتصادها، وتشتيت شعبها الأصلي؛ ببث الفرقة والتشرذم بين أبنائه، وجعلهم تابعين له في كل شيء.

كما نستنتج من هذه الدراسة أن المثقف الفلسطيني قد وثّق لتوجّهاته الفكرية الثورية هذه من خلال المقالات الصحفيّة الجادّة والهادفة، التي جعلت من الصحف الفلسطينية «مدارس متنقلة»، كانت تصدر بغزارة في فلسطين مقارنة مع غيرها من الأقطار، رغم صعوبة الظروف وضيق الحال. أما المجالات التي خاضها المثقف الفلسطيني، ومن خلال الوثائق التي استعرضتها الدراسة، فتكاد تشمل كل شاردة وواردة تتعلق ببناء المجتمع الحداثيّ؛ بدءًا بتربية الطفل وتنشئته تنشئة حداثيّة جوّانية منتمية للوطن وجهوزية الدفاع عنه، وانتهاءً بتنظيم صفوف الحركة الوطنية، والفلّاحين، وبناء المدارس والجامعات، وإنشاء المؤسسات. وكان المثقف الفلسطيني في ذلك كلّه يرنو بنظرة نقدية عميقة لإبداعات الحركة الصهيونية، وهي تتسلل بذكاء ودهاء، ووفق خطط منظّمة ومدروسة، بدعم بريطاني لا محدود، لتنفيذ ما كانوا يخططون له.

نظرًا لأن في الكأس البحثي عادة جزءٌ فارغٌ، يطمح الباحث –صاحب الدراسة – إلى التعرف عليه ممن يقدم قراءة نقدية لدراسته، فإنه يسعدني أن أتوجه للباحث «ماهر الشريف» مشيرًا إلى ما يمكن تصويبه و/ أو تعديله في طبعات قادمة بعون الله:

فالغلاف لم يوفِ المثقفين المذكورين في المحتوى حقهم، وإنما ابتعد إلى مثقفين آخرين. وإن كنا نرى في مثقفي الغلاف رمزيات نزهو بها من جيل إلى جيل، إلا أن القارئ كثيرًا ما يتكئ على سيمياء في التنبؤ بالمحتوى الذي هو مقبلٌ عليه.

وفي جانـــب المحتوى، وجـــدتُ أن الفصل الخامس لم يكن بمســـتوى الفصول الأخرى من حيث الانســـجام بين العنوان «**المثقف الفلســـطيني في مواجهة الاســـتعمار البريطاني**» فالمحتـــوى كان باهتًا وأقل بكثير مما يتوقعه القارئ. علمًا بأن الإشـــارة إلى هذه المواجهة، التـــي يبحث عنها القارئ، جاءت واضحة إلى حد مـــا في الفرع الأخير من الفصل الذي يليه (السادس).

من جانبٍ آخر، يُلاحظ أن الباحث بنى ما يُشبه الحاجز بين ما أسماه «المثقف الفلسطيني» وما أطلق عليه «اليســـاري الفلسطيني»، وأورد الباحث رأي «اليساري» بعيدًا إلى حد ما عن «المثقف». وهنا يكون قد خلق إشـــكالية بحثية، سؤاله: أليس اليساري مثقفًا؟ وهل جميع المثقفين المذكورين في الدراسة غير يساريين؟

وبشـــأن الاستشـــهاد والاقتباس والتعميم، فقد لُوحظ أنه في معظم الاستشهادات على المواقف كان الباحـــث يكتفي برأيٍ واحدٍ لتعميمه باعتبـــاره ظاهرة تنطبق على فئة واســـعة من المثقفين. وفي هذا الجانب نال «نجيب نصّار» و«خليل الســـكاكيني» النصيـــب الأكبر في تعميـــم آرائهم، وقد يعود ذلـــك إلى أن الأول انفرد برأي يغطي عقـــدٍ من العهد العثماني وكامل فترة الانتداب، والثاني صاحب وثائق غزيرة بين يديّ الباحث. ولكن هذين المبررين لا يعنيان أننا أمام ملاحظة تستحق التوقف عندها.

من جانب آخر، بقيَّ القول بأن هناك العديد من فئات المثقفين الذين لم تأتِ الدراسة على ذكرهم، كالمعلمين، والطلبة، والشـــعراء. فمثلًا: لم تأتِ الدراسة على ذكر شعراء في فترة الدراســـة، ودورهم في تأجيج الروح الوطنية، وإنما كان النصيب الأكبر –إن لم نقل جميعه – للصحفيين والسياســـيين. علمًا بأن هناك من هؤلاء الشـــعراء من حمل البندقية وقضى شـــهيدًا كالشـــاعر عبد الرحيم محمود وغيره. وأقصد هنا الأشـــعار الوطنية والتحريضية المنشـــورة في الصحـــف التي تمكن الباحث مـــن الوصول إليها/ كمصادر لدراسته.

أخيرًا، أبارك للمفكر – المؤرخ «ماهر الشريف» هذا الإنجاز العلمي، الذي سيبقى منارة للأجيال؛ قراءةً وفهمًا وتوظيفًا للمعلومات القيّمة التي وردت فيه، وتطويرًا له بدراسات أُخرى تتكئ عليه وتتوسع في سبر غوره، وصولًا إلى عملٍ موسوعيّ، نحن بأمسّ الحاجة له للإجابة على السؤال الاستراتيجي، الذي لم نجب عليه حتى اللحظة، وهو: **كيف ضاعت فلسطين؟**

تآكل «الوضع الراهن»: الصلاة في الحرم تجتذب اليهود(*)

بقلم: أنشل بابر

انقضت ثلاثة أشـــهر ونصف كان الحرم فيها هادئاً منذ انتهاء المعركة الأخيرة، التي بدأت بالاشـــتعال حوله. أحداث وصواريخ شـــهر أيار حل مكانها هدوءٌ نســـبي يزداد بسبب اختفاء الســـياح في فترة «كورونا». في ظل هذا الهدوء يأتي كل يوم من أيام الأســـبوع عدا أيام السبت إلى المكان حجاج غير مسلمين، معظمهم من اليهود.

يدخلون إلى الحـــرم في مجموعاتٍ لأن الشرطة تُصمم على مرافقتهـــم ومراقبتهم بصورة مكثفة. هي تســـمح لهم بالقدوم بين يوم الأحد والخميس من الســـاعة الســـابعة صباحاً وحتى الساعة الحادية عشرة بالتنســـيق مع الأوقاف. في الأسبوعين قبل عيد رأس السنة شاركتُ في هذه المجموعات ســـت مرات. عبرنا معاً في كل مرة في المسار الذي استغرق حوالي 45 دقيقة. ولم يتم تســـجيل أي احتكاك مع المســـلمين المتواجدين في المكان في أي مرة. أثناء الجولة، حيث كان باب الرحمة المغلق في الخلف، بدأ الزوار اليهود بأداء الصلاة

(1) عن «هآرتس».

التي استمرت نحو ربع ساعة. هذه كانت صلاة أرثوذكسية في صيغتها، أجريت في ظروف غير أُرثوذكسية كلياً، وقد قرأ مبعوث الجمهور الصلاة بصوتٍ منخفض. تجمع الرجال والنساء، الحريديم والمتدينون والعلمانيون، حوله بدون حواجز من أجل الإصغاء والترديد بهمس. معظمهم لم يتحركوا. وعندما تحرك أحدهم تقدم رجل شرطة منه للفت انتباهه. ولكن يجب عدم الخطأ. فهذه صلاة يهودية علنية في الحرم.

بصورة رسمية تواجدهم في الموقع الأكثر قداسة للشعب اليهودي لم يكن من شأنه أن يكون مسموحاً به بسبب الخوف من المس بالوضع الراهن. هذا ما كان سارياً طوال عشرات السنين على الأقل. ولكن في السنتين الأخيرتين حدث بالتدريج تغيير من تحت الأرض، بالتعاون مع جهات إنفاذ القانون. في البداية بدأ بالظهور في الحرم عددٌ متنوعٌ من الرجال. ولكن بالتدريج بدأت تشكيلة الحجاج تتغير، وهي الآن تشمل خليطاً من المصلين، رجالٌ ونساءٌ، بعضهم متعصبون وبعضهم أقل تعصباً. جميعهم يشعرون بصلة معينة مع هذا المكان.

تبدد توقعي بأن ألتقي في هذا المكان بالأساس مع أشخاص أيديولوجيين متطرفين. اذا كان الحج في هذا المكان في السابق يقتصر على الجمهور الصهيوني الديني فإنني في زياراتي التقيت تنوعاً مفاجئاً من الإسرائيليين. دوافع مختلفة، ليست دائماً محددة بصورة واضحة. بعضهم يرون في ذلك عملاً سياسياً ووطنياً، وآخرون يتوقون لإقامة «الهيكل الثالث» بسرعة في هذه الأيام. إضافة إليهم هناك أيضاً من يرون الحرم بصورة مبسطة أكثر.

إضافة إلى هؤلاء، في الأسابيع الأخيرة التقيت مع أشخاص قالوا لي بأنهم يقومون بزيارة الحرم في عيد ميلادهم، وهناك من يأتون في ذكرى آبائهم. يمكن للمرء أن يرى في بعض الحجاج تنوعاً في الميول الدينية. مثلاً، في أوساط عائلة جاءت بمناسبة الذكرى السنوية لوفاة الوالد، شُوهد آخر بملابس حريدية بارسلافية، ومستوطن يرتدي قبعة كبيرة وله سوالف، والثالث يرتدي قبعة منسوجة وآخر يجد صعوبة في وضع القبعة على رأسه الأصلع.

حتى في أوساط الزوار الذين ينتمون للصهيونية الدينية يوجد استثناءات. ليسوا جميعهم ينتمون بشكلٍ واضح لليمين المتطرف. «قمت بزيارة المكان في السابق لأنني شعرت بأنني أريد التقرب من القداسة بصورة شخصية»، قالت لي امرأة من الشخصيات العامة معروفة من الوسط – اليسار في الصهيونية الدينية. «وكأنني أريد تنفيذ وصايا أُخرى كامرأة متدينة. ولكني الآن أخشى أن يعرفوني ويعطوا لذلك تفسيرات سياسية».

شخص أكاديمي متدين ومعروف ولا يعتبر وطنيا، أضاف: «لو أنني استطعت زيارة الحرم دون أن يعرفني أحد ويعمل من ذلك قصة، لكنت بدون شك سآتي للزيارة. فهذه تجربة دينية خاصة».

حسب أقوال أوفير ديان، الطالبة والناشطة اليمينية البارزة ابنة الـ 27، كانت الصورة مختلفة فقط قبل أربع سنوات. «كنت حينها أمر بعملية تحقيق»، تذكرت ديان. «سألوني اذا كنت طاهرة. وجوابي كان لا. وقلت لهم هذا ليس من شأنكم. بعد ذلك تعلموا بأن المرأة التي ترتدي البنطال يمكنها أن تخدم النضال من أجل الحرم».

أوفير ديان، التي هي ابنة السفير الإسرائيلي السابق في نيويورك، والذي في القريب سيكون رئيس «يد واسم»، داني ديان، هي ناشطة في جمعية «بأيدينا» من أجل الحرم، وهي تضم شباباً علمانيين.

هذا التناغم الغريب يسري أيضاً في صفوف النشطاء اليهود من أجل الحج إلى الحرم، الذين يعرضون جبهة موحدة. الآن هم والمنظمات المختلفة التي ينتمون إليها يُفضلون العمل معاً، حتى لو كانت أهدافهم دائماً غير متشابهة. «هناك من يريدون البدء بالنضال ونشر كل حادثة يقوم بها شرطي باعتقال يهودي أدى الصلاة بصوت مرتفع»، قال حاييم البويم، الناشط في هيئة منظمات الهيكل، وهو جسم غير رسمي يريد الدفع قُدماً بـ «ثورة يهودية في الحرم». ولكن حسب قوله، «من الأفضل ضبط النفس واستيعاب الوضع وعدم عمل قضية من ذلك، بالتحديد عندما يُحافظون على الهدوء يكون من الأسهل جلب الناس إلى هنا. سيأتي عددٌ قليلٌ فقط اذا اعتقدوا أن هناك احتمالية لاعتقالهم، الحمد لله هذا يعمل وعدد الزوار في ازدياد».

يُصلون من الهاتف الذكي

الآراء مختلفة فيما يتعلق بالموعد الدقيق الذي بدأ فيه رجال الشرطة بالسماح بالصلاة اليومية في الحرم، التي تتكرر بعد الظهر في الصلاة الرئيسية. كما يبدو يمكن إعادة بداية الحركة الى أواخر فترة جلعاد اردان كوزير للأمن الداخلي. حتى تلك الفترة كانوا يعتقلون اليهود في الحرم فقط بسبب التفوه بكلمات الصلاة. ولكن بالتدريج وبصورة غير رسمية، بدأت الصلوات تترسخ، وانتقل الأمر من شخص الى آخر: يُمكن الصلاة بدون اعتقال. حتى أنه في الأشهر الأخيرة نُشرت تقارير حول الموضوع في وسائل الإعلام.

من الصعب التقدير بشكلٍ دقيقٍ لعدد الزوار، لكن لا شك أنه في ازدياد. وحسب منظمة إدارة الحرم فإنه من تاريخ 19 أيلول 2020 إلى 6 أيلول 2021 قام بزيارة الحرم 25581 يهودي من أجل الصلاة هناك، وهي زيادة بنسبة 13 في المئة مقارنة بالعام السابق. في هذه المنظمة قالوا إن زيادة أُخرى سُجلت عند انتهاء الإغلاق الذي فُرض بسبب تفشي «كورونا». يُمكن الافتراض بأن هذا التغيير التدريجي لم يكن ليحدث لو أنه لم يحصل على الدعم من مرجعية مهمة جداً. قبل بضعة أشهر، في صوم 9 آب، زار الحرم 1600 يهودي في يوم واحد، يبدو أن هذا رقم قياسي منذ خراب الهيكل قبل 1951 سنة. في المناسبة ذاتها أصدر رئيس الحكومة، نفتالي بينيت، بياناً مدح فيه المفتش العام للشرطة ووزير الأمن الداخلي على العمل بمسؤولية واتزان مع الحفاظ على حرية العبادة لليهود في الحرم. في أعقاب غضب «راعم»، الشريكة في الائتلاف، وفي أعقاب الضغط من الأردن والأميركيين، أصدر بينيت في اليوم التالي توضيحاً قال فيه: «بأنه لا توجد أي نية لتغيير الوضع الراهن في الحرم». ولكن عملياً الوضع الراهن آخذ في التآكل كل يوم.

«عندما قال بينيت «حرية العبادة» فقد قال ما يريد جمهوره أن يسمعه»، أوضح أرنون سيغل، المراسل في «المصدر الأول» والناشط الرئيسي في الحج للحرم. يبدو أن سيغل محق. بينيت رئيس الحكومة المتدين الأول ربما هو ليس النموذج الروحاني جداً، وفي السابق فضل عدم التطرق بشكل علّني لهذا الموضوع (رغم أن هناك من يقولون بأن بينيت قد

زار الحرم مرة عندما كان فتى في الثمانينيات). ولكن بإحساسه السياسي يستوعب المزاج العام.

رغم دعم بينيت، إلا أن الحج إلى الحرم كان وما زال عملاً للمواجهة والاستفزاز. بالنسبة للحجاج المتدينين فإن الحديث يدور عن تمرد ضد المؤسسة الحاخامية التي فرضت الحظر على هذه العملية. فخلافاً لمئات الحاخامات من الصهيونية الدينية، الذين عبّروا في السابق عن دعمهم، بل قاموا بالذهاب إلى الحرم بأنفسهم (بعضهم من الأجنحة الدينية الليبرالية نسبياً، مثل الحاخام يوفال شارلو)، فإنه لا يوجد أي حاخام حريدي معروف مستعد للتوقيع على فتوى شرعية تسمح بالحج إلى الحرم. ولكن الحريديم الذين يحجون الى إلحرم يقولون إنهم حصلوا على مباركة حاخاماتهم بشكلٍ خاص.

في المقابل، يُشكل الحج إلى الحرم احتجاجاً ضد حكومات «إسرائيل» على أجيالها، من اليمين ومن اليسار، التي أرادت الحفاظ على الهدوء وعلى الوضع الراهن. يُضاف إلى ذلك بُعد تحدي المسلمين الذين يعتبرون المسجد الأقصى المكان المقدس الوحيد الذي بقيَّ لهم في القدس. بين حين وآخر يتصادم الحجاج اليهود مع رجال الشرطة الذين يوجدون هناك من أجل الحفاظ على أمنهم. رجال الشرطة هؤلاء، الذين اعتادوا على إظهار الصرامة في الماضي تجاه المصلين، هم الآن شركاء في معظمهم في هذا الحماس. بعض رجال الشرطة يطلبون من المصلين الصلاة من أجل المرضى وأن يقوموا بالدعاء لأبناء عائلاتهم ولهم أيضاً. أجزاء الصلاة يتم تعليمها شفوياً أو عبر الهاتف الذكي بسبب حظر إدخال الكتب المقدسة إلى المكان.

على خلفية خرق الحظر الصارخ يصعب نسيان هشاشة الأرض التي يقف عليها المصلون. والدليل على ذلك كل مواجهة عنيفة حدثت بين سكان البلاد منذ اللحظة التي بدأت فيها فكرة الوطن القومي لليهود تُهدد المجتمع العربي الذي يُسمي المنطقة مجمع الحرم الشريف، بدءاً من أحداث شباط 1920 وحتى أحداث أيار 2021، وهي 101 سنة من النزاع.

الرّواية الفلسطينيّة

من سنة ١٩٤٨ حتّى الحاضر



بشير أبو منّة

مؤسسة الدراسات الفلسطينية
Institute for Palestine Studies

مؤسسة الدراسات الفلسطينية
شارع أنيس النصولي - فردان
ص. ب.: 7164 ـ 11
الرمز البريدي: 2230 - 1107
بيروت - لبنان
هاتف: 804959 - 814175 - 868387 1 (961+)
فاكس: 814193 1 (961+)
ipsbeirut@palestine-studies.org

ثلاث قصص للأطفال

مهدي وأطفال الحي- طيور السماء- كوكب بعيد في الفضاء

محمود شقير(*)

روائي فلسطيني

إسمي مَهدي، ذهبتُ معَ أمّي في الصباح.

ذهبتُ مَعها إلى القُدس، ورأيتُ أناسًا كثيرينَ في إحدى الساحات.

قالت أمي: هؤلاء أمّهاتُ الأسْرى، وزوجاتُهم وأولادُهم وبناتُهم.

رأيــتُ ابنةَ الجيرانِ جُمانة وأمَّها هُناك. تَجمَّعنا معًــا وهَتفنا بصوتٍ واحد: الحرّيّةُ للأسْرى وللأسيرات.

جاءتْ خيولُ الأعداء وعلى صَهواتها جنودٌ فُرســان. قالت أمّي: أسْرانا في سُــجونكم.

قلت: أبي في سِجنكم.

قالتْ أمُّ جمانة: ابني في سُجونكم.

قالتْ جُمانة: شقيقي في سُجونكم.

(1) من منشورات دار إلياحور للنشر والتوزيع/ أبو ديس/ القدس.

دَفعوا خيولَهم نحوَنا. ونحنُ نهتف: الحرّيّةُ للأسرى وللأسيرات.

ولمْ يتوقّفوا عنْ دَفْعِ الخيــولِ نحوَنا. تَفرّقنا، ثمّ تجمَّعنا وَهَتفنا من جديد: الحرّيّة للأسْرى وللأسيرات.

عُدتُ مَع أمّي إلى البيت.

بعدَ ساعتين خرجتُ إلى ســاحة الحيّ. وجدتُ جُمانةَ في الساحة، وَمعها عددٌ من الأولاد والبنات. تجمَّعوا من حولي ورُحنا نهتفُ: الحرّيّةُ للأسرى وللأسيرات.

بَقينا نهتفُ إلى أنْ غابتِ الشَّمسُ وحلَّ المساء. رفرفت طيور كثيرة في السماء.

قلتُ لجمانةَ ونحنُ نُغادرُ الساحة: غدًا نُواصل الهتاف.

قالت جُمانةُ بهدوئها المعهود: نعم، نُواصل الهتاف في الصباح وفي المساء.

طيورُ السماء

نظرَ مَهدي وجمانةُ نحوَ الســماء، وَشــاهدا سِربًا من الطيور يقتربُ منهما ويحطُّ على بلاطِ الساحةِ وعلى شجرةِ الرمَّان.

قالَ أحدُ الطيور: نحنُ قادمونَ من أعالي السماء.

قالَ طائرٌ آخرُ: نحنُ أطفالُ غزَّةَ الشهداء.

دُهشتْ جُمانةُ وقالت: سلامٌ عليكُم أيُّها الأطفالُ الأعزَّاء.

دُهشَ مَهدي وقال: سلامٌ عليكُم.

ثمَّ سأل: إلى أينَ أنتُم ذاهبون؟

قالَ الطائرُ الأوَّل: ذاهبونَ إلى المسجدِ الأقصى وإلى كَنيسةِ القيامة.

فركتْ جُمانةُ كفّيها بحماسةٍ وقالت: كُنَّا، أنا ومَهدي هُناك في المسجد وفي الكنيسة.

قال مَهدي: نعم، كُنَّا هُناكَ قبلَ أيَّام.

ثمَّ سأل: وبعد ذلكَ أينَ تَذهبون؟

قال الطائرُ الأوّل: نعودُ إلى أعالي السماء.

سألتْ جُمانة: ألنْ تذهبوا إلى أهلكِم في غَزَّة؟

قالَ الأوَّل: كُنَّا هُناكَ قبلَ الحربِ الأخيرة.

قالَ الثاني: سنذهبُ إليهم، ولكنْ ليسَ الآن.

وقال مخاطبًا مَهدي وجمانة: ليتكُما تُبلّغانِهم سلامَنا.

قال مهدي: سنبلّغُهم سلامَكم.

طارتِ الطيــورُ نحوَ القُدس. لوّحَ مَهدي وجُمانةُ لهم بيديْهما، وقالَا في وقتٍ واحد: وَداعًا أيُّها الأطفالُ الشهداء، الوداعَ ثمّ الوداع.

كوكبٌ بعيدٌ في الفضاء

شَعرَ مَهدي بالدهشــة وأمُّه تقرأ لَه عنْ كَوْكبٍ بعيدٍ في الفضاء، نحتاجُ نحنُ أهلَ كوْكبِ الأرضِ ستَّةً وعشرين مليونَ سنةٍ ضوئيَّةٍ لكي نصلَ إليه.

تعجَّبَ مَهدي وظلَّ يُفكِّرُ في هذا الرقَم المَهول ثمَّ نام.

رأى في المَنام مدينةَ القدسِ وهي تشكو إليه سوءَ الأحوال.

قالت: تعبتُ يا مَهدي، ومن حقّي أنْ أخرجَ إلى هذا الفضاء الرحْب في إجازةٍ طويلة.

سألها مَهدي: أينَ تَخرجين؟

قالت: إلى ذلك الكوْكبِ الذي كانتَ أمُّكَ تَقرأ لكَ عنْهُ قبلَ أنْ تنام.

اســتيقظَ مَهدي في الصباح وَتذكَّرَ حُلْمَه. أطلَّ من الشــبّاك ورأى القدسَ في مَكانها؛ ولم تُغادرْه إلى الفضاء.

أحسَّ بارتياح، وراحَ يَروي لأمِّه حُلمَه الظريف وهو يشربُ حليبَ الصباح.

وحــينَ التقى الخالةَ مريمَ أمامَ بيتهــا؛ وَمَعه صديقتُه جُمانة، راحَ يَــروي لهُما حُلمَه؛ وهُما تُصْغيانِ لَهُ بانتباه.

ثمَّ تَشعرانِ بارتياح لأنَّ القدسَ ظَلَّتْ في مَكانِها؛ ولم تُغادرْه إلى أيِّ مَكان.

تقرير أخبار جامعة القدس
حزيران، تموز، آب، أيلول 2021

الأول من نوعه في فلسطين: التعليم العالي يعتمد برنامج الدكتوراه في «الصحة العامة» في جامعة القدس

حصل برنامج الدكتوراه في «الصحة العامة» في جامعة القدس على اعتماد الهيئة الوطنية للاعتماد والجودة والنوعية في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الفلسطينية، وذلك استعدادًا لطرحه رسميًا ابتداءً من العام الأكاديمي 2021/ 2022، باعتباره البرنامج الأول من نوعه على مستوى جامعات الوطن، لتسجل الجامعة بذلك إضافة نوعية للحقل الصحي الفلسطيني في ظل الظرف الوبائي الذي يمر به العالم.

ويهدف برنامج الدكتوراه إلى المساهمة في تحسين الوضع الصحي وخلق مجتمعات صحية، عبر تخريج مهنيين ذوي كفاءة عالية في مجال الصحة العامة، وباحثين مستقلين يُفكرون بشكلٍ نقدي لإنتاج حلول مبتكرة وتطوير معرفة جديدة في مجال الصحة العامة، وقياديين لديهم القدرة على التطوير والتغيير والابتكار ورسم السياسات الصحية، وإحداث التغيير وإدارة المؤسسات والبحث في القضايا الصحية.

من ناحيتها، أوضحت عميد كلية الصحة العامة د. أسـمى الإمـام أن هذا البرنامج تم إعـداده انطلاقًا من إيمان كلية الصحة العامة في الجامعـة بأن تُصبح مركزًا إقليميًا وعالميًا للتميز في إنتاج المعرفـة والتعلم والبحث والابتكار، مما يتوافق مع الدور الريادي لجامعة القدس في دعم البحوث وإثراء العلوم الصحية في فلسطين.

يُجدر بالذّكر أن برنامج الصحة العامّة تم إعداده بعد التفوق والإبداع والتميز الذي أظهره خريجو برامج الماجستير في الصحة العامة في جامعة القدس في المجالات الصحية المتعددة، مما يدل على تفوق خريجي الجامعة وسـعيهم لنشر رسالتها الإنسانية والعلمية على مختلف الأصعدة والمجالات.

الأول في الوطن العربي: جامعة القدس تطرح برنامج البكالوريوس في الكيمياء الطبية الفصل القادم

تستعد كلية العلوم في جامعة القدس لطرح برنامج البكالوريوس في الكيمياء الطبية ابتداءً من الفصل الدراسي الأول من العام الأكاديمي 2021/ 2022، لتكون السباقة إلى تدريسه محليًا وعربيًا، وهو تخصص متعدد المجالات يشـمل الكيمياء وعلوم الأحياء والصيدلة، ويأتي ضمن البرامج التمهيدية لدراسة الطب (Pre – Medicine)، إضافة إلى الدراسات العليا في الكيمياء، وعلوم الأحياء، والعلوم الصيدلانية.

ويتضمن البرنامج 125 ساعة تدريسية من الممكن اجتيازها في 3 سنوات ونصف في سبعة فصول دراسية جامعية، ستُعِدُ الطلبة للحصول على قاعدة معرفية شاملة وتدريبٍ مرنٍ في التطبيقات الطبية الكيميائية، باستخدام تقنيات الكيمياء الطبية في البحث لإعداد عقاقير جديدة وتطوير الأدوية وتحضير علاجات تعتمد على المنتجات الطبيعية، ودراسة الأدوية الجديدة للعديد من الأمراض بما في ذلـك السرطان، بالإضافة إلى العديد من التطبيقات الأخرى في المجالات الطبية والصناعية.

وإلى جانب تدريب الطلاب ككيميائيين، سيكتسبون المهارات والمعرفة اللازمة للمهن في الكيمياء الطبية والتكنولوجيا الحيوية، حيث يتعامل برنامج الكيمياء الطبية مع النظريات

والتجارب الكيميائية الحديثة ويحتوي على العديد من الموضوعات حول الحياة والصحة، ويُشـــجع الطلاب على التعامل مع العلوم الطبية من وجهة نظر متعددة التخصصات، مما سيمكنهم من الحصول على أســـاسٍ قوي في الكيمياء والبيولوجيا والعلوم الصيدلانية، تليها مساقات عُليا متخصصة في الكيمياء الطبية، كما ويوظف التدريب العملي في المختبر الأجهزة والتقنيات الحديثة التي يتطلبها البرنامج.

جامعة القدس ضمن أفضل 1200 جامعة في العالم وفقاً لتصنيف الـQS السنوي

أصدرت مؤسســـة QS التصنيف السنوي للجامعات على مســـتوى العالم للعام 2022، والذي يشـــمل أفضل 1300 جامعة بين آلاف الجامعات التي تم تقييمها، ليظهر دخول ثلاث جامعات فلســـطينية التصنيف تصدرتها القدس والنجـــاح اللتان حلّتا ضمن فئة أفضـــل 1000 – 1200 جامعة حول العالم، تليهما بـــير زيت التي حلّت في الفئة 1200 – 1300 جامعة.

ويُظهر التصنيف الذي تدخله الجامعة لأول مرة، تفوقها على المستوى العربي لدى مراقبة أدائهـــا لتنتقل من بين أفضل 71 – 80 جامعة عربيـــة، إلى فئة أفضل 51 – 60 جامعة، في تقدم اســـتحقته بإثراء مجال البحث العلمي والإبداع، وتطوير الأدوات العلمية في سبيل تمكين الطلبة من سبر مختلف سبل المعرفة والعلم.

الأولى فلسطينيًا في فئة الإبداع البحثي

في سياقٍ متصلٍ، نوّهت عميد البحث العلمي د. إلهام الخطيب إلى أن الجامعة نالت المركز الأول بين الجامعات الفلسطينية في فئة الإبداع البحثي، التي تعكس عدد براءات الاختراع المسجلة في القاعدة البحثية، وذلك وفق تصنيفٍ صدر حديثًا عن المحرك البحثي لقاعدة Scopus الذي يعرف بـ«Scimago»، إذ تعتبر الجامعة الأولى في عدد براءات الاختراع المسجلة في القواعد البحثية العالمية على مستوى الوطن، وتُعد كذلك الأولى فلسطينيًا في أبحاث الصناعات الدوائية، وعلم الدوائيات، وعلم السميّات، وفي المركز 48 على المستوى العربي في الأبحاث المذكورة.

المركز الأول في الاستشهادات البحثية في فلسطين وفق QS

وأضافت د. الخطيب «تأتي هذه الإنجازات ضمن استراتيجية علمية تنتهجها الجامعة لتكون بذلك في مقدمة الجامعات البحثية في المنطقة، وتعتمد البحث العلمي فيها كأساسٍ للعملية الأكاديمية والمعرفية، حيث احتلت الجامعة المرتبة الأولى في فلسطين والمركز رقم 21 بين الدول العربية في مؤشر عدد الاستشهادات لكل ورقة بحثية حسب تقرير مؤسسة QS للعام 2020 – 2021، مما يعكس الأثر الهام للأوراق البحثية لباحثيّ الجامعة. كما جاءت بحسب التقرير في المركز الثاني على مستوى جامعات الوطن من حيث التعاون البحثي العالمي، لتتقدم بذلك 10 نقاط عن العام السابق».

66% من منشورات الجامعة في الربع الأول والثاني الأعلى تصنيفًا في Scopus

وفي عدد الأوراق البحثية المصنفة في قواعد بحثية عالمية، فإن مركز الجامعة في ارتفاعٍ تدريجي مستمر منذ عام 2015، حيث وصل عدد الأوراق البحثية المنشورة عام 2019 إلى 108 ورقة بحثية مصنفة في القاعدة العالمية المرموقة Scopus، وفي عام 2020 نشرت الجامعة 125 ورقة بحثية، في مجالات متنوعة تشمل تخصصات الطب والعلوم الطبية والصحية، والعلوم الطبية الحيوية، وعلوم الجينات والكيمياء، والهندسة، لتبلغ نسبة منشورات جامعة القدس في الربع الأعلى في ترتيب مجلات العالمية في قاعدة Scopus 42، و26 % في الربع الثاني الأعلى تصنيفًا في القواعد، بحسب د. الخطيب.

وتعزو د. الخطيب هذا التقدم الذي تحرزه جامعة القدس بين نظيراتها المحلية والدولية، إلى وضعها استراتيجية نقدية وبحثية رائدة، تعمل من خلالها على التعليم والتعلّم وإيجاد فرصًا ترقى بالطلبة والمجتمع في آنٍ واحدٍ، عبر تزويد الطالب بالأدوات المعرفية وطرق توظيفها والإبداع من خلالها، للخروج بأفضل المخرجات الريادية والعلمية.

- مشاركون في مؤتمر TEDx جامعة القدس يتحدثون عن تجاربهم الملهمة تحت شعار «إن لم نكن نحن، فمن إذاً؟»

نظمت جامعة القدس مؤتمرTEDxAlQudsUniversity للعام الثالث، تحت شعار

«إن لم نكن نحن، فمن إذاً؟»، في حرمها الرئيس، بمشـــاركة 10 متحدثين رياديين، وذلك بحضور رئيس الجامعة أ.د. عماد أبو كشـــك، والســـيد منيب المصري الداعم للمؤتمر من خلال مؤسسة منيب وأنجيلا المصري، وطلبة وأعضاء هيئة تدريسية من الجامعة وبعض الضيوف.

وتنـــاول المتحدثون المشـــاركون من مختلف المهـــن ومن جميع فئـــات المجتمع ابداعاتهم وتجاربهم العملية والشـــخصية بأفـــكار ملهمة للآخرين الاجتماعية منهـــا والاقتصادية والبيئية والعلمية المتنوعة.

وأشاد أ.د. أبو كشك بقدرات طلبة جامعة القدس وطاقاتهم الايجابية في خلق بيئة إبداعية فعّالـــة في الجامعة، ولإحضارهم لمنصة «TED» العالمية إلى جامعة القدس، مؤكداً أن هذه الأفكار الشبابية تُشكل رافعة قوية لمستقبل أفضل.

وأكـــد أ.د. أبو كشـــك دعم جامعة القـــدس للطلبة انطلاقاً من إيمانهـــا بالإبداع وصقل مواهبهم لتلبية احتياجات السوق المحلي والعالمي.

وشكر أ.د. أبو كشك السيد منيب المصري، والبنك الوطني لدعمهما للمؤتمر، ولكل من ساهم في إنجاحه.

وقالت منســـقة المؤتمر طالبة الطب البشري حنين الشرباتي: «إنه رغم الظروف المحيطة بنا بسبب وباء كورونا، قررنا وزملائي تنظيم المؤتمر تحت شعار «إن لم نكن نحن، فمن إذاً؟» والذي يدل على ضرورة المثابرة للعمل والاجتهاد والإرادة، ومن هنا انطلقنا لإيماننا بأهمية أن يكون لنا كشـــباب دور في المجتمع، مقدمةً شـــكرها لجامعة القدس لدعمها المتواصل ولكل الداعمين».

وتناول المتحدثون السبعة مواضيع إلهامية مختلفة، فتحدث المحاضر والباحث في كلية الصيدلة في جامعة القدس د. حســـين حلاق عن كيفية تحديد الأولويات لاختيار وصنع قرار سليم بما يتناسب مع كل شخص وما يُحبه، وعدم النظر إلى الخلف وتحديد الهدف للانطلاق.

وتطرق الفنان التشـــكيلي المعاصر ســـليمان منصور إلى الحديث عن مسيرته الفنية وحياته

ودراسته ولوحته المشهورة «جمل المحامل» المتمثلة برجل عجوز يحمل مدينة القدس على ظهره والتي تدل على معاناة الشعب الفلسطيني عبر التاريخ.

وبينت الأخصائية النفسية والناشطة الاجتماعية جمانة كبلانيان في حديثها عن تجربتها الشخصية والصعاب التي واجهتها حتى أصبحت تدير مؤسسة للتوعية والتثقيف النفسي في فلسطين.

وطرحت المتحدثة الدكتورة صفاء الظاهر المحاضرة في جامعة القدس العديد من المحطات في حياتها التي كانت تتغير بشكلٍ جذري كل 18 عاماً، منذ بداية زواجها وهي في عمر 18 وانفصالها بعد 18 عام من زواجها، وحصولها على درجة الدكتوراه بعد 18 عاماً أخرى، ملقية الضوء على الصعاب التي واجهتها بسبب العادات والتقاليد في مجتمعنا، وكيف استطاعت أن تتغلب عليها بالعلم والإرادة والعمل.

وتخلل المؤتمر عرضاً موسيقياً من الفرقة الموسيقية «مزاج» مستلهم من المعاناة اليومية للإنسان الفلسطيني، وباستخدام لهجة مقدسية متميزة مستمدة من رمزية أسوار القدس، ويُشار إلى أن المؤتمر اقتصر على 70 مشاركاً من الحضور تماشياً مع البروتوكول الصحي المتبع للحد من انتشار فيروس كورونا. يُسلط الحدث الضوء على القوة التي يمتلكها الجيل الشاب لإحداث التغيير في المجتمع، وذلك من خلال عرض المتحدثين لأفكارهم وقصصهم، بهدف إلهام الحضور وتمكين الشباب وحثهم على إحداث التغيير.

«أمل مزمن»: جامعة القدس تنظم النسخة الثانية من PMSA Jerusalem Talks

نظم الاتحاد الدولي لجمعيات طلبة الطب – القدس النسخة الثانية من فعالية PMSA Jerusalem Talks، بعنوان «أمل مزمن»، استضافت أشخاصًا ناجحين ومؤثرين على المستوى الطبي، والثقافي، والاجتماعي، ليشاركوا تجارب وتحديات مروا بها في مسيرتهم، من أجل إلهام الطلبة وتشجيعهم.

وعبّر رئيس جامعة القدس أ.د. عماد أبو كشك عن فخره بالطلبة المتميزين وما يقدمونه من مبادرات من شأنها أن تصقل المهارات والقيم كمخرج أساسي من مخرجات التعليم

العالي على مختلف الأصعدة السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية، إلى جانب المعارف التي يكتسبونها من التخصص الجامعي.

وأشار أ.د. أبو كشك إلى أن الطلبة سيكونون سفراء من أجل تعزيز المفاهيم القيمية وإعادة تصويبها، فهم الأمل في إعادة بناء المجتمع والنهوض به في ظل ما يمر به الفلسطيني سواءً على مستوى الشأن السياسي الداخلي أم الخارجي والوطني، ليختتم كلمته بالقول «أنتم قادة هذا التغيير الذي نُريد».

من جهته، نوُه عميد كلية الطب د. هاني عابدين إلى أن الظروف التي مرت بها الجامعة وفلسطين خلال جائحة كورونا كانت قد أثرت على المسيرة الأكاديمية، إلا أن الجامعة نجحت في اجتيازها والبناء عليها من خلال الحفاظ على استمرارية العملية التعليمية، ومثال ذلك كلية الطب التي تمكنت من حل إشكالية التدريب السريري بالتعليم المدمج، وما يقوم به طلبة الكلية اليوم من مبادرات استثنائية قادرة على التغيير والبناء، مؤكدًا أن مسؤولية طالب الطب كبيرة، وكثيرًا من الأمل يعقد عليه لتحسين النظام الصحي الفلسطيني وتطويره.

بدوره، قال عميد شؤون الطلبة د. عبد الرؤوف السناوي أن جامعة القدس هي الحاضنة والمنصة الموجودة دائمًا أمام طلبة الطب أينما كانوا، فدورها أن تُعزز القيم المجتمعية والوطنية، وهو ما يتضح من خلال مبادرات الطلبة المؤثرة والهادفة، مشيرًا إلى أن العمادة تسعى للنهوض بدور الجامعة وفق توجيهات رئيسها، كما أن الجامعة أسست حاضنةً للريادة والأعمال لتحتوي وتحتضن مختلف الأفكار وتُزودها بالدعم اللازم لتنطلق وتُطبّق واقعيًا، ووجه شكره لطلبة الاتحاد الذين سعوا لإنجاح الفعالية رغم ظروف الجائحة.

وفي كلمة ترحيبية ألقاها رئيس الاتحاد طالب الطب البشري – مستوى سنة خامسة – يزن أبو ذريع، شكر الحضور والجامعة على مساندتها للاتحاد ودعمها من أجل النهوض رغم الظروف الصحية التي عرقلت عمله، ليعود اليوم عبر هذه الفعالية في نسختها الثانية ليثبت «الأمل المزمن» لديه، كما عنوانها لهذا العام.

وكان المتحدث الأول للفعالية رئيس مؤسسة جذور للإنماء الصحي والاجتماعي د. أمية خماش الذي تناول في عرض تقديميّ تحديات الصحة في فلسطين، وعلاقتها مع الحقول الأخرى كالتغذية والتعليم والتغيير السياسي، وجاء ضمن أهمها الاحتلال والنظام السياسي المفروض وكل ما يُسببه من عرقلات في التنقل بسبب الحدود والجدار والفصل بين المحافظات الفلسطينية، إضافة إلى نقص التغذية والأمراض المعدية وغيرها، مشددًا على دور الطبيب في التغيير على مختلف المستويات وعملية التحرر عامة.

وتاليًا جاء طبيب الجراحة في مستشفى أريحا والأستاذ في كلية الطب البشري في الجامعة د. مصطفى نخالة، وتطرق في حديثه لمواقف إنسانية واجهته أثناء عمله على إنقاذ الجرحى والمصابين على أيدي الاحتلال، موجهًا بذلك رسالة للطلبة حول دورهم الإنساني والوطني وأهمية أن يكونوا أطباء في فلسطين خاصة.

وشاركت الإعلامية لانا كلغاصي تجربتها في الوصول لإحدى كبرى وسائل الإعلام العربية بعد تخرجها، وكيف أثرت هذه التجربة على شخصيتها وحفزت لديها سمة الإصرار من أجل الوصول للحلم وتحقيق الهدف.

وتطرق مدير العلاقات العامة في مختبرات ميديكير عبد الرحمن أبو بكر عن ظروف اختياره للتخصص ومراحل العمل في المختبرات، إضافة إلى نبذة حول تأسيسها وعملها وخدماتها، وكيف استطاع التغلب على تحدي التخصص المغاير لتخصصه عبر تطوير مهاراته وقدراته، والتحديات التي واجهت المؤسسة في كورونا إثر الإغلاق، ذاهبًا إلى أهمية الثبات على الهدف والسعي من أجله، كما شكر طلبة الاتحاد على جهودهم وطاقاتهم الإبداعية من أجل رفع الوعي الصحي لدى الفلسطيني.

واختتم العازف هارون نيروخ في عرض لمسيرته الموسيقية والفرص التي تلقاها للعزف والدراسة على مستويات فنية ودولية مختلفة، وعرض حول أهمية الموسيقى للدماغ، كما قدم معزوفة موسيقية إبداعية.

تأهل للمنافسة الإقليمية: فريق من طلبة جامعة القدس يفوز في مسابقة برنامج الشركات الطلابية على مستوى جامعات الوطن

فازت مجموعة Clean PalCo الممثلة عن جامعة القدس كأفضل شركة طلابية عن فئة الجامعات للعام 2021 على مستوى الوطن، في المسابقة المحلية التي نظمها برنامج الشركات الطلابية – إنجاز فلسطين، وذلك من بين 13 شركة مشاركة شملت 5 مدارس و8 جامعات، حيث تُوّجت المجموعة في احتفال رواد الأعمال الشباب 2021 الذي أقامته شركة إنجاز فلسطين.

وتأهلت المجموعة لتمثيل دولة فلسطين في المسابقة الإقليمية التي ستنظمها مؤسسة إنجاز العرب في المرحلة التالية في دولة قطر على مستوى 13 دولة عربية، وتكوّن الفريق من الطلبة محمد ارزيقات كمدير عام، ملاك عزام كمديرة للعلاقات العامة، سلمان عويس كمدير مبيعات وتسويق، أحمد هيجاوي كمدير للمالية، شيماء زواهرة كمديرة للموارد البشرية، رزان جعافرة كمديرة للقسم الفني، سماح عمار كمدير للإنتاج، مهدي أبو خالد كمشرف للصيانة، زينة بيشاوي كمشرفة إنتاج، فادي فروخ كمشرف للمستودعات ودائرة الحاسوب، ميار سالم كمشرفة لضبط الجودة، براءة عبد الوهاب كمشرف لأنظمة الجودة، ميار حسن كمشرف تسويق ومبيعات، أماني فراح كمشرفة للمشتريات.

وحول هذا الإنجاز قال مدير وحدة الخريجين أ. ضياء دلبح «نحن فخورين بإنجاز جامعة القدس، ويجدر الإشارة إلى أن المستشار لطلاب الشركة الطلابية هو خريج الجامعة والمدير الفني لشركة سنيورة أ. أحمد شكارنة، ويأتي هذا الفوز كنتيجة لدعم رئيس الجامعة وتوجيهاته، وهي بداية النجاح لهؤلاء الطلاب في حياتهم العملية، كما نتطلع نحن في المستقبل القريب لتعزيز القدرة الإنتاجية للخريجين، ومساعدة الطلبة لخلق وظائفهم الخاصة في ظل الأوضاع الاقتصادية والمهنية السائدة».

من جانبه، أوضح الطالب سلمان عويس، وهو مدير التسويق والمبيعات في الشركة، أنها

تعتــبر الأولى عالميًا في اعتمادها على إعادة تدوير مخلفات المناشــير (ربو الحجر) وإطارات السيارات لإنتاج منتجات إنشائية تتصف بمواصفات عالية الجودة مثل: الطوب والبلاط والأرضيــات المطاطية، وتطابق منتجاتها مواصفات ومعايير الجودة الفلســطينية، حيث عمل وزملاءه على الشركة لأكثر من 8 أشــهر قاموا بها بتدريبات مكثفة وتجارب عملية للخروج بأفضل نظام وأحسن المنتجات المنافسة عالميًا.

وعــن اختيار فكرة الشركة تقول مديرة العلاقات العامة الطالبة ملاك عزام «بداية قصتنا كانت عندما عرض أحد أعضاء الفريق فكرة إعادة تدوير الكوشــوك وربو المناشير معًا لتكوين منتجات ذات جودة ومواصفات عالمية، وبعد أشــهر من الجد والجهد والســعي والعمل كانت مليئة بالتعاون وروح الفريق الواحد، فزنا اليوم بلقب أفضل شركة طلابية للعام 2021، وتأهلنا لتمثيل فلســطين في المســابقة الإقليمية على مستوى الوطن العربي، وبذلك سنكون أول شركة طلابية تُشارك، مُمثلةً عن جامعة القدس وتحصد نجاحًا كبيرًا».

وكانت جامعة القدس قد شاركت في برنامج الشركة الطلابية في إطار شراكتها ومؤسسة إنجاز فلســطين، ويعتمد البرنامج عــلى التدريب العملي للطلبة المشــاركين من خلال قيامهم بإنشــاء شركة ريادية خاصة بهم بكافة تفاصيلها الإدارية والمالية والتسويقية تحت إشراف مباشر لمستشــارين من القطاع الخاص، وتُشارك المجموعات الممثلة عن المدارس والجامعات في المســابقة الوطنيــة التي تعرض خلالها الأعمال المتنافســة على لجنة تحكيم مختصة، لتمثل الشركة الطلابية الفائزة على مســتوى الوطن دولة فلســطين في المســابقة الإقليمية التي تُطلقها شبكة إنجاز العرب لتحصل الشركة الفائزة على لقب «أفضل شركة طلابية على المستوى الإقليمي» لفئة الجامعات.

د. أبو سير تحصل على المستوى الثاني لجائزة أفضل بحث في المؤتمر الدولي الفلسطيني للطب المخبري

حصلت د. رانية أبو ســير عميد كلية المهن الصحية ومســاعد الرئيس للشــؤون الطبية والصحية وطالبتها داليا أبو هلال على المســتوى الثــاني لجائزة أفضل بحث علمي الذي كان بعنوان:

«Microsatellite Instability and Mismatch Repair Genes Variation Testing for the Identification of Lynch Syndrome among Palestinian Colorectal Cancer Patients».

وذلك خلال المؤتمر الدولي الفلسطيني الحادي عشر للطب المخبري الذي عُقد برعاية الاتحاد العربي للبيولوجيا السريرية والطب المخبري (AFCB) والاتحاد الدولي للكيمياء السريرية والطب المخبري (IFCC)، حيث شارك في هذا المؤتمر أكثر من 44 ورقة علمية لباحثين من دول عربية وأوروبية.

وقالت د. أبو سير أن طالبة برنامج الماجستير في الكيمياء الحيوية والأحياء الجزيئية داليا أبو هلال قدمت البحث، مضيفةً أن الهدف من الدراسة هي البحث في العوامل الوراثية المؤثرة في سرطان القولون، ولا سيما متلازمة لينش ومدى انتشارها بين مرضى سرطان القولون والمستقيم الفلسطينيين.

ولفتت إلى أن نتائج الدراسة قدرت أن حوالي 7 % من مرضى سرطان القولون والمستقيم يُعانون من هذه المتلازمة، وهي حوالي ضعفي النسبة لنظرائهم في الدول المتقدمة، مشيرةً إلى أن أهمية هذه الدراسة تكمن في قدرتها على تحديد المستوى الوراثي لعائلات الأفراد الذين لديهم مستوى خطورة أعلى للإصابة بالسرطان وبالتالي القدرة على متابعتهم للوقاية والكشف المبكر عن الإصابة وبالتالي التقليل من وفيات مرض سرطان القولون مستقبلاً.

وأضافت، «إن هذا البحث جزءٌ من دراسة كبيرة تهدف لدراسة العوامل الجينية والبيئية لسرطان القولون في فلسطين بما فيها العادات الغذائية والتدخين والنشاط البدني».

ويُشار إلى أن د. رانية حصلت في ذات المؤتمر على جائزة نقيب الطب المخبري نظير خدماتها المتميزة التي تُقدمها لمهنة الطب المخبري في فلسطين ومساهمتها الفعالة في إنجاح المؤتمرات العلمية التي تعقدها نقابة الطب المخبري وقيادتها ودعمها للبحث العلمي في مجال مهنة الطب المخبري، وهي باحثة نشيطة ومتميزة في مجال علم الدم وأمراض السرطان ولها العديد من الأبحاث العلمية المنشورة في مجلات علمية مُحكّمة، وحصلت

على العديد من الجوائز والمكافآت لمشاركاتها وأبحاثها ومشاريعها العلمية. كما أنها فاعلة في خدمة المجتمع فهي عضو في العديد من اللجان الصحية المحلية والدولية، فضلاً عن مشاركتها في العديد من النشاطات ذات العلاقة بخدمة المجتمع. ولها العديد من الإنجازات الأكاديمية والإدارية على مستوى الجامعة وكلية المهن الصحية.

أعادتا إحياء قرية الدامون: طالبتان في الهندسة المعمارية في جامعة القدس تفوزان في المسابقة العالمية لإحياء القرى المهجرة

فازت الطالبتان في دائرة الهندسة المعمارية في جامعة القدس مريم الوحش ودينا أبو شملة بالمرتبة الثالثة في المسابقة المعمارية العالمية لإحياء القرى الفلسطينية المهجرة التي تطرحها هيئة أرض فلسطين سنويًا، بإشراف الدكتورة مها السمان، وقُيّمت المشاريع في العاصمة البريطانية لندن، بمشاركة 66 طالبًا فلسطينيًا من 10 جامعات، قدموا 22 مشروعًا من بلدان مختلفة.

وتهدف المسابقة إلى تأمين أفضل تصميم لإعادة إعمار القرى الفلسطينية التي دمرت عام 1948، حيث أدى التطهير العرقي الإسرائيلي لفلسطين آنذاك إلى إخلاء 675 بلدة وقرية مدمرة، ويجري توفير التوثيق لمعظم القرى المدمرة بغرض إعادة تصميمها على نفس موقع القرية، مع مراعاة ظروف السكان والخدمات المحدثة، وتستهدف المسابقة طلبة العمارة الفلسطينيين حول العالم.

وعقبت رئيس دائرة الهندسة المعمارية د. يارا السيفي على هذا النجاح «فخورة بتحصيل طلبتنا في فترة قصيرة، حيث أثبت طلبة العمارة خلالها جدارتهم وقدراتهم على المنافسة مع جامعات ومدارس معمارية في الإقليم وحول العالم، وتمكنوا من الحصول على مراتب عالية ومتقدمة، مما يدل على سير برنامجنا الأكاديمي وخطة عملنا في الطريق الصحيح».

وأوضحت الطالبة أبو شملة فكرة المشروع الفائز بقولها: «مشروعنا يدور حول إعادة إحياء قرية الدامون المُهجرة، قضاء عكا، ولم تقتصر عملية الإحياء على توفير الاحتياجات الأساسية للسكان المستقبليين فقط، بل كان هناك جزء كبير من المشروع مقام على أنقاض

البلـــدة القديمة التي بنى فيهـــا الناس ذكرياتهم التـــي دمرتها النكبة، ولـــذا تدور فكرة المـــشروع حول مفهوم إحياء الذاكرة، وهي الـــشيء الوحيد الذي بقي مرافقًا للاجئين في مهجرهم وتفاوتت هذه الذكريات بين المؤلمة التي حملوها من تهجيرهم ومسار رحيلهم، والذكريات الجميلة التي ارتبطت بحياتهـــم قبل عام النكبة.. فهي تجربة فريدة من نوعها كونها ارتبطت بشكل مباشر بتجسيد مفهوم الذاكرة وإخراجها على هيئة عمارة، إضافة إلى أن هذا المشروع ارتبط بقضيتنا التي ما زالت حاضرة إلى يومنا هذا».

وعن دور الجامعة في دعم المشروع أكدت «كان لجامعة القدس وخاصةً كلية الهندســـة – دائرة الهندســـة المعمارية، دورًا كبيرًا لكونهم الداعم الأول في كل خطوة ومرحلة مررنا بها لنخرج بهذا المشروع المتكامل.. كانت تجربة فريدة من نوعها وتركت بصمة قوية داخلنا، فلم يكن مجرد مشروع عابر، بل عشـــناه بكل تفاصيله الحزينة والجميلة المنســـوجة بحنين كل شـــخص تحدث بحسرة عـــن ذكريات الهجرة واللجوء، وبكل خط رســـمناه وفكرة وضعناها داخل مشروعنا لنصل إلى فوزنا هذا، فشكرًا جامعة القدس، وشكرًا من القلب لكادر التدريس في دائرة الهندسة المعمارية».

من جانبها، أشـــارت الطالبة مريم الوحش إلى أنها تمكنـــت وزميلتها من وضع بصمتيهما بقضية تمس كل فلســـطيني في فلسطين والشـــتات، أي قضية حق العودة، وكان المشروع بمثابة بصمة معمارية متخصصة من دراسة حققتا من خلالها تصور وطريقة جديدة لكيفية تجســـيد الذاكرة عبر العمارة والتجربة الفريدة فيها، ســـواءً أكانت في ذاكرة الحياة اليومية لقريـــة الدامون وازدهارهـــا أم ذاكرة النكبة والتهجير، فهما ذاكرتـــان متلازمتان في ذهن اللاجيء الفلسطيني عامة والدامويي خاصة.

واستطردت الطالبة الوحش «كانت الجامعة والدائرة الداعمين الأوائل باختيارنا لخوض تجربة مســـابقة عالمية كهذه، إلى جانب الدعم المستمر من مشرفتنا، وإنه لمن دواعي الفخر أننا اســـتطعنا أن نظفر بالفوز باسم جامعة العاصمة.. سعيدة لأني استطعت أن أرفع اسم جامعة القدس، ونتطلع للاستمرار على هذا المنوال والسعي نحو التميز دائمًا رافعين اسم الجامعة أبدًا».

يُذكر أن دائرة الهندسة المعمارية في جامعة القدس قد خرَّجت الفوج الثاني من طلابها، وخلال مسيرتها القصيرة هذه قد حققت نجاحات عديدة على المستويين المحلي والدولي، مما يؤكد عملها وفق خطة الجامعة التنموية التي تحفّز دمج التخصصات العلمية بالواقع المعاش، وتوفير الفرص الإقليمية والدولية من أجل دعم الأفكار الإبداعية والثقافية وإيصال رواية الحق الفلسطينية للعالم كافة.

سينطلق الفصل الثاني: التعليم العالي يعتمد برنامج ماجستير «هندسة مصادر المياه» في جامعة القدس

اعتمدت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي برنامج الماجستير في «هندسة مصادر المياه» في جامعة القدس، بالشراكة مع الجامعة الإسلامية في غزة، حيث من المقرّر بدء العمل به مع بداية الفصل الدراسي الثاني 2021/ 2022 وفق خطة أكاديمية مبتكرة مع عدة جامعات عربية وأجنبية.

وبيّن المشرف على البرنامج د. جواد شقير أن التسجيل للبرنامج يبدأ رسميًا مع بداية الفصل الدراسي الثاني للعام الأكاديمي 2021/ 2022، بالشراكة والتعاون مع عدة جامعات، هي: الجامعة الأردنية، وجامعة مؤتة، وجامعة بلجيكا الحرة، وجامعة «IHE» الهولندية، مشيرًا إلى أن: «جامعة القدس سباقة في إطلاق البرامج المتطورة المواكبة لاحتياجات المجتمع، وقد أطلقت العديد من البرامج المماثلة التي يحتاجها طلبتنا».

وأوضح شقير أن الهدف من البرنامج هو إيجاد الحلول لمشاكل المياه في فلسطين والعالم، والتعرف إلى مصادرها لمعرفة كيفية دراستها وإدارتها واستغلالها بالشكل المناسب، وفق خطط مدروسة وبالاعتماد على التكنولوجيا في تحقيق هذه الأهداف.

ويمنح البرنامج الطلبة فرص دراسة سبل إدارة المياه وتقنية معالجتها، والعديد من المهارات التي سيكتسبونها خلال مرحلة الدراسة التي ستنطلق وجاهيًا، ويتاح لهم أيضًا الاستفادة من خبرات المدرسين والباحثين من الجامعات الدولية في الأساليب التجريبية أو النظرية، مما يؤهلهم لاكتساب المهارات التكنولوجية اللازمة بقطاع المياه من خلال التبادل الطلابي.

وبيّن د. شقير أنه يُشترط في الطالب الذي يريد الالتحاق بالبرنامج أن يكون حاصلًا على درجة عملية من جامعة معترف بها من كلية علمية أو هندسية، وأن يلتزم بالتسجيل في المساقات المشتركة.

يُذكر أن جامعة القدس أطلقت في الآونة الأخيرة العديد من برامج البكالوريوس والماجستير والدكتوراة في تخصصات مختلفة تُواكب تطورات العصر وتلائم احتياجاته، وبالشراكة مع عدة جامعات محلية ودولية، من خلال شبكة العلاقات الواسعة التي تتمتع بها معهم، ويأتي ضمنها برنامج «ابتكارات علوم المياه» الذي يُوفر للطلبة أحدث تكنولوجيات وابتكارات علوم المياه وطرق منع تلوثها ومعالجتها.

مذكرة تفاهم بين جامعة القدس والمركز العربي لتطوير الإعلام لتدريب الطلبة ودمجهم في سوق العمل

وقعت دائرة الإعلام والتلفزة في جامعة القدس والمركز العربي لتطوير الإعلام الاجتماعي مذكرة تفاهم لتدريب عدد من الطلبة الجامعيين وتطوير قدراتهم العملية، من أجل الانخراط في عمل الحقوق الرقمية الفلسطينية والنشاط الرقمي الفلسطيني، وذلك من خلال سلسلة تدريبات متخصصة، بغرض النهوض بوسائل التواصل الاجتماعي نحو جعل الإنترنت مكانًا آمنًا وعادلًا وحرًا للفلسطينيين.

وتهدف الاتفاقية إلى تنفيذ مجموعة من التدريبات في مجالات الحقوق الرقمية، الأمان الرقمي، التعليم الرقمي، القوالب النمطية وخطاب الكراهية عبر وسائل الإعلام الاجتماعي، توثيق انتهاكات الحقوق الرقمية والإبلاغ عنها، تخطيط وتنفيذ حملات المناصرة الرقمية، وكذلك إطلاق خمس حملات رقمية من طلاب فلسطينيين من ثلاث جامعات فلسطينية مختلفة ومؤتمر عبر الإنترنت في نهاية المشروع.

ومَثَل دائرة الإعلام والتلفزة أ. ثائر نصار، فيما مَثَل المركز مديره السيد نديم ناشف، حيث اتفق الطرفان على بذل كافة الجهود من أجل إنجاح الاتفاقية والخروج بنتائج تدريبية متطورة تخدم مستقبل هؤلاء الطلبة ودمجهم في سوق العمل.

وتعمـــل جامعة القدس على عقد الشراكات المتنوعة التي تهـــدف لتدريب طلبتها وتنمية مهاراتهم العملية ورفع قدراتهم التنافسية في سوق العمل.

أ.د. أبو كشك يقوم بجولة تطويرية بين بشكيك وطشقند وإسطنبول

قام رئيس جامعة القدس أ.د. عماد أبو كشك بجولة بين دولتي قرغيزستان وأوزبكستان وسط آســيا، والجمهورية التركية بين نهاية آب حتى مطلع أيلول، ســعيًا لتطوير الواقع الأكاديمي والبحثي والاجتماعي، والمشاركة في عدد من المؤتمرات والاجتماعات العلمية والاقتصادية انطلاقًا من دوره كأحد قادة المسؤولية المجتمعية الأوائل في فلسطين.

مشــاركة علمية في كونغرس المســؤولية المجتمعية واجتماع البنك الإسلامي للتنمية

ففي «الكونغــرس الدولي الثاني للمســؤولية المجتمعيــة» في العاصمة القرغيزســتانية «بشكيك»، قدم أ.د. أبو كشك ورقة علمية بعنوان «دور المؤثرين في قيادة تعزيز ممارسات المســؤولية المجتمعية في منطقة الشرق الأوسط»، لدوره في قيادة المسؤولية الاجتماعية في القدس والريادة المجتمعية على مستوى فلسطين والوطن العربي، من خلال موقعه كرئيس لجامعة القدس، ونائب رئيس مجلس إدارة صندوق ووقفية القدس.

كما وكرّم أ.د. أبو كشــك دولة رئيس الوزراء القيرغســتاني»أولمبيك ماريبوف»، ورئيس مجلــس إدارة الهيئة الخيرية الإســلامية العالمية د. عبدالله المعتــوق، والمدير العام لجمعية السلام للأعمال الخيرية الكويتية د. نبيل عون.

وناقش أ.د. أبو كشــك في الاجتماع الســنوي لمجموعة البنك الإسلامي للتنمية في مدينة طشــقند في أوزبكســتان، آليات الانتعاش الاقتصــادي المرن من خلال (الاســتجابة، الاســتعادة، وإعادة التشــغيل)، وقضايا التنمية والمســائل المؤسســية المتعلقة بالبلدان الأعضاء، بحضور 2000 من الضيوف الذين يمثلون الحكومات والأوســاط الأكاديمية والقطاع الخاص والصناعات المختلفة، وكذلك المنظــمات الدولية الكبرى بما فيها بنوك التنمية متعددة الأطراف.

اتفاقيتان في تركيا للتبادل البحثي والأكاديمي والتدريب الميداني

في الجمهورية التركية، وقّع أ.د. أبو كشـــك ورئيس جامعة «جيديك إسطنبول» أ.د.»نهاد أكوش» اتفاقيةً للتبادل البحثي والأكاديمي بين طلبة وأســـاتذة جامعة القدس والجامعة التركيـــة التي تُعد ذراعًا وامتدادًا لكبرى الشركات التركية، بحضور رئيس جمعية أصدقاء جامعة القدس في تركيا نور الله شاهين، مما يؤسس لبداية تعاون استراتيجي بين الجامعتين في مجالات التكنولوجيا والمشاريع الناشئة خاصة.

وفي سياقٍ متصلٍ، أبرم أبو كشك ورئيس جامعة «أوستيم التقنية»في العاصمة التركية أنقرة أ.د «مراد يوليك» اتفاقيةً تتيح لطلبة جامعة القدس التدريب الميداني مع كبرى الشركات التركية، ومواءمة هذا التدريب ضمن الخطة الدراســـية للطالب داخل الجامعة، خصوصًا في مجالات الهندســـة الصناعية والمعمارية وهندســـة الحاســـوب والطاقة البديلة والهندسة الميكانيكيـــة وتكنولوجيا المعلومات، وعلوم المواد وهندســـة النانو، والتجارة والاقتصاد وإدارة الأعمال والتســـويق، ممّا يتيح المجال لإطلاع الطلبة على الأسواق العالمية وتجارب الشركات الكبرى بشـــكلٍ علميٍ وعمـــلي، وفتح آفاق جديدة لهم للابتـــكار والإبداع، وتكوين مشاريعهم الريادية الخلّاقة، وذلك بحضور أ. نور الله شاهين.

وتضمن الاتفـــاق إشراك جامعة القدس في تأليف الكتب التي تقوم جامعة «أوســـتيم» بإصدارها كمراجع علمية لتخصصاتها المرموقة، إذ تُعد جامعة أوســـتيم شريكًا أساســـيًا في النهضة الصناعية التركيـــة، ويحيط بهـــا آلاف الشركات الصناعيـــة والتجارية الهامة، التي تعقـــد الجامعة العديد من الشراكات معها، كما لديها شركاتها الخاصة العملاقة، الأمر الذي يمكنها من تقديم نموذج تدريب عملي وتطبيقي يُمَكِّن الطلاب من عيش تجربة الحياة العملية خلال سنوات الدراسة بالجامعة.

التحضير لافتتاح الســـكن الداخلـــي للطالبات وتـــرأس المؤتمر العلمي الدولي «إيجهار»

وفي لقاء جمع أبو كشـــك ورئيس دائرة الشرق الأوسط وإفريقيا بالوكالة التركية للتعاون والتنســـيق «تيكا»، السيد «بولنت قورقماز» جرى تباحث آخر الترتيبات لافتتاح «السكن

الداخلي للطالبات» في جامعة القدس مطلع العام القادم، والذي تم تشييده بتوجيهات من الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، الذي نقل السيد قورقماز عنه اهتمامه الشخصي في متابعة هذا المشروع الحيوي في القدس.

واستعرض الطرفان بحضور أ. شاهين تفاصيل الافتتاح والوفد التركي المشارك، وناقشا الإشراف الإداري المشترك بين جامعة القدس، وجهة تركية مختصة في هذا المجال، بما يليق بأحدث سكن طلاب داخلي في فلسطين تم إنشاؤه وفق المعايير الأوروبية، وسيقدم خدماته أيضًا للطلبة الأتراك الذين يتعلمون اللغة العربية بالقدس خلال فترة الصيف.

وختامًا ترأس أ.د. أبو كشك المؤتمر العلمي الدولي للعلوم الإنسانية (إيجهار) في مدينة إسطنبول، ليفتتحه بتحية من القدس الشريف إلى الباحثين رؤساء الجامعات المشاركين في المؤتمر، داعيًا إلى تعزيز القيم البحثية والإبداعية وتنمية ثقافة العمل الجماعي بما يسهم بتوسيع آفاق منظومة العلوم الإنسانية والتربوية، وصولاً إلى مواكبة حديثة للأبحاث والدراسات العلمية، وتعزيز التعاون بين الأكاديميين، ليستشهد بالتجربة البحثية الرائدة لجامعة القدس واستراتيجيتها طويلة الأمد في الاستثمار بإبداعات وعقول الشباب.

وتأتي هذه الجولة ضمن خطة الجامعة واستراتيجيتها للنهوض بالواقع العلمي والمجتمعي، عبر إقامة العلاقات الأكاديمية الفاعلة، والهادفة إلى تحسين الحالة المجتمعية والاقتصادية والمعرفية في فلسطين عامة، كما وتُولي الجامعة جُلّ الاهتمام في شراكاتها لمدينة القدس وأبنائها ومواقعها.

تقرير خاص لأهم الوقائع والأحداث
2021/ 6/ 30 - 2021/ 1/ 1

1. أدانت الأمانة العامة بشدة بتاريخ 11/ 1/ 2021 تصعيد سلطات الاحتلال الإسرائيلي لعدوانها على المقدسات الفلسطينية، حيث تصاعدت مؤخراً حدة الاستهداف الإسرائيلي للحرمين القدسي والإبراهيمي الشريفين في إطار مُخططات الاحتلال لفرض أمر واقع قسري جديد من خلال الإجراءات والانتهاكات الجسيمة لحرمة وقدسية المسجدين وحرية العبادة، كما السيادة والحقوق الفلسطينية، فقد فرضت سلطات الاحتلال الإسرائيلي إغلاقاً للحرم الإبراهيمي الشريف أمام المصلين لمدة 10 أيام، في الوقت الذي تُطلق العنان يومياً لغلاة المستوطنين لاستباحته وإقامة الصلوات التلمودية فيه، في ظل تصاعد اقتحامات المسجد الأقصى، كما قدمت جماعات الهيكل في سابقة خطيرة من نوعها مقترح لحكومة الاحتلال بهدف تفكيك قبة الصخرة لإقامة الهيكل المزعوم، فيما كثفت أعمال الحفريات في ساحة البراق / الجدار الغربي للمسجد الأقصى المبارك لاستكمال تهويد ساحة البراق. كما حذرت

الأمانة العامة من العواقب الوخيمة لإمعان سلطات الاحتلال الإسرائيلية بارتكاب جرائمها بحق المقدسات والمساس بحرمتها وتدنيسها التي تُنذر بإشعال حرب دينية في المنطقة برمتها. وطالبت المجتمع الدولي بالتدخل العاجل لتحمل مسؤولياته واتخاذ الإجراءات العملية الضرورية وعدم الاكتفاء بالبيانات لإلزام سلطات الاحتلال الإسرائيلي وقف انتهاكاتها الجسيمة بحق المقدسات وتقويضها لحرية العبادة، إلى جانب توفير الحماية اللازمة لها إعمالاً للقانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة التي تُؤكد على وضعية المقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين، وأهمية الحفاظ على مكانتها التاريخية والقانونية. كما نوهت إلى أن «إسرائيل» (القوة القائمة بالاحتلال) تتعمد الإطاحة بالمنظومة الدولية وتقويض قراراتها في سباقٍ مع الزمن، استشراراً للأيام الأخيرة لعهد ترامب المنتهية ولايته، للاستمرار في الاستيطان لتعميق الاحتلال وتوسيع نطاق مصادرة الأراضي وسرقة الآثار والتهويد وهدم المنازل والحفريات في مدينة القدس، مطالبة المجتمع الدولي بالتدخل العاجل لإنفاذ قرارات الشرعية الدولية ذات الصلة خاصة القرار رقم 2334 لعام 2016 إنقاذاً لحل الدولتين وفرص تحقيق السلام لاستقرار المنطقة.

2. بتاريخ 13/ 1/ 2021 حذرت الأمانة العامة من أن أعمال فرق من المساحة والهندسة الإسرائيلية التي تقوم بعمل قياسات مريبة حول قبة الصخرة بحراسة الشرطة الإسرائيلية كلها مؤشرات ذات دلالة تقرع جرس الإنذار بشأن ما يواجه المسجد الأقصى من تهديدات جدية وحقيقية بتواطؤ مباشر، بل ومشاركة وحماية من سلطات الاحتلال الرسمية.

3. بتاريخ 21/ 1/ 2021 جددت الأمانة العامة إدانة ورفض هذه المشاريع الاستيطانية، مؤكدةً أن كافة هذه المشاريع الاستيطانية كما الاحتلال ذاته إلى زوال، ودعت المجتمع الدولي ومجلس الأمن لوضع حدٍ حاسمٍ لسرطان الاستيطان بتحركٍ دولي حازمٍ يُطبق

الشرعية ويُوفر الحماية، ويضمن المساءلة الدولية لسلطات الاحتلال الإسرائيلي بمسارٍ عملي، يُفضي إلى تفكيك وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي، وتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقة بتقرير المصير في دولته المستقلة على حدود 1967 وعاصمتها القدس الشرقية، طبقاً لقرارات الشرعية الدولية وتجسيداً لإرادة المجتمع الدولي، وما يتطلع إليه في تحقيق الأمن والاستقرار والسلام والازدهار في المنطقة. كما أكدت الأمانة العامة على أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي تُواصل إمعانها في الاستهانة بالقانون وقرارات الشرعية الدولية وتحديها لإرادة المجتمع الدولي بتوسيع وتسريع تنفيذ مشاريعها وخططها الاستيطانية في الأسابيع الأخيرة، والتي تجاوزت كل الخطوط الحمراء، فعلى الرغم من الإدانات والرفض الدولي الواسع النطاق للاستيطان الاستعماري الإسرائيلي المكثف في الأرض الفلسطينية في هذه الآونة، فقد طالبت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بالوقف الفوري النهائي لهذه المشاريع، وما تُمثله من عدوانٍ سافرٍ على حقوق الشعب الفلسطيني، وانتهاكٍ جسيم للقانون وقرارات الشرعية الدولية، وتهديدٍ جدي بالغ الخطورة لحل الدولتين وفرص تحقيق السلام، كما تضرب سلطات الاحتلال الإسرائيلي عرض الحائط بالمواقف الدولية، وتعلن عن مشاريع إضافية أكثر خطورة، كما أعلنت عن بناء 2500 وحدة جديدة في الساعات الأخيرة لإدارة ترامب المنصرفة، واستقبال الإدارة الأمريكية الجديدة. الأمر الذي يستوجب بلورة موقفٍ دولي حاسم يردع الاحتلال، ويضع حداً فورياً لوقف المشاريع الاستيطانية، وتأكيد إزالة المستوطنات الاستعمارية، ووضع قرار مجلس الأمن رقم 2334، وجميع قراراته ذات الصلة موضع التنفيذ.

4. بتاريخ 9/ 2/ 2021 أدانت الأمانة العامة إقدام سلطات الاحتلال الإسرائيلي على هدم وتدمير خربة حمصة في الأغوار الشمالية للمرة الرابعة في سياق تنفيذ مخططات الاقتلاع والتهجير التي تنتهجها سلطات الاحتلال الإسرائيلي لتسهيل مشاريع

الاستيطان والضم والتهويد، ضاربةً بعرض الحائط موقف المجتمع الدولي ورفض الممثلين الدبلوماسيين والاتحاد الأوروبي القاطع لما أقدمت عليه «إسرائيل» في زياراتهم التضامنية لأهالي خربة حمصة، كما أدانت استمرار سلطات الاحتلال الإسرائيلي باعتداءاتها وتدنيسها المتعمد للمساجد والكنائس في الأراضي الفلسطينية المحتلة والذي كان آخرها الاعتداء الآثم الذي ارتكبه مستوطن متطرف على أحد أبواب الكنيسة الرومانية الأرثوذكسية في منطقة المصرارة في مدينة القدس، مما يعكس حجم التطرف والكراهية لدولة الاحتلال. مؤكدةً إمعان سلطات الاحتلال الإسرائيلي وإصراراها على مواصلة هذه الأعمال الإجرامية التي تطال الشعب الفلسطيني الأعزل وممتلكاته وأراضيه ومقدساته بتمردٍ واستخفافٍ بالقانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية ومواقف دول العالم المنددة بهذه السياسات، غير آبهٍ بالإدانات والمناشدات الدولية، الأمر الذي يتطلب من المجتمع الدولي ضرورة الانتقال إلى الموقف العملي الحازم المعبر عن إرادته لتوفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني الذي يتعرض لجرائم حربٍ تستدعي بدورها إقامة المسؤولية الجنائية، واتخاذ الإجراءات اللازمة والملزمة لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة لإنهاء الاحتلال وتمكين الشعب الفلسطيني من الحرية والاستقلال.

5. بتاريخ 3/ 3/ 2021 أصدر مجلس الجامعة على المستوى الوزاري الدورة 155 القرار رقم 8600 بشأن التطورات والانتهاكات الإسرائيلية في مدينة القدس المحتلة، والذي أكد مجدداً على أن القدس الشرقية هي عاصمة دولة فلسطين، ورفض أي محاولة للانتقاص من السيادة الفلسطينية عليها، والإدانة الشديدة والرفض القاطع لجميع السياسات والخطط الإسرائيلية الممنهجة وغير القانونية التي تهدف لإضفاء الشرعية على ضم المدينة المقدسة وتشويه هويتها العربية وتغيير تركيبتها السكانية.

6. أدانت الأمانة العامة بتاريخ 15/ 4/ 2021 بأشد العبارات تصعيد سلطات الاحتلال

الإسرائيلي لعدوانها العنصري على حرمة المسجد الأقصى المبارك وحرية العبادة في الشهر الفضيل استفزازاً لمشاعر المسلمين وانتهاكاً صارخاً لقواعد القانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية، محذرةً من المخططات الممنهجة والخطيرة لفرض سياسة الأمر الواقع في المسجد الأقصى المبارك والتصعيد الحاصل في اقتحامات المستوطنين والمتطرفين اليهود لتغيير الوضع الديني والتاريخي والقانوني القائم فيه، معتبرةً ذلك جزءاً لا يتجزأ من الانتهاكات المستمرة في القدس المحتلة بهدف التهويد وتزييف تاريخ المدينة المقدسة. كما حذرت من العواقب الوخيمة لإمعان سلطات الاحتلال الإسرائيلية بارتكاب جرائمها بحق المسجد الأقصى المبارك والمساس بحرمته وتدنيسه، والتي تُنذر بإشعال حربٍ دينية في المنطقة تُقوض أركان السلم والأمن الدوليين، وهو ما تتحمل مسؤوليته وتداعياته حكومة الاحتلال الإسرائيلي بشكلٍ كاملٍ. كما طالبت المجتمع الدولي بالتدخل العاجل لتحمل مسؤولياته واتخاذ الإجراءات العملية الضرورية اللازمة للضغط على «إسرائيل» (لقوة القائمة بالاحتلال) لوقف انتهاكاتها الجسيمة واستفزازاتها المرفوضة والمدانة واحترام الوضع القائم، إعمالاً للقانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة التي تُؤكد على وضعية المقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين، وأهمية الحفاظ على مكانتها التاريخية والقانونية.

7. بتاريخ 22/ 4/ 2021 أدانت الأمانة العامة بأشد العبارات جريمة تهجير عائلات من منطقة الشيخ جراح في مدينة القدس المحتلة لإحلال المستوطنين مكانهم، استمراراً لسياسة التهجير القسري للفلسطينيين من المدينة، وحذرت من أن ما يجري في مدينة القدس، وتحديداً بحي الشيخ جراح ما هو إلا جريمة حربٍ وتطهير عرقي خطيرة في سلسلة الجرائم المتواصلة التي يرتكبها الاحتلال بحق الشعب الفلسطيني منذ عقود في سياق استمرار العدوان السافر والممنهج والمتصاعد الذي يستهدف الشعب الفلسطيني ووجوده وحقوقه، خاصةً في مدينة القدس بشكلٍ مطردٍ خطير وغير مسبوق، واستمراراً

لسياسة التهجير القسري للفلسطينيين من المدينة، كما حذرت الأمانة العامة من دعوات وتحريض عصابات المستوطنين للتجمهر في البلدة القديمة لمهاجمة والاعتداء على المقدسيين والمصلين في الشهر الفضيل استمراراً لاستهداف حرمة المسجد الأقصى المبارك. وطالبت الأمانة العامة المجتمع الدولي أن يقف أمام مسؤولياته لوضع حدٍ وفوري لهذا العدوان بحق الشعب الفلسطيني ومدينة القدس، والتصدي لجرائم الاقتلاع والترحيل القسري بصورة سريعة وحاسمة تقتضيها خطورة الجرائم المرتكبة، كما أكدت على أهمية دعم المجتمع الدولي للجهود الفلسطينية الأردنية المشتركة، وتقديم كل عونٍ مستطاعٍ في متابعة قضية حي الشيخ جراح والتصدي لتهجير العائلات منها، وطالبت المجتمع الدولي ومؤسساته لإعمال قواعد القانون الدولي وضمان توفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني ضد جرائم الحرب التي تقترفها «إسرائيل» (القوة القائمة بالاحتلال) في المدينة وإجبارها على وقف هذه الجرائم ومسائلتها ومحاسبتها عليها، خاصةً وأن الإفلات الدائم من العقاب والمساءلة هو تشجيع لكي يُواصل الاحتلال جرائمه بكل ما يرتبه ذلك من تداعيات وانعكاسات على الأمن والاستقرار في المنطقة.

8. أدان السيد الأمين العام بتاريخ 6/ 5/ 2021 تهجير السكان من حي الشيخ جراح بالقدس الشرقية مؤكداً على أن التهجير يُمثل جريمة مكتملة الأركان، وطالب المجتمع الدولي بالتدخل لمنع هذا الإجراء الذي ينتهك أبسط حقوق الإنسان الفلسطيني، ويُرسخ نظاماً للفصل العنصري في الأراضي المحتلة. وأشار الى أن التهجير، الذي يستهدف نحو 28 منزلاً تقطنه نحو 500 نسمة من العائلات الفلسطينية، يجري في إطار مخطط مستمر لتهويد القدس الشرقية، وبخاصة الأحياء القريبة من البلدة القديمة، ولتفريغ هذه الأحياء من الوجود الفلسطيني. كما أكد أن الفلسطينيين يدفعون ثمن التنافس بين اليمين واليمين المتطرف في «إسرائيل»، وأن تصاعد سياسات التهويد والاستيطان والتهجير قد تؤدي إلى إشعال الموقف في الأراضي المحتلة، وخاصة في

القــدس، على نحوٍ لا يُمكن تصــوره أو التنبؤ بمآلاته، واصفاً هذه السياســات التي تُمارسها سلطات الاحتلال بغير المســؤولة، وبأنها تعكس صراعاتٍ داخلية ومصالح حزبية ضيقة. وشــدد على مسؤولية المجتمع الدولي في ممارسة الضغوط على «إسرائيل» (القوة القائمة بالاحتلال) لمنع التهجير القسري لســكان الشيخ جراح، قبل أن ينزلق الموقف إلى المزيد من التصعيد.

9. بتاريخ 10/ 5/ 2021، أدان الســيد الأمين العام اقتحام قوات الاحتلال الإسرائيلي المســجد الأقصى المبارك واســتهداف الفلســطينيين العُزل بقنابل الصــوت والغاز والرصاص المطاطي، مُشــدداً على أن الهجوم يســتفز مشــاعر المســلمين حول العالم ويعكس سياســة إسرائيلية متعمــدة في تصعيد الموقف، وحذر من إشــعال الموقف، مؤكداً أن التصعيد الإسرائيلي يأتي في أعقاب سلسلة من الاستفزازات والتصرفات غير المســؤولة ضد أبناء الشعب الفلسطيني خلال الفترة الماضية، بما يستوجب تحركاً دولياً عاجلاً لوقف هذه الاعتداءات التي قد تتســبب في تفجير الموقف في الأراضي المحتلة. وقال: « إن اختيار قوات الاحتلال لهذا التوقيت، بما ينطوي عليه من قدسية للمسلمين، يعكس نية مبيته لاستفزاز الفلسطينيين، كما يعكس استهتاراً مرفوضاً بمشاعر المسلمين وحقهم في إقامة شــعائرهم في «الأقــصى» في هذه الأيام من شــهر رمضان المبارك.» وحمل الحكومة الإسرائيلية مســؤولية هذا التصعيد الخطير وغير المســؤول، مؤكداً أن هذه الحكومة صارت أسيرة بالكامل للمستوطنين وأجندتهم المتطرفة، وأنها تتبنى هذه الأجندة وتنفذها بصورة كاملة.

10. بتاريخ 11/ 5/ 2021 عقد مجلس الجامعة على المســتوى الوزاري دورة غير عادية (عبر تقنية الفيديو كونفرانس) بشــأن العدوان الإسرائيلي عــلى مدينة القدس المحتلة وأهلها بما في ذلك المســجد الأقصى المبارك وحي الشــيخ جراح، وقد أصدر المجلس القــرار رقــم 8660. والذي نصت الفقرة (7) منه على» تشــكيل لجنــة وزارية عربية

من كُلٍ من: الأردن، السعودية، فلسطين، قطر، مصر، المغرب، رئاسة القمة العربية (بصفته)، والعضو العربي في مجلس الأمن (بصفته)، والأمين العام، للتحرك والتواصل مع الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن وغيرها من الدول المؤثرة دولياً، لحثها على اتخاذ خطوات عملية لوقف السياسات والإجراءات الإسرائيلية غير القانونية في مدينة القدس المحتلة، وتقدم اللجنة تقريراً حول نتائج تحركاتها الى اجتماع مجلس الجامعة في دورة غير عادية تعقد للغرض».

11. حذر السيد الأمين العام بتاريخ 7/ 6/ 2021، من مغبة الإقدام على إجراءات إسرائيلية من شأنها إشعال الموقف في القدس لأسباب داخلية تتعلق بمصالح أحزابٍ أو أشخاص، منبهاً إلى خطورة الحشد الجاري في أوساط اليمين المتطرف وجماعات الاستيطان الإسرائيلية، والذي يهدف بوضوح إلى استفزاز الفلسطينيين وافتعال مواجهات من خلال تنظيم مسيرات ومظاهرات ستؤدي حتماً إلى تأجيج المشاعر ورفع مستوى التوتر. وأكد مصدر مسؤول بالأمانة العامة للجامعة العربية أن السيد الأمين العام يُتابع بقلق ما يجري من تحريض ضد الفلسطينيين، فضلاً عن استمرار السلطات الإسرائيلية بممارسة إجراءات قمعية ضد الأحياء الفلسطينية في القدس، بما فيها حي الشيخ جراح. ونقل المصدر عن السيد الأمين العام قوله إن هذا النوع من الإجراءات هو ما أدى إلى انفجار الموقف في شهر مايو الماضي، وأن «إسرائيل» (القوة القائمة بالاحتلال) تُحاول تصدير أزمتها الداخلية إلى الجانب الفلسطيني، كنوعٍ من الهروب إلى الأمام. واختتم السيد الأمين العام بالتأكيد على أن المرحلة الحالية تقتضي إظهار المسؤولية وممارسة ضبط النفس من أجل تثبيت الهدنة، بدلاً من التحريض على العنف والإجراءات القمعية، محملاً الحكومة الإسرائيلية المسؤولية عن أي تدهور محتمل في الموقف.

12. بتاريخ 15/ 6/ 2021، اجتمعت اللجنة الوزارية في الدوحة وقامت بإصدار

بيـــان تناول القيـــام بمجموعة من الخطـــوات والإجراءات والاتصـــالات مع مراكز التأثير والقـــرار في المجتمع الدولي بهدف وقف الإجـــراءات الإسرائيلية غير الشرعية واللا قانونية التي تســـتهدف تغيير الهوية العربية الإسلامية والمسيحية للقدس المحتلة، والوضع القانوني والتاريخي القائم في المدينة ومقدساتها الإسلامية والمسيحية، وتُقوض حلَّ الدولتين وفرص تحقيق السلام الشامل والعادل في المنطقة. وقد تم تكليف الأمانة العامة ومختلف مجالس الســـفراء العـــرب في العواصم الدولية المعنيـــة باتخاذ عدد من الإجـــراءات تنفيذاً للتفويض الممنوح للجنة، كما طلب مـــن الأمين العام متابعة تنفيذ البيان ورفع تقرير بما تم لإلى الدورة العادية القادمة لمجلس الجامعة (156).

13. بتاريـــخ 24/ 6/ 2021 جددت الأمانـــة العامة إدانتها إقدام هنـــدوراس افتتاح ســـفارتها في مدينة القدس المحتلة في انتهاكٍ جســـيم للقانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية ذات الصلـــة، والتي تُؤكد على المكانة والوضع القانوني والتاريخي القائم لمدينة القدس، بما في ذلك قراري مجلس الأمن رقم 476 و478 لعام 1980، والتي تُؤكد بذات الوقت أن القدس الشرقية أرض فلســـطينية عربية محتلة يحظر نقل أي ســـفارات لدى حكومة الاحتلال إليها. كما أكدت الأمانة العامة أن هذا الموقف هو اعتداء ســـافر على حقوق الشعب الفلسطيني وأرضة ومقدســـاته، محذرةً من انعكاساته وانتكاساته على العلاقات العربية مع هندوراس.

14. أدانت الأمانة العامة بتاريخ 24/ 6/ 2021 مصادقة حكومة الاحتلال الإسرائيلي الجديدة على بناء وحدات اســـتيطانية في أرض دولة فلسطين المحتلة، الأمر الذي يُؤكد استمرار تنفيذ مشاريع الاستيطان والتهويد في نطاق العدوان الإسرائيلي المتواصل على الشعب الفلسطيني وحقوقه والاســـتهتار بالقانون والشرعية الدولية، وطالبت مجلس الأمـــن وهو يناقش مجـــدداً آليات تنفيذ قرار المجلس رقـــم 2334 (2016) أن يتحمل مسؤولياته في وضع الآليات الكفيلة باحترام تطبيق هذا القرار.

15. أدانت الأمانة العامة بتاريخ 29/ 6/ 2021 ما يتعرض له حي البستان من هجمة احتلالية شرسة ممنهجة للهدم وتهجير العائلات في إطار استمرار «إسرائيل» (القوة القائمة بالاحتلال) في سياسة التمييز والفصل العنصري والتطهير العرقي للفلسطينيين في مدينة القدس بهدف تزوير التاريخ وتهويد المدينة، بعد ما بدأت عملية الهدم فعلاً بواحدة من 17 منزلاً ومنشأة مهددة بحي البستان بسلوان. وحذرت من استمرار تنفيذ مخططات الاقتلاع والتهجير التي تنتهجها سلطات الاحتلال الإسرائيلي لتسهيل مشاريع الاستيطان والضم والتهويد في سلوان والشيخ جراح وغيرها من المناطق والأحياء الفلسطينية المهددة بالهدم والتهجير، محملة «إسرائيل» (القوة القائمة بالاحتلال) مسؤولية هذا التصعيد الخطير لإشعال وتوتير الموقف من جديد، ضاربةً عرض الحائط بموقف المجتمع الدولي الرافض لانتهاكات الاحتلال الإسرائيلي في مدينة القدس، كما أكدت على أن السياسات والممارسات الإسرائيلية المتواصلة في المدينة بما فيها اقتحامات المسجد الأقصى المبارك وتدنيسه، تُؤكد إمعان سلطات الاحتلال الإسرائيلي وإصراراها على مواصلة هذه الأعمال الإجرامية بحق الشعب الفلسطيني وممتلكاته وأراضيه ومقدساته واستخفافاً بالقانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية ومواقف دول العالم المنددة بهذه السياسات، غير آبهة بالإدانات والمناشدات الدولية، الأمر الذي يُحتم على المجتمع الدولي ضرورة الانتقال إلى الموقف العملي الحازم المعبر عن إرادته لتوفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني الذي يتعرض لجرائم حرب تستدعي بدورها إقامة المسؤولية الجنائية، واتخاذ الإجراءات اللازمة والملزمة لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، وخاصةً قرار مجلس الأمن 2334 (2016) بهدف التوصل لحل سياسي قائم على قرارات الشرعية الدولية لإنهاء الاحتلال وتحقيق السلام العادل والدائم الذي يضمن حقوق الشعب الفلسطيني بالحرية والاستقلال وفق ما أقره القانون الدولي.

16. كما جددت الأمانــة العامة التأكيد على موقف الجامعة العربية بمرور 54 عاماً على قرار دولة الاحتلال «ضم القدس» بأن القدس الشرقية عاصمة دولة فلســطين، وهي جــزءٌ لا يتجزأ من الأرض الفلســطينية المحتلة كما يقره القانــون والشرعية الدولية. ووجهت تحية اعتزازٍ وإكبارٍ للمقدسيين في صمودهم وثباتهم دفاعاً عن المدينة وهويتها العربية الإسلامية وعن المقدسات الإسلامية والمسيحية ومواجهة الجرائم والاعتداءات الوحشية اليومية الممنهجة التي يتعرضون لها في المدينة من سلطات الاحتلال الإسرائيلي والمستوطنين المتطرفين.

جان زيغلر

في مواجهة العالم المعاصر



ترجمة

الأب الياس زحلاوي

دار أبعاد للطباعة والنشر

لبنان - بيروت- الجناح

صندوق بريد: 7179 - 113 بيروت – لبنان

00961-71-841086

abaaddar@gmail.com

قرارات وبيانات وتصريحات رسمية

صادرة عن منظمة التعاون الإسلامي بشأن قضية القدس

1/ 1/ 2021 - 30/ 6/ 2021

1 – بتاريخ 21/ 1/ 2021 أدانت منظمة التعاون الإسلامي بشدة قرار «إسرائيل» بناء 2572 وحدة استيطانية جديدة في المستوطنات المقامة على الأرض الفلسطينية المحتلة منذ العام 1967، بما في ذلك مدينة القدس. واعتبرت المنظمة في بيانٍ لها، اليوم الخميس، القرار تمادياً في انتهاكات «إسرائيل»، للقانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية، وتحدياً لإرادة المجتمع الدولي. وأكدت أن سياسة الاستيطان الإسرائيلي غير قانونية، وتهدف إلى تقويض رؤية حلِّ الدولتين، الذي أقرته الشرعية الدولية ومبادرة السلام العربية.

2 – بتاريخ 3/ 2/ 2021 أدانت الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي قرار كوسوفو فتح سفارة لها في مدينة القدس المحتلة بما يتعارض مع القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، وشددت منظمة التعاون الإسلامي على تمسكها بتحقيق السلام من خلال القرارات الأممية ومبادرة السلام العربية القائمة على رؤية حلِّ الدولتين، وإقامة دولة فلسطينية مستقلة وعاصمتها القدس الشرقية.

3 – بتاريخ 10/ 2/ 2021 أدانت الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي، قيام قوات الاحتلال الإسرائيلي، بهدم منازل ومنشآت فلسطينية، الأمر الذي أدى إلى تشريد عشرات الأسر عن بيوتها وأراضيها. واعتبرت التعاون الإسلامي، في بيانٍ لها، أن ذلك يأتي في إطار سياسات التطهير العرقي ومخططات الضم والاستيطان الاستعماري، التي ينفذها الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية، ما يُشكل انتهاكاً للقانون الدولي، وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة. ودعت المجتمع الدولي إلى تحمل مسؤولياته بالضغط على «إسرائيل»، قوة الاحتلال، لوقف انتهاكاتها وجرائمها في جميع أنحاء الأرض الفلسطينية المحتلة، وتوفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني، وفقاً لاتفاقيات جنيف، مؤكدةً أن ما حدث لا يخدم عملية السلام الشامل العادل، الذي دعت إليه المبادرة العربية القائمة على حلِّ الدولتين، والقرارات الأممية ذات الصلة.

4 – بتاريخ 15/ 3/ 2021 أعربت الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي عن إدانتها افتتاح مكتب تابع لسفارة التشيك وكذلك سفارة لكوسوفو في مدينة القدس المحتلة. وأكدت الأمانة العامة، في بيانٍ، اليوم الإثنين، أن هذا الإجراء غير القانوني يُشكل انتهاكاً للقانون الدولي ولجميع قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، لا سيما قرار مجلس الأمن الدولي رقم 478 الذي يحظر إقامة بعثاتٍ دبلوماسية في المدينة المحتلة. ودعت إلى عدم المساس بالوضع التاريخي والقانوني والسياسي لمدينة القدس المحتلة، باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الأرض الفلسطينية المحتلة منذ العام 1967م.

5 – بتاريخ 24/ 4/ 2021 أدانت منظمة التعاون الإسلامي ما قامت به قوات الاحتلال الإسرائيلي ومجموعات المستوطنين المتطرفين، من اعتداءات على الفلسطينيين في مدينة القدس الشريف، ما أسفر عن جرح واعتقال العشرات منهم. وحملت منظمة التعاون الإسلامي في بيانٍ صدر عنها، اليوم السبت، «إسرائيل» – قوة الاحتلال – المسؤولية الكاملة عن تبعات استمرار مثل هذه الاعتداءات الاستفزازية، التي تُغذي العنف والتوتر والكراهية، وتستوجب توفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني. واستنكرت المنظمة

محـــاولات الاحتلال الإسرائيلي منع المواطنين الفلســـطينيين في مدينة القدس المحتلة من المشاركة في العملية الانتخابية الديمقراطية الفلسطينية، داعيةً المجتمع الدولي إلى مساندة إجـــراء هذه الانتخابات في كل أنحاء الأرض الفلســـطينية المحتلة بما فيها مدينة القدس، وتوفير ســـبل نجاحها. وأكدت موقفها الداعم للعملية الانتخابية الفلسطينية باعتبارها استحقاقاً سياسياً وقانونياً، يُسهم في تثبيت الشعب الفلسطيني على أرضه، ويُؤكد حقه في تقرير المصير وتحقيق سيادة دولة فلسطين على حدود 1967 وعاصمتها القدس.

6 – بتاريخ 7/ 5/ 2021 أدانت منظمة التعاون الإســـلامي مـــا تقوم به قوات الاحتلال الإسرائيـــلي والمســـتوطنون المتطرفون من إجـــراءات تهجير قسري وإخـــلاء غير قانوني لعشرات العائلات الفلســـطينية من منازلها في حي الشيخ جراح بمدينة القدس المحتلة، ومواصلة الاعتداءات على المواطنين المشـــاركين في موائـــد الإفطار التضامني. واعتبرت المنظمة ما تقوم به قوات الاحتلال الإسرائيلي والمســـتوطنون المتطرفون بأنه يأتي في إطار سياســـة إسرائيلية تقوم على التطهير العرقي والاستيطان الاستعماري من خلال مصادرة الأراضي والممتلكات والمنازل الفلســـطينية لصالح جمعيات استيطانية، في انتهاكٍ للقانون الإنســـاني الدولي وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة. وحملت منظمة التعاون الإسلامي قوات الاحتلال الإسرائيلي المسؤولية عن اســـتمرار إجراءاتها غير القانونية والعنصرية، مطالبة المجتمـــع الدولي، خصوصاً مجلـــس الأمن الدولي، بتحمل مســـؤولياته في توفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني، وإلزام سلطات الاحتلال الإسرائيلي بوقف انتهاكاتها واعتداءاتها المتواصلة في جميع أنحاء الأرض الفلســـطينية بـــما فيها مدينة القدس المحتلة. وأكدت المنظمة في الوقت ذاته أن تلك الإجراءات لا تخدم عملية السلام القائم على حلِّ الدولتين والمبادرة العربية والقرارات الأممية ذات الصلة.

7 – بتاريخ 16/ 5/ 2021 نددت منظمة التعاون الإســـلامي بأشد العبارات الاعتداءات الوحشـــية الإسرائيلية تجاه الشـــعب الفلســـطيني. وأكدت منظمة التعاون الإسلامي في اجتماعها الاســـتثنائي الافتراضي مفتـــوح العضوية للجنة التنفيذية على مســـتوى وزراء

خارجية الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي لبحث ما تقوم به «إسرائيل» (قوة الاحتلال) في الأرض الفلسطينية وتحديداً في مدينة القدس الشريف، كما أكدت على أن إدارة أوقاف القدس وشؤون المسجد الأقصى المبارك الأردنية هي الجهة الوحيدة المخولة إدارة جميع شؤون المسجد الأقصى المبارك / الحرم القدسي الشريف. واعتمدت المنظمة قراراً يُؤكد أهمية الوصاية الهاشمية التاريخية على الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية في القدس، ودورها في حماية هذه المقدسات والوضع القائم القانوني والتاريخي فيها، وفي الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية والمسيحية لهذه المقدسات. كما أدان القرار الاعتداءات التي تقوم بها قوات الاحتلال الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني وأرضه ومقدساته. وحذرت منظمة التعاون «إسرائيل» من الآثار المترتبة على استفزاز مشاعر الشعب الفلسطيني والأمة الإسلامية بأسرها بتصعيد هجماتها على المصلين وإعاقة الوصول إلى الأماكن المقدسة. وطالب القرار «إسرائيل» بوضع حدٍ لجميع الانتهاكات التي ترتكبها بما في ذلك عدم احترامها للمقدسات. وأعربت المنظمة عن القلق من تسارع وتيرة الاستعمار الإسرائيلي والتهديد بإجلاء المئات من العائلات الفلسطينية من منازلها في القدس الشرقية المحتلة بالقوة، بما في ذلك عائلات في حي الشيخ جراح وحي سلوان، كما حملت «إسرائيل» المسؤولية الكاملة إزاء تدهور الأوضاع بسبب جرائمها الممنهجة ضد الشعب الفلسطيني في الأرض الفلسطينية المحتلة، والعدوان الهمجي على قطاع غزة المحاصر. ودعت المنظمة مجلس الأمن للتحرك الفوري لوقف الاعتداء الهمجي للاحتلال الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني، مؤكداً أن فشل مجلس الأمن في تحمل مسؤولياته في معالجة هذه الأزمة سيحتم التوجه إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة.

8 – بتاريخ 24/ 6/ 2021 أدانت منظمة التعاون الإسلامي، افتتاح جمهورية هندوراس سفارة لها في مدينة القدس المحتلة. واعتبرت المنظمة في بيانٍ لها، أن هذه الخطوة غير شرعية وانتهاك للقانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، لا سيما قرار مجلس الأمن رقم 478 لعام 1980، الذي يدعو الدول التي أقامت بعثات دبلوماسية في القدس

إلى سحبها. ودعت هندوراس إلى التراجع عن قرارها غير القانوني، مشددةً على ضرورة انخراط المجتمع الدولي في الجهود الرامية الى تحقيق السلام العادل والشامل، استناداً إلى القرارات الأممية، ومبادرة السلام العربية القائمة على حلِّ الدولتين، وإقامة دولة فلسطين وعاصمتها القدس الشرقية.

9 - بتاريخ 30/ 6/ 2021 أدانت الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي عمليات هدم المنازل والمنشآت التي تقوم بها قوات الاحتلال الإسرائيلي في حي البستان ببلدة سلوان في مدينة القدس المحتلة. واعتبرت المنظمة في بيانٍ صدر عنها، اليوم الأربعاء، أن ما يحدث في سلوان امتداداً لعملية التهجير القسري للمواطنين المقدسيين لصالح مشاريع تهويدية ومخططات الاستيطان الاستعماري بهدف تغيير الواقع الديمغرافي والجغرافي والقانوني للمدينة المقدسة. وأكدت المنظمة أن تلك الإجراءات تعُتبر انتهاكاً للقانون الدولي، داعيةً المجتمع الدولي إلى تحمل مسؤولياته لتوفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني، وإنهاء الاحتلال وتحقيق السلام العادل والدائم وفقاً للقرارات الأممية ذات الصلة ومبادرة السلام العربية القائمة على حلِّ الدولتين وإقامة دولة فلسطين المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية.

للنشر في مجلة المقدسية

تُغطي المجلة الموضوعات والقضايا الخاصة بمدينة القدس في كافة المجالات الروحية والفكرية والحضارية والعمرانية والسياسية والثقافية إلى جانب المخططات والسياسات الإسرائيلية التي تستهدف القدس استيطاناً وتهويداً.

وتُرحب المجلة بمساهمات المفكرين والمثقفين والباحثين في مختلف أبوابها وضمن الحدود المتعارف عليها، سواء أكان اهتمامها بقضايا القدس والانتهاكات الإسرائيلية ومخططات التهويد فيها أو مقالات وتقارير عن الندوات والمؤتمرات أو عروض لكتب خاصة بمدينة القدس، كما وترحب بالمساهمات الأدبية التي تُعزز جسور التواصل بين الإنسان العربي والمدينة المقدسة.

كما تُرحب المجلة بتلقي أيّ مادة لإعادة النشر حسب تقييم هيئة التحرير وتقدير أهمية إعادة النشر إلا إذا كانت دراسات وبحوث يُراد تحكيمها حيث تتحمل المجلة كلفة التحكيم ونشر الأبحاث في قسم الدراسات والبحوث المخصص للدراسات العلمية المحكمة وفق المعايير المعتمدة عامة بما في ذلك في مجلة العلوم القانونية والسياسية الصادرة عن كلية الحقوق بجامعة القدس، وخاصة أن يكون موثقاً ويشمل الإشارات المرجعية: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، دار النشر، مكان وسنة النشر، رقم الصفحة.

كذلك أن يكون كلٌ من الدراسة أوالبحث مطبوعًا، ومرفقًا بالسّيرة الذاَتيّة للكاتب، والإرسال إلى المجلة عبر بريدها الإلكتروني.

تلتزم المجلة بتقييم المشاركة، وإعلام الباحث بنتيجة التقييم خلال شهرين من تاريخ استلامها، والمشاركات التي تعتذر المجلة عن نشرها لا تُرد إلى الكاتب.

لإرسال الأبحاث والدراسات عبر الإيميل: almaqdisieh@alquds.edu



كنيسة رُقاد السيّدة العذراء أو كنيســة نيّاحة العذراء هي كنيسة بندكتيّة تقع علــى جبل النبي داود (جبل صهيون) في القُدس، قُرب الجُزء الجنوبي من الســور المُحيط بالبلدة القديمة. بُنيت الكنيســة في بداية القرن العشــرين، وتقع تحديدًا إلى الغرب من مقــام النبي داوود، حيثُ يفصلها عنــهُ هو زقاقٌ ضيّق. وتبعدُ بضعــةِ أمتار عن باب النبي داوود أحد أبواب البلدة القديمة. تتميّز الكنيســة بجرســيّة مُرتفعــة يُصعد إليها بِـ 198 درجة، تشرفُ على أنحاءٍ واســعة من مدينة القُدس. ترتفع وسط الكنيسة قُبّة مخروطيّة كبيرة مُزيّنة بالفسيفســاء، تُحيط بها أربعة قِباب أُخر صغيرات الحجم ومخروطيّات الشــكل فوق أربعة أبراج؛ تُشكّل فيما بينها ما يشبهُ البُرج الحصين.

يعتقد المسيحيون أنّ هذا المكان أو بالقُرب منهُ، تناول السيد المسيح عشاءهُ الاخير وغسل أقدام تلاميذهُ، ويعتقدون أنّ هذا المكان التجأت إليهِ مريم العذراء بعد صلب المسيح.

المقدسية

مجلة فصلية تصدر عن مركز دراسات القدس في جامعة القدس



لبنان 60000 ليرة | الأردن: 4 دينار | سوريا: 200 ليرة | مصر: 20 جنيه | تونس: 3 دينار | المغرب: 40 درهم | مسقط: 2 ريال
السعودية: 20 ريال | البحرين: 3 دينار | الكويت: 3 دينار | قطر: 20 ريال | الإمارات: 20 درهم